

كلمة المجلة

لا تزال المجلة ماضية في نهجها الذي درجت عليه منذ تأسيسها ، وهو ايجاد حلقة اتصال بين ثقافتني الغرب والشرق ، وليست المجلة بحاجة الى الافتخار والزهو بالنتائج التي وصلت اليها فان رواجها واقبال القراء على اقتنائها لخير دليل على أنها تسد فراغا وتؤدي مهمة ثقافية ذات تأثير بعيد في تطور الادب العربي المعاصر .

ولا ريب في أن القراء على اختلاف ثقافتهم وأمزجتهم ونوازعهم الفكرية لاحظوا أن ثمة تطورا في المجلة نحو الاحسن وما هذا الا بفضل التشجيع الذي تلاقينه من قرائها وأنصارها على امتداد الوطن العربي .

ويجد القراء في هذا العدد كغيره من الاعداد السابقة دراسات ومقالات مختارة مترجمة لكتاب متنوعي الجنسيات والمذاهب الادبية والفكرية في الشرق والغرب .

وأخيراً فان المجلة تعاهد قراءها على مواصلة السعي في سبيل تقديم روائع الادب الغربي معتمدة على اسهام المترجمين المطلعين على الآداب الأجنبية .

هيئة التحرير

أَنْبَثَقْ مِنْ الْحُلَمِ

• أنايس نون

• ترجمة: محمود منقذ الهاشمي

قال يوتغ: «انبثق من الحلم ...» *

ومن المهم أن نعود الى التعريف الأصلي للكلمة التي نستخدمها كثيراً دون أية مبالاة . إن تعريف الحلم هو : الأفكار والصور التي توجد في الذهن ولا تخضع للعقل . وليس الحلم بالضرورة هو الصورة أو الفكرة التي تبدو لنا في النوم . إنه مجرد فكرة أو صورة تنجو من سيطرة الذهن العقلي أو المنطقي أو السببي . وتأسيساً على ذلك قد يشتمل مصطلح الحلم على الفكرة الخيالية ، والتصوير ، وحلم اليقظة ، والرؤى والهلوسات الناتجة عن تأثير المخدرات — وأية تجربة انبثقت من مملكة ما وراء الشعور . وهذه التصنيفات هي مجرد طرق لوصف الأحوال والمستويات المختلفة للوعي . والشيء المهم الذي يستحق أن نتعلمه من الفن ومن الأدب بخاصة ، هو المر السهل بينهما والعلاقة . والعصاب يحدث انشطاراً ويقيم حدوداً دفاعية . إلا أن الكاتب

★ هذه هي اول ترجمة عربية للفصل الاول من كتاب « رواية المستقبل » .

يستطيع أن يتعلم السير يسر بين مملكة وأخرى دون خوف ، وأن ينشئ بينهما علاقة متبادلة ، وأن يصهرهما جوهرياً .

برهن التحليل النفسي أن الأحلام هي المفتاح الوحيد لحياة ما وراء الشعور . وما أكدته المحللون النفسيون من العلاقة بين الحلم والأفعال الشعورية هو ما كان الشعراء يعرفونه من قبل . لقد تنقل الشعراء يسر على هذا الجسر ، من الشعور الى اللاشعور ، ومن الواقع الفيزيقي الى الواقع السيكلوجي . إن حيرتهم هي الدمج بينهما ولذلك فإنهم قد يؤدون عملهم بانسجام . ووظيفة الرمز هي توحيد الأشكال المتنوعة للواقع وتركيبها . ومعظم الروائيين يستخدمون الأحلام على سبيل الزخرفة ، دون وصلها بالحياة اليومية ، ولكن الكاتب المعاصر قد أصبح أشد خبرة في الكشف، عن تأثير أحدهما في الآخر .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عندما كنت في الحادية عشرة من عمري كتبت مسرحية مثلت فلسفتي في الحياة بشكل مسبق . كانت « ملودراما » ذات ذروة فجائية . أب أعشى يعيش مع ابنته الوفية في فقر مدقع في أحد الأكواخ . ولكن الفتاة كانت دائماً تصف حياتهما ، وبيتها ، وحديثهما ، وأصدقاءهما ، بأوصاف الجمال والرفاه ، خالقة الوهم لأبيها لتهدده به . ثم يأتي طيبب إلى القرية ويجري عملية جراحية لعيني الأب . وهو الآن يستطيع أن يرى من جديد . أما ساءة ؟ لا ، فعندما فتح عينيه على الواقع الرث ، لم يحدث له انهيار ولم يشعر بأنه كان مخدوعاً . أخبر ابنته : « الحقيقة هي أنك وصفت لي أشياء لم يكن لها وجود ، ولكنك وصفتها بحيوية جعلتني أستطيع أن أبدأ في بناء حياتنا على

الصورة التي حلمت بها • « إن الحلم قد أصبح مترجماً الى الواقع •

إن الحلم ، كما تفحصه العلماء باختبارات متعددة ، قد وُجد ليكون ضرورة كاملة للإنسان • إنه يحافظ على حياتنا النفسية حية ، في جو مميز • ولا يؤدي بالحياة إلى الانحراف ولا يتعرض لضغوط المجتمع • وعندما تكف عن الإيمان بهذا القاع الروحي ، تصبح حياتنا صدقات خاوية ، آلية ، ميكانيكية • نحن لم نؤمن به إلا عندما أظهر لنا أعراض العصاب • وما زال الأدباء والشعراء يدافعون عن وجوده بوصفه مصدر الإبداع •

لقد نشأ العصاب عن محاولتنا الفصل بين المستويين الفيزيقي والميتافيزيقي ، وجعل كل منهما ضد الآخر ، يتقاتل في حرب ضروس • وإذا كان صحيحاً أننا نعيش في عدة مستويات في وقت واحد هي - الصراع والعمل ، والماضي والحاضر ، والشخصي والجماعي - فإننا قد منحنا الطرق لتوحيدها : بعضها بالدين ، وبعضها الآخر بالفن • ولا يكون الفصل بين هذه المستويات ضرورياً إلا عندما تتنازع ، والفصل هو نتيجة للنزاع • وإرادة كيف يمكن لهذه المستويات أن تعمل معاً في انسجام هي مهمة الكتاب المعاصرين •

لهذا على الكاتب أن يدرس الممرات • وتلك الممرات كروافع الأقنية، تغذي بعضها بعضاً في حين أنها تحول دون غرق المستويات • إن حرفة العمل الفني وشكله يقومان على هذا الأساس من منع الغرق • فالهواة يغرقون • وعلى الكاتب أن يظل منفتحاً ، مرناً ، يلاحق ويطيع الصور التي تنزع البنية الشعورية الى تحطيمها أو محوها • وتلك الكتابة التي يستخدمها العلم أو الفكر لن

تعيد الصور ولن تنقلها الى أقية الشاعر ، عندما تكون مؤثرة . نحن نصنّف ، ونهرس ، ونضع في ملفات ، ولكن ليس بعيد شديد عن الشعور بالتنظيم ولكن بعيد عن الخوف . والعالم النفسي ينما هو يستخدم الأحلام بوصفها نوعاً من مسبار المحاكاة الألكترونية لرسم أعماق اللاشعور ، فإنه غالباً ما يكون ، كما بين الدكتور ر . د لينغ ، شديد القلق لاتنزاع الخطوط الفاصلة للحالة السوية حسب تعاريفها التي لا توجد في الواقع بوصفها حقائق نهائية بل تتسوج وتتغير وتعديلها البحوث الجديدة .

وقد يكون دمج الشعور وما وراء الشعور مخفوفاً بالمخاطر عند العصامي ، كما هو مخفوف بالمخاطر عند متناولي المخدرات . ولكن الكاتب الذي يعي الطريقة التي توجد بها هذه العلاقة التي تحيا في الواقع وتفذي الإبداع ، فإنه سرعان ما يستطيع أن يؤلف بين الفكر ، والحدس ، والافعال ، والغريزة ، وسرعان ما يصبح عمله متكاملًا .

عندما يدرس المرء المرات ، فإنه يكشف الشكل والنموذج الدقيقين للاشعور ، ولكن المرء لا يصبح مرئياً حتى تجتمع العناصر . ويتعلم المرء عقد اللاشعور من التحليل النفسي . إنها قصة بوليسية عن الافاعلات . وقد كان هذا المفهوم مبسّطاً في مسرحية إريك بيرن « أناس الألعاب » . ومن الممكن لأية محاكاة اصطناعية للاشعور أن تضبط بالجزم بسهولة . فهي غير معقولة وخالية من المعنى ، وهي مشوّشة وقبيحة . والصور غير مترابطة . وهي لا تهدي الى شيء .

وما يفعله المحلل النفسي هو كذلك ما على الروائي أن يفعله — وهو

السبر بعق يكفيه لكي يجد أين تحطمت السلسلة • والتجارب الجرحية هي التي تحدث مثل هذه التخطيطات • والمحلل النفسي يصلح الروابط المحطمة، ويعد اللاشعور، الذي كانت بدايته في التجربة الشخصية، للاندماج في الحياة غير الشخصية •

والشيء المهم هو أن تتعلم من الكاتب الطرق والطرق الفرعية لهذه المرات بين الشعور واللاشعور • واللاشعور قد يصبح تدميراً إذا ما تجاهلناه أو عارضناه • والعصاب، المؤسس الخوف، يخلق زنانات منفردة ليحمي نفسه من الانتهاك • والعديد من كتاب اليوم قد استوعبوا اكتشافات التحليل النفسي وهم أشد خبرة في وصل ما وراء الشعور بالشعور • إننا بادئون في مشاهدة تأثير الحلم في الواقع والواقع في الحلم • والفن يكشف لنا تعدد المستويات التي نعيش فيها • وهذا قد يكون ما نود أن نبر عنه فيما ندعوه الآن « الوسيط المتعدد » •

وكل أعمال كافكا تقريباً قد أخذت مكانها في حقل حلم اليقظة، وقد كتب بروست وصفاً كلاسيكياً للحالة بين النوم وحلم اليقظة في « ذكرى الأشياء الماضية » •

وفي « شتاء المكر » Winter of Artifice ^(١) (ص ١٧٠ - ١٧٥) قصدتُ إلى اختبار الطبقات المختلفة للحلم :

(1) Published by the Alicat Bookshop Press, Yonkers, New York, 1946.

(عندما دخلت الحلم سرت على الأرض • كانت الأنوار المتلألئة عليه قد تبدلت أشكالها وشدتها مثل أنوار المسرح • وجرت المشاهد تحت الضوء المسلط عليها وقد كان يغلفها حجاب كثيف من السواد • وكانت المشاهد منفصلة ، أو مقطوعة ، أو متبددة بالفواصل • وكان الإخراج المسرحي مؤسّلباً ، ولا يقدم إلا ماله معنى • وفي معظم الأحيان كنت الضحية والمشاهدة • في الوقت نفسه •

كان الحلم في تركيبه أشبه ببرج ذي طبقات لا نهاية لها ، يرتفع ويغيب في اللاحدود ، أو تلتفت طبقاته متجهة الى الأسفل لتضيع في أحشاء الأرض • عندما ابتلعتني أمواجه ، بدأت اللولبة ، وكان اللولب متاهة • لم يكن فيه قبو ولا قرار ، ولا جدران ولا مخرج • بل كانت فيه موضوعات تكرر نفسها بدقة • وإذا كانت جدران الحلم مكسوة بالحرير الطري ، وخطوط المتاهة مكسوة بالضمت ، فإن خطوات الحلم تظل مجسومات من الاتعجارات التي اندفعت فيها كل شظايا نفسي المدانة داخله حياة غامضة وعنيفة ، بقلق أمومي شديد نحو الليلة الدائمة اليقظة عند الازدهار •

على أول طبقة اللولب كان صحو • وما زلت أستطيع أن أرى نور النهار بين حواف الأهواب • مازلت أستطيع أن أرى فرجات العالم • وكان الحلم ظلاً ناقصاً ، حيث كانت الأفكار مرصعة بخطوط البرق • وكان المكان الذي كانت فيه الصور تصفو وتفصل ، وظلالها مرمية خارج المكان • • كان المكان الذي لم تترك فيه الخطوات أثراً ، والذي لم يكن للضحك صدى فيه ، وكان فيه الجوع والخوف عظيمين • كان المكان الذي تمكنت فيه أسرع

الخيال أن ترتفع دون أن تشعر بالريح ... وكان الحلم مصفاة . لم يكن مسموحاً بالعالم الكلي ... ولكن مع الليل جاء الافتتاح ... مع الليل جاءت مسافة ... ولم يكن الحلم مزحماً . لقد صفاه موشور الإبداع ... وحدد زمانه الإحساس ... وفي النهار تابعت الحلم خطوة خطوة . كنت سأشعر بالضياع والارتباك لو لم يحمل لي النهار صورته ... وكان الحلم يجري في المقدمة . وأن ألاحقه ، وأن أحيأ في هنية انسجام معه ، كانت هي المعجزة . والحياة على المسرح ، هي الأسطورة المعشقة بنور النهار ، وخارج هذا الزواج تغالزت طيور الألوهية ، هنيهات خالدة .)

كما أصبح الشاعر النثري مفتوناً بمصدر الصور الفني ، ركزت على وصف العالم الحلي ، ولعله قد أغرتني إليه الصعوبات التي فيه . فمن الواضح أن العالم المادي أسهل على الوصف . وكانت أول إسائة لقهم أعمالتي التي ظهرت واستمرت الى الآن هي أنني كنت أكتب قطعاً غير واقعية وشبيهة بالأحلام .

لقد كان تشديدي هو على العلاقة بين الحلم والواقع ، واعتمادهما على بعضهما .

والروائي اليوم يسير على خط مواز للعالم النفسي ، حيث يتبين ثنائية الشخصية الإنسانية وتعددتها . ولن يكون توجيه هذه العناصر المختلفة واجتيازها وإظهارها بأصعب من قيادة الصاروخ . فالحلم ، وحلم اليقظة ، والفكرة الخيالية ، والزوة هي كلها تتواشج وتتبادل العلاقة في وقت واحد ولكن على مستويات مختلفة . والطريقتان اللتان يوصف بهما اللاشعور من

خلال الرمز والسريرية تماثلان تطور الدراسات السيكولوجية للأحلام .
والرمزية لسوء الحظ قد ارتبطت في الأذهان بالرومانتيكية ، ولكننا مضطرون
الى إرجاعها الى أنها أهم شكل للتعبير عن اللاشعور .

سألني أحد الطلاب مرة ، هل نحن نحلم بلغة الرموز وهل من الشائك
فهمها ، ولماذا لا يترجمها الكاتب الى صيغة مباشرة . لو ترجمها الكاتب لما
تعلمنا هذه اللغة . الرمزية لغة علينا أن نتعلمها من أجل أنفسنا ، لأننا حتى
ولو كنا لا نهتم بتفسير أحلامنا ، فإننا سوف نسلك في حياتنا باللغة الرمزية .
وهذا شاهد من عناوين اليوم : « الطلاب ينقعون برنامج جر الانتقال في الدم » .
وجون هوكز في هذا المقطع من روايته « أكل لحم البشر » يركز على
هذه الهواجس الرمزية (2) :

(في أقصى المسافة كانت دار صغيرة ، ينطوي سطحها تحت سفح الثلج ،
وتطل نافذتها الخلفية على عشرين ميلاً في الخارج وألف قدم في الأعماق ،
وكانت ستيلا وإرنست ، ويداهما تمسكان ببعضهما ، يسيران على هذه الأرض
القضية كل يوم بعد الظهر ويجتازان الدار ، صامتين في ذهول رائع ، يتلفتان
ويربтан على بعضهما في إثارة . وكانت بعض الأشجار القصيرة قد اتكات على
المنحدرات الصخرية الشاهقة متعرضة للخطر . وكانا كل يوم بعد الظهر يمران
بالرجل العجوز الجالس على درجة الباب ، الذي تكومت على حذائه قشارات
خشبية هشة شبيهة بالرفاقات الصفراء المتفتحة على الثلج . كان يتسم ابتسامة

(2) John Hawkes, The Cannibal (New York : New Directions Pub.
Corp., 1949), pp. 86,87 - 88.

عريضة عندما ينحت ، وكان يرفع ظهره اليهما ، فيبدو موشكاً على الضحك ، ويخفي كنفه متجهاً الى الوراء ، خلف الكوخ ، في الفراغ الخارجي . وكانت الصلبان التي ينحتها صغيرة وكبيرة ، خشنة ورقيقة ، بعضها ذو فخامة بسيطة ، وبعضها الآخر يتحدث عن الاستشهاد بدقة . ومرّاً كذلك بحذاء قدميه فوقعت عيدان الخشب غير المنحوت - وبينها قطعة خضراء من لحاء الشجر تركها ليصنع منها مئزراً للمسيح : ذلك أنها لم تكن معلقة بمتانة على السلك المعقد ، فاستدار ببطء يشع سواد عينيه بينما كان جسده بليداً . وكان السائحون يدفعون مالا سخياً ثمناً لهذه الصلبان لأن إنسانيتها كانت عادةً أشدّ من قدسيّتها ، وإيلاقها أشدّ من إعجازها . وارتفع الكتف ، وتوقفت السكين ، وأخذ يشير الى قرب المرتفعات الصخرية . وبعد الأسبوع الأول ، اشترت إرني صليباً من الصلبان ، هو الروح الحارس الرهبّ ذو الألم المبرّح الملتفّ حول قم ليس أكبر من الخرزة ، وقد صوّرت بمنتهى الإحكام يده الصغيرتان . ثم بدأ يجمعها ، وفي كل يوم بعد الظهر كان يلوح مسيح جديد من جية بين باقات الوبر .

والآن أصبحت صلواته في وقت الطعام مسبوعة تماماً . وصبغت الشمس المائلة النواذف الناقصة ... ولا مست يدّه ، فوجدتها صلبة وباردة ، ناعمة ودينية . فلننت بادی الأمر أنها استطاعت أن تشعر بشيء من عقيدته الأسقفية ، بشيء من هذا الطقس المختلّس الذي أجهد نفسه فيه شيئاً فشيئاً ، حتى عندما كانت الأماسي غنية بالألوان .

وبدأت الصلبان تملأ الفندق . (ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨)

إن اللاشعور لا يستطيع أن يعبر عن نفسه مباشرة لأنه مركب من الماضي، والحاضر، والمستقبل، ولأنه كيمياء لا زمنية ذات أبعاد متعددة. والتعبير المباشر يحرم العمل من فعاليته. والصورة التي تهمل الرقيب الذهني هي التي تؤثر في انفعالاتنا ومشاعرنا. والعمل يمكن أن يفسر على مستويين - أحدهما بوصفه عملاً، والآخر بوصفه معنى. فلـ «الآن» جذوره في أمكنة أخرى من الماضي. والعالم السفلي الفاتن للعمل الرمزي قد عرفه الشعراء دائماً. وكان فرويد قد شكك أنه كلما قام باكتشاف وجد أن بعض الشعراء قد اكتشفوه قبله.

نحن في العلم نستخدم الرموز. فلماذا إذن لا نستخدمها في الشعر؟ لماذا يجب أن يكون المحلل النفسي هو وحده القادر على تفسير أحلامنا وأفعالنا الرمزية؟ وكما برهنت الرموز الرياضية على أنها أداة أساسية في تطور العلم الحديث، فإن الرموز الشعرية هي الآن أشد ضرورة من أي وقت مضى في كتابة الروايات، لا لأنها شعرية، أو غامضة، وإنما لأنها وحدها القادرة على أن تبحث في نسبية الحقيقة في الشخصية.

إن الحالة النفسية التي أقع فيها عندما يتسلكني العمل حقاً تشبه استغراقات الصوفيين. إني أوصد الباب على العالم الخارجي لأركز على ما أرى وأشعر. ولا ريب أن فعل الإبداع شديد الشبه بفعل الحلم. والفارق أنه يشتمل على نشاط يصعب تحليله. وليست القوة هي مجرد استدعاء الصورة، ولكنها كذلك تركيب الصورة. والقدرة الثانية، قدرة الإبداع الفعال، هي التي تنجو من استخدام المخدرات. فالمخدرات تنتج السلبية.

وسلية ، كسلبية الدين الهندي ، تدمر الحياة الإنسانية والفن معاً .

المجراف هو مجراف هو مجراف هو مجراف

بالعملية التي لست مستعدة لتحليلها ، أصبح الأدب الأمريكي أشد أدب حرّ في أحادي الجانب في العالم . وما زال الأكاديميون يفسرون رمزية « موي ديك » ، ولكن الدراسات الحديثة في الخمسينات لم تستطع أن تفهم رمزية د . هـ . لورنس . كانت الرمزية هي ببساطة المعنى الاتقالي والروحي لأفعالنا ! إن ثمة رمزية في كل شيء فعله - في إهداء الزهور الى الموتى ، وفي ولائم عيد الشكر ، وفي الاحتفال بعيد الفصح ، وفي الشعائر الدينية ، والمصافحة بالأيدي ، وحتى في بصاق الجانحين على المارة في النفق .

والعديد من الشعراء الأمريكيين ، كما يرى كارل شايرو ، يكتبون نثراً لا شعراً . فالنثر حرّ في . والشعر بَعْدِي . فلماذا نريد أن ننفذ الى مملكة الحلم ؟ لأنها تشتمل على مفتاح لمعرفة ذواتنا . والمغامرة في اللامعقول تخيف بعض الكتاب . فالمملكة التي يأخذنا الكاتب إليها قد تجعلنا نفقد النفس التي تعودنا عليها . نحن نخاف من التغير ، والتأثر ، خلف سيطرة العقل . فالحقيقة أن للشعر تأثيراً لا يُدرك . إنه يؤثر بالعدوى ، والتقمص ، كما تؤثر الموسيقى .

وتدين بعض تجاوزات الشبان في تفجر الخيلة والأصالة لقمع هاتين المقدرتين قمعاً طويلاً ، وهما التوحيد القياسي الذي أحدثته الميول التجارية ، والتنظيم الصارم الذي بلغ الذروة من الرتابة الكاملة . إن الفن هو الذي يحدد ضوابطه . والشكل هو اختيار ، وليس قمعاً . ونحن لا نستطيع أن نتجاهل

اللامعقول ، لأننا لا نستطيع أن نحقق الأخوية العميقة دون أن نستكشف وننظم قبل أي شيء هذه القوى غير العقلية التي تستمر في تحريض الكائنات الإنسانية تحريضاً إلزامياً أعمى . ونحن مضطرون أن نعترف بأن ما اعتبرناه قمع العقل للنفس اللاعقلية كان وهماً . فالنفس اللاعقلية لا يمكن أن تقمع لأنها كذلك مصدر الشعور ، والحياة ، والإبداع ، والدين ، ولكنها من الممكن أن توجه بالفهم .

بدءاً بفرويد ، واستمراراً بأوتو رانك ، ومن ثم بالرائد الأشد حداثة ر . د . لينغ ، اكتشفنا التثبيطات التحزيرية والألبسة التنكرية . ومسؤوليتنا تكمن في قدرتنا على توجيه كل موجة من موجات الغضب ، والتشويه ، والبغض التي تقذفها في العالم كأنها قنابل من صنعنا .

لا مفر للإنسان من الحلم . وعلى الإنسان أن يتعلم العيش خارج التاريخ بالإضافة إلى عيشه فيه ، وإلا سيصبح كالحروف المتأخر منجرفاً إلى أخطائه (التي هي كمخاوف النازية) . إنه يحتاج إلى جزيرة روحية يمكنه فيها أن يجدد قوته ، وقيمته المبعثرة ، وارتعالاته المجروحة ، وعهوده المتفسخة . إنها الحاجة إلى مختبرات النفس التي تعالج اليأس ، والتشاؤم ، والهستريا . والحياة الداخلية ، المحروثة ، المعتنى بها ، هي ينبوع القوة . وأن نخلطها بالبرج العاجي المضطهد بشدة معناه أننا نفتقر إلى فهم البنية الداخلية التي نحتاج من أجلها إلى مقاومة الكوارث والأخطاء والمظالم الخارجية . وإذا أصررنا على العيش داخل التاريخ كأننا أصفار لا وجود لها ، فإننا لا نضيف شيئاً إلى التاريخ .

إن رفض الثقافة في الماضي للفن المنظوي على العوالم الليلية قد جعل الكثيرين يلجؤون الى نفس الحواجز بالمخدرات التي وصفها هكسلي بأنها فتح أبواب البصيرة . والحلم لا بد منه للصحة النفسية . ولقد أقيمت الدراسات حول الحالمين وكان من الملاحظ أن قطع الحلم يسبب العصبية والزعزة . (« الأحلام هي فترة نكون فيها مجانين بأمان ، ولذلك نستطيع أن نبقي أسوياء خلال النهار . » - مسزر . كارترايت ، مديرة مختبر النائمين ، جامعة إنونيز .) والوجه السلبي الوحيد للحلم هو عندما يكون مقطوع الصلة بالواقع .

وباستخدام المخدرات يصبح الناس سلبين ، سائحين غير خلاقين في عالم الصور . والحاجة الى دمج رسائل الحلم بالحياة لا يمكن ان تتحقق بغير اللاشعور بصور تنفوق فائقته على الامتصاص ، والتفسير ، والدمج ، والربط بالنفس الأخرى . والفنان يصب أحلامه في أعماله ، وهي تتخلل شكل العمل ، سواء أكان رسماً ، أم مؤلفاً موسيقياً ، أم رقصاً ، أم شعراً أما المخدرات الهذيانة فإنها لا تلهي إلا الصور التي تشتمل عليها أحلامنا ولكنها لا تعلمنا تفسيرها ، أو إضاءتها أو تنويرها . ويغلاق الباب على العالم الخارجي ، لا تواجه المخدرات الفرد بالنفس الحاملة فحسب ، بل كذلك بالكوايس . والشعراء الذين سكبوا كوايسهم في الأدب (مثل لوتر يامون في « أناشيد المالدورور » ، أو رامبو في « الإثارات » ، أو أنا كافان في « أجزاء الحرم » أو جينه في أي عمل من أعماله) قدموها لنا في شكل يختلف عنها اختلافاً شاسعاً كاختلاف ما يرسمه المجانين عما يرسمه عظماء الرسم .

فالفنان إذن يستدعي تخيله ويستميله ، فهو مسير ذاتياً . وما ينجزه التسيير الذاتي يقوي قدراته على البناء والابداع . والصور والأحاسيس ينبغي أن تصبح عملاً أدبياً ، وإلا فلن نستطيع أن نشاركها مع الصور والأحاسيس الأخرى أو أن نبذل علمنا وفقاً لخططنا ورغائبنا . وسر الخصب يكمن في الأعماق الجيولوجية للرمز الحلمي . فالفكر ذو تأثير جاف في التجربة . والتحليل تشريح ، تشريح الوسيلة من أجل العمل على المادة الميتة . والفنان يعمل بالمادة الحية .

وقد أخبرني الدكتور روبرت هاس عن رسام ذهب الى فرويد وقال له : « أنت تفسر الأحلام ، وأنا أعلم الناس كيف يحلمون » . إنه لتعريف جيد للأدب . وقد عرّف يونغ النفس بأنها قوة واقعة بين الشعور واللاشعور تمنح الإدراك المتساوي ل كليهما .

وثمة قوة محددة للذهن أيضاً تكف بها الحياة والموت ، والماضي والمستقبل ، وما هو قابل للنقل والإبلاغ وما يتعذر إبلاغه ، والعالي والوطي ، عن أن تفهم بوصفها متناقضات .

ولقد قال نوفاليس إن العالم شكل مستخرج من الروح ، إنه صورتها الرمزية

وقال بيير ما بي في « مرآة المدهش » (٣) :

(ينبغي لمن يود أن يبلغ المدهش العميق أن يحرر الصور من روابطها

(3) Pierre Mabillet du merveilleux (Paris : Sagittaire, 1940).

المتذلة ، تلك الروابط التي يسيطر عليها الحكم النفعي على الدوام : ينبغي له أن يتعلم رؤية الإنسان خلف وظيفته الاجتماعية ، وأن يحطم ميزان ما يسمى القيم الطبيعية ، ثم يعيده ميزاناً للقيم الحسية ، وأن يتغلب على المحرمات ، وعلى ثقل التحذيرات السلفية ، وأن يكف عن ربط الموضوع بالكسب الذي يمكن للمرء ان يخرج به ، وبالثمن الذي له في المجتمع ، وبالعامل الذي يستحقه . ويبدأ هذا التحرر عندما ترتفع بطريقة من الطرق الرقابة الإرادية للضمير الفاسد ، وعندما لا تبقى آلية الحلم معوقة . فالطقوس السحرية ، والممارسات النفسية التي تقود الى التركيز والبحران ، والتحرر من الأوتوماتيكية النفسية ، كلها وسائل قادرة على تنمية الرؤية عبر التوترات التي تحدثها . انها وسائل تنمية القدرات : إنها طرق الاقتراب من مملكة المدهش .)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذا ما كتب في الأربعينات . وقد كتب الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار ⁽⁴⁾ : « إن الشباب الدينامي عند بعض الفنانين الشيوخ يبدو برهاناً على أن الخيال هو مبدأ الشباب الخالد . »

ويذكرنا والاس فاولي في « عصر السريالية » ⁽⁵⁾ بتعليم فرويد للسرياليين

(4) Gaston Bachelar, Poétique de la reverie (Paris : Press Mniversitaire de France, 1960), P. 81.

(5) Wallace Fowlie, The Age of Surrealism (Denver - Chicago : The Ewallow Press; and New York : William Morrow & Co., Inc., 1950), P. 182.

أن الإنسان كائن نائم في المقام الأول . ولذلك على السريالي أن يلاحق أحواله الشعورية كما عليه أن يلاحظ أحلامه وهو نائم . على السريالي أن يتعلم الغوص في أحلامه كما نزل أورفيوس الى العالم السفلي ليستكشف كنوزه .

يقول فاولي عن « يوليسز » : « في الحادثة الأخيرة من رواية « يوليسز » لجوليس ، نجد في نجوى مولى بلوم الطويلة أن الشخصية كفت عن أن تكون واقعية بأي معنى مألوف . إنها مستلقية على السرير والكلمات التي تجتازها في حلمها النصفي وحالتها الشعورية النصفية تحولها الى رمز أسطوري للمرأة ، الى رمز الأرض نفسها » .

وقد كان أندريه برتون أول أديب تقبل فرويد بوصفه قوة من القوى العظيمة التي تساعد الإنسان على استكشاف معنى الكلمات وحيويتها وعلى إضفاء الأهمية على أحلام الإنسان وما وراء شعوره . لقد شعر برتون أن ثمة في الذهن قوة محددة تكف فيها الحياة والموت ، والواقع والخيال ، وما هو قابل للنقل والإبلاغ وما يتعذر إبلاغه ، والعالي والوطيء عن أن تفهم بوصفها متناقضات . والعقلانيون يعرفون هذه القوة بأنها الجنون ، ولكنهم يقصرون رؤية أنها توازن الثنائيات وتقيم بينها علاقات متبادلة وتجعل الوحدة ممكنة . وعلى المرء أن يخاصم هذه الأشياء « الكائنة » من أجل التوحد مع الأشياء التي « يمكن أن تكون » .

والمخدرات ، بإغلاقها الباب على العالم الخارجي تنعش القدرة على الحلم ، ولكن هذه القدرة ليست مجرد شريط صور ينظر اليه بسلبية . إن لها وظيفتين إبداعيتين : إحداها تحفظ النفس حية في لغتها المناسبة (من صور

ومشاعر) ، والأخرى تغذي الإبداع • والاغتراب ينشأ من رفض معنى الحياة • وفي اليوم الذي تكف عن التغذي بأنهار النفس ، نشعر أن الحياة فارغة • ونحن لا ندرك الاغتراب إلا عندما يظهر العصاب عارضاً من أعراضه •

عندما جعلنا شبابنا قساة لمواجهة « الواقع » عرفنا « الواقع » بأنه غير سائغ لهم • لقد أزلنا حساسيتهم نحو الحقائق السيكولوجية • وأحدرنا وشوهدنا الفنان الذي يود أن يوسع خياله وشعوره دون أن يتعرض لآثار جانبية • وبالتالي ، فإن الشبان ، الذين تدربوا على السلبية والاستسلام ، قد أصبحوا ، من خلال المخدرات ، مبصرين في عالم الصور — لا مبدعين •

إن الشبان لن يحتاجوا الى المخدرات إذا تثقفوا على حياة المشاعر والاشغالات من خلال الفن • فالتق قد وهب الناس خلال العصور الإحساس العميق بالحياة ، ومنحهم مفتاح معناها • ولقد سلب الشبان الإحساس العميق بالحياة بسبب المحرمات في علم الجمال ، وفي الأحاسيس ، وفي الخيال • واستطاع بروس ، الذي حرم الشبان الأمريكيين من قراءته ، أن « يسمو » في تأمل بساط الحمام الذي أضاءته أشعة الشمس • إن أبواب ثقافتنا قد أغلقت بإحكام في وجه « كيف نشعر » • وعدء الحلم عارضاً من أعراض العصاب ، واتسم علم الجمال الى الثقافات الأخرى ، وكان الفن كلمة فاحشة ، وكانت السريالية لا تتلائم إلا مع فرحات دالي • ولم تكن نستطيع أن نسيها عندما تظهر على سبيل المثال في أعمال فائيل وست أو روايات هنري ملر •

الحلم هروباً

ظلت ثقافتنا النفعية أمداً طويلاً تعتبر الحلم هروباً ، و أدب الخيال

والتجريب هروباً • ولم يستطع الشبان أن يجدوا إلا طريقة واحدة خارج قسوة المناهج الصارمة والخطرة • والفضول من وجهة دلالة اللفظة هو استخدام في غير محله يحط من القدر ، عندما يعني في غير محله (أو الذي يفضي « أو يجر الى » خارج التربية) وكان الفضول ذات مرة تعريفاً للثقافة • لقد غسلنا أدمغة الشبان فيما يتعلق بالواقع • والشبان لا يبحثون عن الهروب بل عن التوسع •

لقد كان العظماء الحقيقيون من شعراء ، ورسامين ، وموسيقين قد فتحو الأبواب طوال الوقت لاتساع الوعي • وقد تعلم السرياليون البحث عن المدهش ، وهي طريقة الحياة والإبداع الملبئين بالمفاجآت ، طريقة إعلاء الحياة وتشريبها بالمعنى • فلم يكن من الضروري استخدام المخدرات لبلوغ هذا الاتساع • وفي أمريكا تميزنا للكتاب ذوي البعد الواحد الذين يصورون العالم ذا البعد الواحد • لقد أغترنا كل تحليق غنائي فوضى بدلاً من أن نعتبره تحليق الخيال • وقد كان كل تحليق للخيال مدناً بوصفه ابتعاداً عن الواقع • فكان المنطقي أن ينحو الشبان نحواً اصطناعياً لبلوغ عالم اللاشعور الذي أغلق في وجههم •

ولا ريب أننا نحمل في جوانبنا هذه الحياة الفسيحة الغنية تحت الشعورية كما يحمل المحيط حياته البحرية ، وعندما لا ندركها ونوجهها ، فإنها، تحت الضغط ، قد تبرهن على وجودها بطريقة تدميرية • وإذا كانت حياة الفرد الشعورية شديدة الصلابة ، صارمة التنظيم ، فإن السطح بمرور الزمن قد يتصدع ، عندما تكون غير مستعدين للانفعالات التي سنختبرها • وهذه

الاشغال تصبح سلبية وتدميرية . وفي الثقافة الجماعية القديمة ثمة غرفة على الدوام للحلم ، لذلك الذي يحلم للقرويين ، وذلك الذي يفسر الأحلام ، وللبشائر ، والأساطير ، والحكايات المروية ، والتاريخ المحفوظ ، والقصائد الثلاثية المقاطع ، وأساطير العشرة . وقد طور الدكتور الفرنسي « دزوالية » تقنية في توجيه الحلم بعيدة عما ساء « التجربة النزولية المخيفة » (وهي الآن تسمى الخطوة العائرة) للصعود الذي هو من ممارسات الحرية . وفي ثقافتنا تتكلم كثيراً عن الحرية ، ولكننا لا نشعر بأننا أحرار . فخيالنا ليس حراً .

لقد عُدَّ الحلم هروباً ، ملاذاً ، وهماً ، وطريقة في الكسل . وخصائصه الإيجابية كالإلهام ، وإظهار كوامن الإنسان ، والتخطيط للإبتكار والابداع قد تجاهلها كل الناس إلا الفنانين . ولقد تحدث السرياليون عن استيلاء الحلم على الذهن لإثرائه لا لإخضاعه له . وعُدَّه بعضهم مضاداً للعمل ، ولكن السرياليين وعلماء النفس قد عرفوا أنه مصدر للعمل . وتحليلات السرياليين في الخيال ، والابتكار ، وقوة الملح أدلة على وجود العوالم الخفية العميقة . ومن يستطيع أن يفسر أحلامه لن يخاف من الوقوع في شركها . إنه مستكشف . وفي « منزل سناح القربى » وصفت ما يبدو معقداً في الحلم ، لا يمكن وصله بالحياة ، ولا يمكنه أن يصل الى « نور النهار » . ولم أكن قاصدة الى البقاء في تلك الممالك بل الى استكشافها .

لقد علمتنا دراسة مرض القلب ما القلب السليم . وعلمتنا دراسة العصاب العلاقة بين الحلم والحياة . ويستمد العدد المتزايد من الكتاب إلهامهم من الأحلام .

وفي « الغابة الليلية » لدجوننا بارنس فصل سمته « أيها الحارس ، ماذا عن الليل ؟ » (٦) :

(سأل الدكتور : « هل سبق لك أن فكرت في الليل ؟ ») ... فقالت نورا : « أجل ... لقد تعودت أن أفكر ، ... في أن الناس قد ذهبوا الى النوم ، أو إذا لم يذهبوا أنهم كانوا ذواتهم ، ولكنني الآن ... أرى أن الليل يفعل شيئاً لذاتية الإنسان ، حتى وهو نائم ... إنني لم أفكر في أن الليل حياة أبداً ... »

« الليل والنهار مسافران ... ونحن نمزق أحدهما من أجل الآخر ، ... ولكي تفكر في البلوط ينبغي أن تصبح شجرة . وشجرة الليل هي أشق الأشجار مصعدا ، وأقسامها قشراً وأجزءها ملتصاً ، وأصعبها في مسالك الاغصان ، وهي تنز صمغاً وتقطر قاراً أمام النخلة التي لم تغامر بتقديرها . والغوروس الذين آمل أنك تعرفهم ، هم معلمون هنود ، يتوقعون منك أن تتأمل البلوط عشر سنوات باستمرار ، وإذا لم تكن في ذلك الحين متنبهاً للجوزة ، فلن تكون نيراً جداً ، وقد تكون تلك هي الحقيقة الوحيدة التي ستخرج بها ، وهي سوداوية ما بعد التخرج - لأنه لا يستطيع أي إنسان أن يجد حقيقة أكبر مما يراه مزاجه . ولذلك فأنا ، الدكتور ماتيو مايتي أوكونور ، أطلب إليك أن تفكر في الليل طوال النهار ، وفي النهار خلال الليل ، أو لدى إقناذ الذكاء بشكل مؤقت ستفاجئك بشدة - قاطرة تجشو فوق

(6) Djuna Barnes, Nightwood (New York : New Directions Pub. Corp., 1961, Paperback), PP. 80 - 89.

صدرك ، تتعثر عجالاتها على قلبك ، إذا لم تفسح لها طريقاً ... خذ التاريخ ... هل في الليل سدوم أصبحت عمورة ؟ أقسم أن ذلك كان في الليل ! كانت مدينة مكرسة للظلال ، وهذا ما يفسر لنا لم لا نقرأها ولا تفهمها اليوم ... لأنه ليس للأحلام إلا صبغة الواقع ... ولماذا لا يكون النائم مسؤولاً ؟ وأي حديث يجري ، ومع من ؟ إنه يضطجع مع نلي ويغلبه الناس بين ذراعي غريتشن . الآلاف التي لا يطلبها تأتي الى سريره ... وهكذا بتعوده أن ينام وأن يلتمهم الحلم الحدود يجد ما يحلم به أسهل العادات مع السنين ، وعند المأذبة تندمج الأصوات وتتقاتل دون أن ترتفع . إن النائم هو مالك الأرض المجهولة ... ونحن ننظر الى الشرق من أجل الحكمة التي لن نستخدمها - والى الحلم من أجل السر الذي لن نجدّه . ولذلك أقول : ماذا عن الليل ، عن الليل الرهيب ؟ » (ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩)

إن بعض الناس من أمثال كوستولا يهتمون إلا بما يكمن في أعماق المحيط . وبعض الناس لا يهتمون بالماضي ، وبالجيولوجيا والأثروبولوجيا . ولقد أبرمني السطح الخادع المشدود الى الأنهار الجوفية والذي لا يشتمل على سر ولادتنا المادية بل على ولادتنا النفسية وسر سلوكها فوق الأرض . فالحاضر (الآن) عمل ولكنه يمتلك جذوره سواء في الماضي أو في الدراما النفسية غير المحسوسة . وهذا العالم الفاتن لم يلهم إلا المحلل النفسي والفنان . فالمحلل النفسي استكشفه ، والفنان اختبره وسجله .

عندما سئل روسو لماذا رسم مضجعا في وسط الغابة ، أجاب : « إن لنا الحق في أن نرسم أحلامنا » . وعندما سئل ساعي البريد الفرنسي الحبيب الى

السريالين عن بنائه قلعة مصفرة في فترة ثلاثين سنة بحجارة كان يحملها في جيبه خلال توزيعه الرسائل البريدية ، أجاب : « عندما يكون على الانسان أن يمضي ثلاثين سنة في الطريق نفسها ، فلن يكون لديه سبيل الى إنقاذ نفسه من الرتابة إلا بإبداع شيء حلم به » . ويمكن أن يقال الشيء نفسه في « أبراج واتس » التي بناها سيسون روديا في لوس أنجلوس ، بصبر ثلاثين سنة ، من الأحجار التي أهلها خلال عمله في البناء . والرمز الجوهري للتحويل يمكن للمرء أن يراه في الطريقة التي بدأ بها فرانتس كافكا روايته « الاستحالة » : « ما إن صحا غريغور سامسا ذات صباح من أحلامه المضطربة حتى وجد نفسه قد تحول وهو في سريره الى حشرة ضخمة » .

ولقد رفض رملكه التحليل النفسي . إذ خاف أن يشفيه ، فيشفيه من الشعر . ورفضه كافكا ، فظل حبيسا في عالم ضيق من الكوايس . وقبله هرمان هسه ، فاتسع خياله . فالخوف لا يحفظنا إلا من الأعماق . وكان ستريند برغ في طليعة زمانه . فقد استكشف عمل ما وراء الشعور في أثناء النوم ورأى كيف تنشطر شخصية الحالم الفرد الى شخصيات متعددة ظاهرة الاختلاف . ولهذا كتب « لعبة الحلم » ، التي لو كتبت الآن لسميت سريالية كسريالية « انتظار غودو » . ووحّد هرمان هسه الاهتمام بفلسفة الشرق مع التحليل النفسي الذي خضع له ، ولعل هذا قد منحه الجرأة على شق نظام كرونولوجي (ميقاتي) في الحلم الطويل الذي هو أحد مقاطع روايته « ذئب البوادي » التي يعيش فيها اقصام الشخصية خارج تعدديتها بوضوح شديد . وكان لجاك لندن حلم متكرر عن كونه في عشب طائر ، بني فوق شجرة ،

جعلته يعتقد أنى عانى مشاعر الإنسان البدائي الذي كان يعيش في الأشجار :
« إنني بالغ الصغر وقد التجأت الى نوع من الأعشاش المصنوعة من الأغصان
والأعواد » . وعلى هذه الذاكرة الجماعية أسس كتابه « آدم » الذي وصف
فيه وجودنا قبل التاريخ عندما كان أسلافنا يعيشون في الأشجار وكان خطر
السقوط يهددهم على الدوام . إنني لا أعرف الحقائق العلمية حول هذا
الموضوع ، ولكن الأطفال جميعاً يحبون منازل الأشجار ومن الممكن لنا أن
نخرج باستنتاج من هذا الحب . وكتب د . هـ . لورنس حول مراقبته الهادفة
لإحدى الشجرات وشعوره بأنه أصبح شجرة . « إنني أود أن أصبح شجرة
بضع دقائق . إنها تراقب المكان كبرج هائل وأنا أقف تحتها أشعر بحمايتها .
إنني أصبح تلك الشجرة . إنني أمتلك في أوصالي قوتها ، وصلابتها ،
وجذورها المتماكة المثينة » .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhi.com>

تأثير الحلم في الواقع

يمكن للأحلام ، إذا ما أتيج لها ، أن تكون هاديات للعمل ، شريطة أن
يستحسنها الذهن الشعوري وأن تستجيب لها الانفعالات استجابة إيجابية .
وأود أن أقدم مثالا على تأثير الحلم في الواقع . لقد بدأت تجربتي بزيارة دار
في برينانيا كان قد شغلها ده موباسان ذات مرة . وكتب فيها معظم قصصه .
وفي أثناء العواصف كانت زوارق الصيد تنقل الى داخل البلد وتوضع في
الحدايق . وعندما تنحسر الفيضانات كانت تندفع الى الشاطئ وترسو عليه .
وكان الناس ينقلونها الى مخازن الأدوات أو منازل الضيافة . وكنت قد أمضيت
نهاية الأسبوع في تلك الدار . فطلبت من المضيفين أن يسمحوا لي بالنوم في

أنتي فتحت الباب الأمامي فواحني إشعاع قنبلة ذرية . كان نوراً باهراً رهيباً . وعندما أغلقت الباب فكرت : إن هذا سوف يؤذيني إلى الأبد . ثم كشفت معنى الحلم . إن النشر كان يعني فتح الباب الأمامي على العالم ، على الشهرة ، والتلفزيون ، والأضواء ، والرأي العام ، والمراجعات . والتعرض الشديد للشهرة قد يؤذيني . وقد كان تعبيراً عن الخوف . وكنت أشعر دائماً أن الحياة العامة تؤدي خصوصية الفرد وحياته الشخصية .

والكتابة بحد ذاتها هي في معظم الأحيان حلم يقطر . وأنا قد أجدد في ذاكرتي بناء مشهد حقيقي خُلف انطباعاً عميقاً في نفسي ، كإعادتي تركيب انطباعي حول سان ميغل ده ألند في المكسيك الذي ظهر في « استطلاع منزل الحب » (ص ٦٤) : « الشوارع خربها الزلزال . ولم يترك إلا واجهات الأبنية ، كما في أحد أنواع الرسم ، وبقيت الواجهة الفرانيسية ، مع الأبواب والنوافذ نصف المنفصلة ، المفتوحة بشكل فجائي لأعلى أسرة آوية حول الموقد ولكن الأسر جميعاً قد عسكرت تحت السماء ، واقية نفسها من الغبراء بجدار وباب فقط ، ولكنها من الجوانب الثلاثة الأخرى مكشوفة تماماً ومفتقرة إلى الجدران والسقوف . »

في « استطلاع في منزل الحب » (ص ٦٨) استخدمت هذه الصورة — الذكرى لأعبر بها عن توق ساينا الى : « ... المدى غير المحدود الذي ارتقبته لتجد فيه غرفة كل عاشق ، وإلى البحر ، والجبال التي تبدو من كل الجوانب ، والعالم المنفصل من جانب واحد . والموقد الذي لا سقف له ولا جدران ، النبات بين الأشجار ، والأرض التي اندفعت فيها الأزهار المتوحشة لتعرض وجوهها المبتسمة ، والعمود الذي تقيم عليه الطيور التائهة ، وعلى مبعدة من

المكان المعابد والأهرام والكنيسة الباروكية . »

هذا هو تقيض البيت الكامل ، الكلي المغلق - إنه بيت الضيف الليل ، البيت الذي يسهل هجره ، وهذه الصورة قد اقترحتها سايينا نفسها ، وعبرت فيها ، كما يعبر الرسام ، عن ضجرها ، وتجولاتها ، وزعزعتها ، ومزاجها الحركي .

فلماذا علينا أن نتصل بلا شعورنا مادام لا يتحقق إلا بشل هذه اللغة غير المباشرة ، لغة الرمز ؟ يجيبنا والاس فاوولي عن هذا السؤال في « عصر السريالية » (٧) :

(إن الأحوال الشعورية لكيونة الإنسان لا تكفي لكي تفسره لنفسه أو للآخرين . ولا شعوره يشتمل على أوسع جزء من كينوته وأشدّها أصالة . وقد تبين أن كلامنا الشعوري وأعمالنا اليومية تتناقض عادة مع حقيقة نفوسنا وأعماق رغائبنا . والنموذج الدقيق لسلوكنا الإنساني قد أوضحه الواقعيون وحيواتنا التي تبدو متتابعة قد تبين أنها نماذج شكلتها القوى الاجتماعية بدلاً من رغائبنا أو أمزجتنا أو قوانا السيكلولوجية الداخلية نفسها . والفكر وحده ، أو الحياة التي قطنها معايير المجتمع الثابتة ، أو الأحوال الشعورية لكيونتنا ، كل تلك الأشياء حواجز في وجه الصدق)

إن الحلم إذن ، بدلاً من أن يكون شيئاً بعيداً عن الواقع ، أو عالماً خاصاً من الوهم أو الخيال ، هو بالفعل جزء أساسي من واقعنا الذي يمكنه أن يسهم فيه ويتصل به بوساطة اللغة المجازية .

(7) Fowlie, op. cit., P. 16.

فيري والفرس العجفاء

• ترجمة : جورج صديقي

بقلم الكاتب المجري : أندره آدي

نبذة عن الكاتب :

يعد أندره آدي (١٨٧٧ - ١٩١٩) أعظم الشعراء المجريين في عصره بلا منازع . كان يدعى بحق طائر العواصف البشر بالثورة - مثل غوركي في روسيا - لأنه هو الذي أطلق في بداية هذا القرن الفوران الثوري في الأدب ، ونوقع الثورة الاجتماعية التي ستقوم في المجر . بدأ حياته ، مثل كثيرين من الأدباء المجريين ، في الصحافة . وسافر ، وهو يعد قس يافع ، إلى باريس ، التي سافر إليها فيما بعد عدة مرات. كتب يقول : أشاء الحظ أن تكون باريس هي المكان الذي أعر فيه على مرر شجاعتني ككاتب - وذلك عند واحد أو اثنين من الكتاب الفرنسيين التراجيديين » . كان يحب بودلير وفيرلين ، واستمد منهما تشجيعاً في شعره الغنائي ، الذي يتسم برمزية أضفت شخصيته عليها طابعاً خاصاً . وفي باريس استمد تشجيعاً على الصعيد السياسي أيضاً ، من الراديكاليين ومن الحركة العمالية الفرنسية ، وأشاد كذلك في عدد من آثاره باناثول فرانس ، الذي كان يتماطف مع الكادحين .

إنه يتحدث عن نفسه وعن العصر الذي عاش فيه بقوة وشجاعة لا يمكن تصديقهما ، وبصور جريئة وإيقاع جديد ، وبصدق وبروح كفاحية . وكانت رؤيته الاستثنائية ورموزه القوية تفضح عبث الحياة في زمانه ، وتنادي بضرورة التغير . وقد وصمه المحافظون بأنه ممثل ، وبأنه خائن لوطنه ، وقالوا عنه إنه غير مفهوم ، وأنه يعبر عن نفسه بلغة مجرية ركيكة . وعن هذا كتب يقول : « الخلاصة أنني نلت كل ما يمكن أن يطمح إليه في المجر شاعر جديد » . غير أن الشباب تجمعوا حوله وحول مجلة « نيوغات » - الغرب - التي تأسست في عام ١٩٠٨ ، وضمت أعظم الكتاب في ذلك الوقت . وقد نشر آدي أعماله بإيقاع مذهل : فكل سنة تقريباً كانت تشهد ظهور ديوان جديد من أشعاره ،

يبرهن على زيادة فنه عمقا ، وعلى بلوغه قمما جديدة . كتب قصصا قصيرة ، ومقالات صحفية ، ودراسات تتميز بروح الكفاح ، ومقالات سياسية عنيفة . وقبل وفاته أصبح مروفوا خارج بلاده ، ونصب رائدا للشعر الفئالي المجري الحديث . وبعد وفاته ترجمت أشعاره الى عدة لغات .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى بلغت أشعاره القمة من جديد ، إذ أخذ يستصرخ الضحايا بحبوبة نادرة ضد أهوال هذه المجزرة العقيمة ، وضد الأقباء الذين أناروا هذه الحرب . وامتدت به الحياة حتى شهد نهاية الحرب ، وشهد الثورة المجرية في عام ١٩١٩ ، تلك الثورة التي انتظرها وتمناها طول حياته .

وهذه إحدى قصصه القصيرة - قصيرة جدا ، حتى انها ليست أطول من النبلة عن حياته بكثير - يقدم فيها صورة اخاذة لشقاء فلاح مجري ، بل أكاد أقول صورة رائمة ، اعني مربعة .

فيري والفرس العجفاء

مع الفجر ، أخذ يانوش كيشكه ، المسكين ، يشق طريقه ، مع غربة الجر ، نحو غابة (ارميت) . كان الفجر قد بزغ مع الثلج الذي كان يتساقط في ربح صرصر تحدث دوامات ، وكانت « العجفاء » تقح . كانت الزوجة تحمل القنديل لزوجها ، وهي تخطط نعليها ، في حين كان كيشكه يشد رباط الحيوانين . كانت « العجفاء » تقح ، فتقصف أضلاعها المهزولة . وكان بخار

قحتها الحار المرضي يشعث لها رأسها . كانت « العجفاء » أشبه بفلاح هرم أصابته حصى الدق ، وتمرد حاجباه الأيضان . كانت الأم شارلوت تتفجع ، وتبكي ، وتدغدغ « العجفاء » - وهي ترتعد من البرد - كدغدغة المختلس . أما يانوش كيشكه ، المسكين ، فكان يسوي وضع عدة الفرس نافخا طول الوقت في يديه المتجمدتين . كان يشتم المرأة ، والله ، والعالم ،

العربة وهلة ، وأخذت تجري وكأنما تجرها خيل من خيول السباق . رفعت « العجفاء » رأسها الرمادي ، ومضت وكأنها تتذكر أيام صباها . كان لابد من الجري بسرعة : فقد كان أمام سائق العربة الذهاب الى غابة ارميت مسيرة أربع ساعات . وأنفق يانوش كيشكه ، المسكين ، ساعة من الزمن حتى خرج من صمته المر في هذا الصباح الشتائي . فهتف بصوت عال : « وعندما أفكر بأنتي لم أقل حتى كلمة حلوة للمرأة ، وفيري الصغير لم أسأله عن أحواله . لقد ترحلق على الجليد حتى لم يعد يقدر على التنفس » .

لقد ضربه ، هذه الليلة ، مرتين ، لأنه لم يستطع النوم من شدة أبنه . فكان الأطفال ليسوا كثيرين جداً ، وكان الحياة ليست شاقة بما يكفي ! وانهاled يانوش كيشكه ، المسكين ، بضربة غاضبة من سوطه على حصان

وغابة ارميت . في بيته كان يحدث قليلا من الدخان بأعواد من دوار الشمس ، وها هو ينبغي عليه أن يطرد هذا الحيوان المبهور الأنفاس ، المريض ، من الاسطبل ، لينقل خطبا للآخرين . وإذا انهارت « العجفاء » في الطريق ، ماذا يحدث ؟ إن حياة المرء بحصان واحد أشق من حياته بيد واحدة ، وليس هناك مال من أجل حصان آخر . عندئذ تنتهي نقالات الخطيب مقابل بنغوسين⁽¹⁾ للنقلة الواحدة ، فحدد نفسه جيباً في الكوخ حتى الربيع . وحينئذ يموت جوعاً بالجملة مع أطفاله ، فلا يستطيع حتى أن يعطي تبناً للحصان الباقي ...

كان يانوش كيشكه يهدف ، ودون أن يلقي تحية الوداع فرقع بالسوط فوق الحصانين . جأرت

(1) البنغوس وحدة صغيرة من النقود المجرية القديمة .

المتراكم • فصرخ يانوش كيشكه :
« سيأكلنا الغول هنا » • وكان
العجفاء فهمت ، فقحّت حتى غطاها
العرق ، وبذلت جهداً هائلاً ،
وانطلقت من جديد • كانت تشير
العطف لبذلها خير ماتمك ، ولم يكن
ينقصها سوى النطق • لتقول :
« الحق ، يا يانوش كيشكه ، يامعلمي
المسكين أن ما أفعله الآن ، إنما هو
لإنقاذ الشرف • سأجر وأجر ، وأصعد
حتى ساحة الطاحون ، وبعد ذلك
فليحدث ما يحدث » •

كان الثلج يتساقط منهراً شديداً
السرعة ، ولم يضلّ يانوش كيشكه ،
المسكين ، طريقه ، بفضل الله والعجفاء
فقط • غير أن الساعة كانت قد بلغت
الثامنة عندما وصلوا • وأفرغوا
حمولة الحطب في ساحة الطاحون •
وتلقى يانوش كيشكه ، المسكين ،
البنغوسين • وفي هذه المرة جلد

الجر • كان يراعي « العجفاء » ،
وهذه الشقية المبهورة الأنفاس كأنها
كانت تريد أن تعدو الى آخر العالم •
في غابة ارميت حمل الحطب على
عربة يانوش كيشكه ، المسكين •
كان الوقت قد تجاوز الظهيرة عندما
عاد ليلك طريق العودة • فظل
متأخراً عن سائقي العربات الأخرى ،
التي كانت تحمل حطب التدفئة
للطاحون البخارية التي يملكها
اليهودي • وفي (وادي الذئب)
كلاّت عاصفة ثلجية لعينة تنتظر
يانوش كيشكه ، والعجفاء ،
والحصان الآخر • كانت العجفاء
تجر نفسها على نحو آلي ، كالجثة •
وعندما وصلت الى السفح الصاعد ،
أخذت تبكي مثل كائن بشري •
كانت تبكي متقطعة الأنفاس بكاء
حزيناً يائساً ، وخرّت ، على ركبتها ،
على قائمتيها الأماميتين ، فوق الثلج

لقد كانوا يؤلفون كل أقربائه وكل
أقرباء امرأته . كانوا رسميين ولطفاء
غير أن هذه الرسمية ، وهذا اللطف
انقضيا سريعاً . فالعجفاء لم تكن
تمزح . لقد شخرت شجرة قوية
من رثيتها الرديتين ، وتمددت .
فأخذت الأم شارلوت ، والقريبات
جميعهن أخذن يندبن ويعولن .
وكان الرجال يتأوهون ويجدون .
كافت العجفاء ، بكل بساطة ، قد
تفقت . بشرف ، وبجدية ، لقد
أرهقت نفسها إرهاقاً لتحفظ
بأنفاسها حتى عتبة الباب .
ولم تبق لديها القوة للزيد . فك
الحصان الآخر ، ودفعت العربة الى
المخزن . أما العجفاء ، التي تفقت ،
فقد جرت على الثلج الأبيض حتى
وسط الساحة . في غديسلخ جلددها .
وفي غضون ذلك وصل بعض
الجيران ، وكذلك أناس أبعد من

العجفاء جلدأ بالسوط . فقد كان
ينبغي له أن يسرع . أطلقت العجفاء
صهلاً أليماً ، وانسابت العربة . وفي
غضون ذلك لاحظ كيشكه ، من بعيد ،
أن الضوء ساطع في منزله . فهتف
قائلاً : « فليقبض الشيطان أرواحهم !
من الساعة التاسعة يشعلون القنديل !
إن هذه خطيئة ترتكب ضد الله ! »
ودخل من الباب الخارجي الذي ظل
مفتوحاً ، وهو يجذف مثلما جذف
عندما خرج في الصباح . وعند الباب ،
تمثرت العجفاء عثرة رهيبة وسقطت
على ظهرها . فأطلق يانوش كيشكه ،
المسكين ، صرخة رعب ، وقفز الى
الأرض من العربة . وفك رباط
عدّة العجفاء ، وهو يتنجّع . وعلى
صوت تفجعاته خرجت من المنزل
جماعة من الناس بكاملها . كان
كيشكه يسبّ الله ، فلم يلاحظ أن
الناس خرجوا يحملون عشرة قناديل .

كان فيري ، ابنه ، مسجى على
الطاولة أصفر الوجه ، في لباس
أبيض . قالت له الأم شارلوت
منتجة :

— مات عند الظهر .

خبط يانوش كيشكه قدميه
قرب المدفأة ، حيث كانت تشتعل
أعواد دوار الشمس . كان ينفض
الثلج العالق به . وتدفاً . وبعد
ذلك فقط ، بعد ربع ساعة ، تنهد
وقال :

— هو أيضاً !

ذلك . كانوا يعبرون عن أسفهم ،
ويدلون بنصائحهم . ولم يكن أحد
منهم ليشر بالبرد ، وكان منتصف
الليل قد حلّ عندما خلت ساحة
كيشكه . مضوا جميعاً ، بما في ذلك
الأقرباء . وانصرف يانوش كيشكه،
المسكين ، الى شؤونه ، وهو في
حدادٍ في الليل الأبيض الناصع .
ومن وقت الى وقت كانت المرأة
تخرج لتأتي الى جانبه . الخلاصة أن
كيشكه لم يدخل المنزل إلا قبيل
الفجر . وكانت تنتظره هناك مفاجأة :

من الأدب الفرنسي الرومانسي

الفرد دي موسيه ولياليه

• ترجمة: ماجد خير بك

• تقديم: د. ابراهيم الكيلاني

التقديم

كانت إيطاليا الجميلة ، وما زالت ، مهوى الأفئدة وقبله الاظار ، فيها تتجسم الاحلام وتنبث الرؤى ، وتكمل السعادات ، يرحل اليها مجبو الفن ، وأرباب الذوق ، وأصحاب الجاه والثراء ، ورواد المغامرات من كل سنخ وجنس ، ولئن متع أناس عيونهم بما خلقتة الطبيعة فيها ، وما ابدعته يد الانسان ، واستحجم آخرون بأضوائها وألوانها المتجددة على مر الزمان ، فإن جميعهم واجدون غذاءً ، وانطلاقاً ، ولهواً ، ودفناً روحياً وجسماً معاً .

ولعل الشعوب اللاتينية وريثة حضارة يونان وروما أشد الشعوب تعلقاً بإيطاليا ، وتقديساً لذكرها ومظاهر الحضارة العريقة فيها . فاذا أراد أحدهم ، أديباً كان أو مفناً ، مثرياً أو متشوقاً للمتعة ، تصور السعادة ، كانت تلك البلاد الجميلة ، والعيش فيها حقبة من الزمن امنيةً الأمانى . فحفظت إيطاليا بمدنها القديمة الخالدة الشيء الكثير من قصص وأساطير العلماء والأدباء والمغامرين والعشاق لم يزدها بُعدُ الأيام والقدم إلا صفاءً وجلالاً وروعة .

ومما حفظه التاريخ قصة واقعية جرت في البندقية بطلاها أديان : امرأة ورجل ، المرأة هي الكاتبة جورج صاند، والرجل هو الشاعر ألفرد دي موسيه، وكلاهما يحتل مكانة في تاريخ الآداب العالمية . ولا بد لنا قبل شد الرحال معهما الى « فينيسيا » من الالمام بسيرتهما ، فهي شديدة الصلة بالموضوع ، ولا غنى عنها في تفهم بواث هذه الرحلة الميمونة المشؤومة وتتبع مراحلها .

ولدت جورج صاند في باريز سنة ١٨٠٤ من أسرة بورجوازية قديمة . ومات ابوها شاباً وهي لمّا تزل طفلة فكفلتها امها ، وهي امرأة تافهة ، ومن بعدها جدتها ، وهي امرأة مهذبة تمثل الطبقة المحافظة في فرنسا ويقال إن صاند كانت ملتقى عدة وراثات ، قد عرف من أجدادها ملك من ملوك بولونيا ، وراقصة في الاوبرا ، وصاحب حانة ، وتاجر طيور ، ومن هذا التضارب ورثت صاند صفات جسمية وخلقية منها : متانة البنان والجرأة والاقدام ، وتناقض في السلوك والتصرفات ، ونهم شديد للاستمتاع بالحواس ، ونزوع قوي نحو المثل الأعلى .

تركت صاند لوحدها على عتبة الحداثة تربي نفسها بنفسها ، وقضت سني حداثتها في مرابع اليرري غربي فرنسا تجوب الامكنة في زهر ريفية طويلة تستمتع عينها بالنور، وتغذي نفسها بعشرة الطبيعة، وفي السادسة عشرة زوجت من السيد دود فان ، وهو رجل محدود برمت به صاند لعدم إقامته للأدب والمواهب العقلية وزناً ، فقضت فترة من حياتها قبل الطلاق في عزلة فكرية وعاطفية ، وبعد عشر سنين تركت زوجها برضى منه وهاجرت الى باريز مع ولديها سعيًا وراء العيش ، ولم يكن يساورها يومئذ أي طموح أدبي ، فبدأت

تحرر في مجلة أدبية صغرى مقالات لم تلق رواجاً . وقد توسم فيها مدير
المجلة موهبة القصة فصار يشجعها على التأليف الروائي ، وفي سنة ١٣٨٢
نشرت صائد أولى رواياتها « انديانا » فكانت فاتحة حياتها الادبية . وقد بلغ
نشاطها في التأليف حداً لم يؤثر عن الرجال بلكه بنات جنسها حتى أربت آثارها
على المائة كتاب . ولم يلبث أن سطع نجمها فعُرفت في المحافل الأدبية والفنية
فكثر أصدقائها وعشاقها والمعجبون بها . وكانت كلما امتدت الأيام ازدادت
صائد خبرة بالحياة ومعرفة بالناس ، فتمتحت عواطفها وتضجّع عقلها فقرأت
كثيراً وسمعت كثيراً ، وكان لتفتح ذهنها وقوة امتصاصه أثرٌ في تلوين أدبها .
وقررن نشاطها الأدبي بآخر سياسي اجتماعي فكانت من انصار الحركة
العمالية الاشتراكية وموآزري ثورة سنة ١٨٤٨ .

وماتت صائد في مسقط رأسها نوهان سنة ١٨٧٦ بعد أن بلغت الثالثة
والسبعين .

كانت صائد جميلة ، وكان في خطوط تكوينها نصيب وافٍ من تناسق
الجمال الاغريقي الملطّف بالركة الاوربية العصرية ، وكان شعرها الكستناوي
الغزير يتدلى من جانبي رأسها على كتفيها ، وعيناها الناعستان الغارقتان في
سواد جميل يعلوها سائل كهربائي اللون يركزان الملامح الهامة في هيئتها ،
ويصعب على من يقع تحت تأثيرهما الفكاك أو الخلاص ! ذلك أن ظراتها
تشبه ظترات النائم اليقظان، وإذا تحركت ملامحها جذبت الانتباه، وانتزعت
إعجاب محدثها اقتزاعاً ، وكان لها أنف جميل ، وفم مليح ، ولعل أبرز شيء فيها
بعد عينيها صوتها الرخيم العميق المغلف كأنه آت من بعيد ، لأن صائد كانت

أميل للتأمل والصمت ، تتلقى أكثر مما تعطي ، لا تواضعاً أو تكبراً أو عجزاً بل سعيّاً وراء امتصاص أكبر كمية من كلام محدثيها لكي تنضج هذا الكلام في أعماق نفسها ثم تبرزه فيما بعد وعليه طابعها الأصيل .

وإذا شئت المزيد من أوصافها فإن كنتيها بديعتان ، وكذلك ذراعيها ويديها وقدميها في غاية اللطف والصغر ، وكانت أقرب الى الامتلاء واعتدال القامة ، إلا الرأس فيه كل معاني الفتنة والاغراء والمثل الأعلى .

أحبت صائد الحياة والحرية ، واختلطت لنفسها مقاييس أخلاقية ارتضتها وسارت عليها ، وكان لها من نشأتها وطبيعتها عصرها الرومانيكي المتورد على التقاليد والمواقفات خير معين على ذلك فهجرت عالم المرأة الى عالم الرجال ، فترت بزيم ، وتسمت بأسمائهم ، وتخلقت بأخلاقهم متحدية بذلك آراء ذويها وأوضاع مجتمعها ، كما أنها أوتيت طبعاً سمحاً سخياً فياضاً ذا اتجاهات متعددة ، إذ كانت تتنازعها ثلاثة عوامل رئيسية هي سر شخصيتها وتقلبات طبيعتها ، كان مزاجها أو دمها الحار كما قال أحد الادباء يدفعها في تيارات الهوى والحب العنيف ، تلتبس منه هزات وروافد لاحتاسها وأدبها ، مستجيبة في الوقت ذاته لنداء الأمومة ، كما كانت تجاذبها دواعي التعبير الفني والعمل الأدبي فاستطاعت أن تشبع الرغائب الثلاث كأحسن ما تشبعها امرأة عبقرية مثلها ، فكانت عاشقة مثالية ، وربة بيت ممتازة ، وكاتبة مجودة في آن واحد ، ومن الطبيعي ألا يتم هذا التركيب إلا بعد أن دفعت صائد الثمن غالياً من خيالات عاطفية ، ومأس نفسيية ، ومغامرات مؤلمة ، وسبعة مشينة وجدت فيها غذاء لروحها ووسيلة لتصعيد أدبها حتى قال أحدهم : إن السيدة صائد

فعلت المخازي ولكنها كتبت الروائع !

كانت تلتبس من وراء الحب الصفات المثالية عند من توسم وجودها فيهم من الرجال ، تعطيهم من خانها وأمومتها وتضحيتها لتتعم بصداقتهم وعشرتهم فيكون لها من وراء ذلك تجديد لكيانها وهزة لشعورها . قالت مرة تدافع عن نفسها مشيرة الى حياتها العاطفية ومغامراتها : « إن العواطف أقوى من المحاكمات المنطقية ، وإن القيود التي فرضتها على نفسي لم تجدني نفعاً ، لقد غيرت رأيي أكثر من عشرين مرة ، آمنت بالوفاء ، وفاء الزوجة لزوجها ، وبشئرت به ، وحرصت عليه ، ودافعت دونه أمام هبوب العواصف ، ولما كفر الناس بالوفاء كفرت به أيضاً دون أن أشعر بوخره في الضمير ، لأنني كنت مسوقة في عملي بدوافع محتومة من القدر وغرزة المثل الأعلى الذي يجعلني أهجر النقص وأسعى نحو ما كان يترأى لي فيه الكمال » .

وكانت صاندة تعتقد بعد كل فشل عاطفي أنها لم تحسن الالتقاء ، وأن المحبوب المثالي الذي سوف يقدرها حق قدرها ، ويتحاشى الاساءة الى كرامتها لا بد أنه موجود ، وأنها سوف تلقاه لا محالة فظلت طوال حياتها تستعرض من يحيطون بها كما يستعرض السلطان في الحرم جواريه ومخططاته سعيًا وراء واحدة تلقى هوى من نفسه حتى إذا جربها ، عافها وسعى وراء غيرها .

أما الفرد دي موسيه فقد ولد في باريس سنة ١٨١٠ إبان العهد الرومانيكي من أب موظف مثقف ، وأم حسنة الحال ، وبعد دراسة موفقة في المعاهد الثانوية شرع في دراسة الحقوق ، ثم الطب ، وانتهت به الأحوال الى العمل في إحدى

محلات التعميدات البنائية ، ثم اهتدى موسيه أخيراً الى طريقه فعاشر كبار أدباء زمانه وفي طليعهم فيكتور هوغو ، فنظم الشعر ونالت مقطوعته الأولى « الحثلم » رواجاً عظيماً لفت الأقطار الى هذا الشاعر الحدّث ، ثم تابعت آثاره من شعر وقصص وتشيليات وتراجم عن الأدب الانكليزي فكان من أشهرها : اعترافات فتى العصر التي عربها فيلكس فارس « والليالي » الاربع التي عبر بها عن آلام قلبه الجريح فكلّ ليلة من الليالي تعيّن مرحلة من حياة موسيه وتجاربه العاطفية وأذكر على سبيل المثال لمن شدا من الأدب الفرنسي شيئاً بالليلة الأولى ، وهي ليلة مايس التي تدعوه فيها آلهة الشعر الى معاودة العزف على عوده بعد أن زهدت نفس الشاعر في الانشاد معددة له المواضيع التي تصح ان يجعلها مادةً وحيه ، فيمتنع الشاعر عليها فتقول له الآلهة العبارة المشهورة : « لا شيء يجعلنا كباراً سوى الآلام الكبيرة » كما « أن أجمل الاناشيد هي التي تصدر عن اليأس » وتذكر له اسطورة البجعة التي بقرت بمنقارها بطنها لتطعم صغارها أحشاءها •

ومات موسيه في السابعة والاربعين سنة ١٨٥٧ •

كان موسيه ذا طبيعةٍ حادة ، متناقضة ، قلقة قد تصل به الى حدود الجنون وإضاعة التوازن والتماسك النفسيين ، كان جميل المظهر ، ذا أناقة أصيلة منقطعة النظير كأنها عطية آلهية حتى عدّ في زمانه في طليعة الشبيبة « الانيقة المذهبة » ، وكان ذأبه مطالعة الناس بالغرائب ، ومفاجأتهم بأناقة ملبسه ، وغريب حركاته ، هذا مع ولع بالسهرات الصاخبة ، والمراهنات العجيبة وكل ما من شأنه احداث الجلبة واللفظ في المجتمع • وكان موسيه مزاجاً ، لا تفارقه

النكتة في أكثر الاوقات حرجاً • مئلة الى ابعء حدود التطلع ، يقرأ كل شيء ويهتم بكل شيء •

وصفه أحدهم في أول نشأته فقال : « كان شاباً غرقاق ، ينسدل شعره على كتفيه ، له جبهة تنم عن الذهول أكثر منها التفكير ، وعينان حالمتان أكثر منهما مضيتتان ، وقامة مشوقة فيها تنم ، يخيل للنظر أنها تنوء في سن مبكرة تحت ثقل شبابه الغض العنيف ، كل هذا مدعوم بجاذبية تفعل فعلها في وسط عجاج باللهو والتهتك والنساء والشعراء ، ووصفه سانت بوف فقال : « هو الربيع ذاته ، ربيع الشعر يفتح أمام أعينا » •

كان موسىه عبقرية مبكرة ، دخلت الحياة كالسهم الناري دون استعداد أو تضيح فاراد التهام لذائد الحياة التهاماً ، حتى أصبحت الملمات عنده ضرورة حيوية مما أدى به الى الإيغال في الشذوذ مدفوعاً برهوه العمر ومئة الشباب ، وإقبال الدنيا ، وكان في سلوكه أول الامر شيء من التكلف والقسر والمباهاة فلم يكذ يتوسط ميدان الشباب ويقف على عتبة العشرين حتى استنفذ ما عنده من حيوية ، فجفت شاعريته ، وعصت عليه قريحته ، فوجدت المهيجات والمكيفات والمخدرات الحسية والمادية طريقها اليه فادمن الخمرة عليه يجد في قعر الاقداح أو رغو الشمبانيا أو بخار الأفيون أو النساء دوافع تعوض ما استعصى عليه في الطريق السوي ، حتى صار كالمرضى الذي يرغم نفسه على تناول الدواء فكان يشرب حتى السك وفقدان الوعي • قيل إنه كتب اليه احدى قريباته وهو في حالة جفاف وتبدل وعطالة تدفعه الى قلم الشعر فأجابها « أرسلني لي نبضة من نبضات قلبك فسأردها إليك » •

وكانت الحياة المضطربة الفوارة التي كان يحياها سبباً في تبديد نفسه ، وهدر مواهبه ، فصار شعره يأتيه متقطعاً في شكل نوبات فجائية ، فاذا واته القريحة وانقاد شيطانه أتمى بالسحر الحلال ، وإلا حلت العربدات والمخاضات وتحطم الاقداح ، والبكاء وجميع مظاهر الهذيان ، وما أكثر ما كان يهدد السماء بقبضتيه ، ويخاطب القمر شائماً ، في حالة عصبية يعلو الزبد فيها شدقيه !

إن من شأن ذوي الاعصاب المنهارة ، التأرجح بين حالتين متناقضتين : صحوة وغيم ، فهو تارة طيب ، ساذج ، متواضع لطيف المعشر تهزه أفته الحوادث ، وتارة شيطان ضعيف الارادة ، شرس متكبر ، مستبد ، ولا نجد فيه صفة طيبة إلا ولديه نقيضها وكذلك كان موسيه .

ثم إن من صفات العاطفة العارمة ، والاندفاعات الجنونية ان تستنفد بسرعة السائل العصبي ، قوام حياة الانسان الروحية والمادية الذي يبقى عند أناس آخرين في حالة صيانة أو كمون مدة طويلة ، ولذا كانت علاقة موسيه بعشيقاته قصيرة لم تدم أكثر من ستة أشهر ، وبعضها لم يتجاوز اليوم ونصف اليوم .

ذلك هو الرجل الذي وضعت الاقدار في طريق جورج صائد ، فقد علقت له لما آنست فيه من صفات الضعف ، وكان هو يعرف ذلك فحاول استغلال هذه الصفة على أنها ناحية من نواحي عبقريته ، داعماً اياها بالدلال والاندراء والزهو ، حتى اذا انتصر بضعفه أراها الوجه الثاني من تقسيته ، فاققلب الى مستبد ، قاهر ، جبار يسومها العذاب والهوان ، وكانت صائد تحتضن هذا الفتى المتشرد برعاية وصبر ، فكانت الرجل هذه المرة أيضاً ! ان علاقة موسيه

بجورج صاند من الحوادث التي اثرت في حياته فوجد صداها في آثاره ، وكان ، وهو المحتاج دوماً الى الهزات يتساءل قبل تعرفه عليها : « أشعر أنه ينقصني شيء لا أدري ما هو ؟ أحبٌ عظيم ام مصيبة كبرى ؟ ام كلاهما معاً ؟ فلم تحرمه الاقدار من الاثنين .

ويظهر ان الجواذب بينهما تنحصر في تشابه الأذواق ، واعجاب متبادل اكثر منه هوىٌ حقيقي ، على أن نواحي الخلاف اشدُّ واعق وأهمها : المزاج فقد كان لكليهما « شعور نسائي وطريقة رجالية في التنفيذ » . وفارق السن : اذ كانت تكبره بسبع سنين . واختلاف العواطف السياسية والخصائص الفكرية التي يستحيل معها التفاهم ، فهي ثورية ذات نزعة جمهورية اشتراكية ، وهو محافظ شديد التمسك بالنظام الملكي .

غير أن صاند التي اتعبتها الخيالات العاطفية المتسالية ، وارهقها تبذل عشاقها كانت تعاني يومئذ ازمة عاطفية ، زد على ذلك خشيته من الوحدة والانزال ، فوجدت في مزاج موسية بلساً لجراحها وبصيصاً من نشوة تخفف عنها من وطأة الماضي ومرارة الحاضر .

لقد كانت تثق بالناقد سانت بوف وتركن اليه في الزعازع والأهوال مستشيرة تارة ، ومفضية اليه بأسرارها تارة أخرى ، ولما افهسته أنها في حالة فراغ عاطفي أراد أن يرشح موسيه لملء هذا الفراغ ، فأجابت بعد ان ترامت اليها اخبار مجونه وتهتكه : « انه شاب مستهتر ، ولا نصلح لبعضنا » هكذا شئت هذه المرأة ، وشاء القدر غير ذلك .

ولما دعيت الى الحفلة التي اقامتها مجلة « العالمين » لمحريها لقيت موسيه،

فأعجبت بسذاجة هذا الغلام ، وقد استطاع موسيه بخفة روحه ان يزيل سياج الحيلة التي اغتصمت وراءه ، حتى إنه اضحك صاند الصامته ، الشاردة النظر ، القليلة الكلام ، اما هو فقد بهرته هاتان العينان اللتان ترمقانه خلسة بنظرات استفهامية اختبارية، كما سحره لون بشرتها الاسمر ذي الانعكاس البرونزي ، مما أثار فيه رغبات دفينه .

لم يضع موسيه وقته بل عمد بعد رجوعه الى منزله الى قراءة قصتها « انديانا » وكتب اليها رسالة انتقد فيها القصة بلهجة جريئة فيها تهكم ودعابة قضت على ما تبقى من الحواجز وشيدت مكانها نوعاً من الألفة السليمة والعلاقة الأدبية ، ثم اعقب ذلك رسائل كثيرة تسكن فيها موسيه ان يدغل في قلب صديقه دغلة المريب تذكرنا بقول ابن الرومي :

لك مكر يدب في القوم أخفى من ديب الغداء في الاعضاء

وفي يوم من الايام تلقت الرسالة الآتية : « عزيزي جورج : لدي شيء سخيـف أريد البوح به ، إنك سوف تهزأن مني ظناً منك اني رجل أحسن تسميق الكلام كما توهمت منذ بدء علاقتنا ، وإنك لن تترددني بطردي اعتقاداً منك انني كاذب ... إني احببتك منذ اليوم الذي كنت فيه عندك ، وكنت أنوهم انني سوف ابرأ مما أصابني بسهولة في إعتبارك صديقة فحسب ... إنك ستقولين : « هاهو ذا رجل آخر جاء الآن يضايقني ، إنني أعلم ما يجول في خاطرك عني إني لا أمل شيئاً من وراء اقواله هذه ، ولا يسعني عندئذ إلا التسليم بفقد صديقتي ولكن الحقيقة أنني أتألم وأن قواي تخذلني ! »

ترددت المسكينة ، وقد حرص مؤرخو الادب على تصويرها كأمراة

رجلة ، تجيد فن اختطاف الشبان ، أو كقول تلتهم شبابهم الغض الطري ، وهي التي لم تتعد غايتها التسلية والهرب من نفسها وواقعها مع من توسمت فيهم الكمال ، فمنحتهم عطفها المكبوت ، وحنانها الفائض وكان أكثر ما صدها عنه تراميه على الملذات وسوء رأيه في المرأة اليس هو القائل : « إني أحب النساء جميعاً ، واحتقرهن جميعاً » ثم ان الحب الذي تصبو اليه حب عتيق ، ثابت الاركان ، واذا لم تُخلِص لمن عرفتهم في حياتها العاطفية فمرده الى الخيبة واليأس المسببين من الطرف الآخر .

وكان موسيه ادرك مواطن الضعف فيها فكتب اليها رسالة مطولة ختمها بالعبارة التالية : « الوداع يا جورج إني أحبك كما يحب الطفل » .

كالطفل : هذه هي الكلمة التي أصابت منها مقتلًا ، هل اهتدى الماكر الى المفتاح الذهبي الذي يفتح قلبها الرجراج المتورد ، إذ لم تكد تصل الى هذه الكلمة حتى سرت فيها قشعريرة ، فضمت الرسالة الى صدرها بيدن مرتجفتين ، وصارت تدور على نفسها قائلة : « كالطفل ، يحبني كالطفل ! رباه ماذا يقول هنا ؟ هل درى مقدار الأذى الذي رماني به ؟ »

حتى اذ لقيته ثانية تضرع إليها باكيًا مسترحمًا فلم يسعها الا الاستسلام ، وبعد زمن عندما وقعت الواقعة بينهما قالت له : « لولا شبابك ، والضعف الذي أوحى به دموعك اليّ لظللنا كأخ واخته » .

كبت لسانت بوف تصف حالها في رسالة : « إني سعيدة يا صديقي ، لقد تجنبت في بادئ الامر ثم رجعت عن عزمي ، فعلت ذلك بدافع الشفقة لا الحب !

إن الحب الذي أجعله قد تجلى لي منزهاً عن الآلام التي أخشاها . » وكتبت أيضاً : « كل يوم ازداد تعلقاً به ، وإني الحظ الصغائر التي تؤلني فيه تختفي رويداً رويداً » .

وفي الحق فقد كانت اول الأمر سعيدة مع هذا الطفل (تلك الكلمة التي كانت تلفظها مشحونة بحرارة الأمومة) حتى إنها استعادت فرحة شبابها ، فعم بيتها المرح والضحك ، فكان موسيه ينشر بأضحائه وعبه البهجة في كل مكان ، تنكر مرة بزي خادم وحمل صحن الطعام الى الضيوف فانقلب إناء الماء على رأس احد المدعوين الفيلسوف ليرميه حتى كاد يشجه ، وكانت صاند تحب هذه المداعبات فهي ، كئيبة بطبعها ، ولذا كانت بحاجة الى هذا النوع من المرح العنيف ، ودأب الطرفان حين يكشف احدهما الآخر على ان يعرض كل منهما في عفوية ولا مبالاة امام صديقه ما اخترعه في نفسه ليفوز بثقته واعجابه تمشياً مع فرحة اللقاء الاول ، ولذا عم دار صاند مرح عظيم فقد توفر كل شيء ، حياة حرة ، وألفة ، وأمل صاعد ، وهل بعد هذه الحياة أمل في حياة أسعد وأكمل ؟

كانت من أماني كل أديب في ذلك الزمن أن يزور إيطاليا كما قدمنا ، حتى إن موسيه تغنى في قصصه باسبانيا وإيطاليا دون أن يشاهد هذين البلدين ، وكذلك كانت صاند تحن لتلك البلاد الجميلة ، آملة أن تجد في السفر والاعتراب تجديداً ، فرحلا في اوائل شتاء سنة ١٨٣٣ ، وكانت صاند ترتدي لباس الرجال ، وتبدو عليها مظاهر الفرح فزارا في طريقهما مدينتي ليون وآفينيون ، ثم مرسيليا ومنها ابجرا الى جنوى . وكان موسيه يرى على

الباخرة متلفعاً بردائه يشكو دوار البحر ، اما صائد فشوهدت ويديها في جيوبها واللفافة في فمها تنظر الى رفيقها الذريع ظترات لا تفلو من استعلاء ، إن لم نقل من رثاء ، وكان موسيه يشكو من صائد صلابتها ورجولتها وانكماشها عنه الى حد البرودة ، لأن هذه الرحلة الشعرية لم تحل دون اشتغال صائد بعملها الادبي المتواصل المنظم ، والانتقطاع كل يوم ثماني ساعات في الليل تقضيها في الكتابة والتأليف . وما أكثر ما كانت تغلق بابها بالزلاج غير عابئة بتوسلات الشاعر المسكين ، وتلك ناهرة عجيبة لم يكن يدركها موسيه بل كان يرى بصفتها رجلاً ان مصير صائد المرأة في يديه يصرفه كيف يشاء ، ولكن مصير صائد لم يكن في يديه مما أدى الى طعنه في كبريائه ، فحدا شرساً سيء الطبع ، وصار يدعوها « الملل المجسم » ، والمرأة الحاملة المتوحشة ، والراهبة الباردة وأنها - وتلك اعظم سبحة وجهها اليها - اعجز من ان ترضي الرجال » ، وفي جنوى اصيبت صائد بالحصى ، والشهوة والمرض شيئان لا يجتمعان ، ولا يرضيان الرجال بحال من الاحوال ، فكان موسيه ينفر من الفراش الساخن بنار المحمومة ، الى دور الدعارة والشراب والنساء الرخيصات ، وكان يقول على مسمعا بشيء من التقرئز : « ان منظر المرأة المريضة لمحزن ، وباعث على السأم والاشمئزاز » ، وصار ينزع الى استعادة حريته لأن في التخير تجديد ، وان المن لم يخاف للاستعباد والأسر ، وظهر أن من شأن المرأة القوية الارادة ، المالكة نفسها اطلاق الرجال وازعاجهم ، اذ تظل في هذه الحالة شاهداً واعياً على تصرفاتهم ، في حين ان الرجال ييغون من وراء الحب نسيان انفسهم ، ولم يكن غرض موسيه إخضاع صائد وإذلالها ، بل كان يريد اشباع غريزة التملك الكامنة فيه ،

تملك هذه المرأة التي اعترفت بنات جنسها بحرية أن سيدهن الرجل ، والتي تأبى ان يملك قيادها احد" سواها .

كان الوصول الى فينيسيا التي كانت تسميها صائد من قبل : « فينيسيا الحمراء ، ومدينة الاحلام الفريدة من نوعها في الدنيا » والتي تصورها موسيه قبل أن تطأها قدماء « مدينة الرهبان الأنيقين ، والراقصات والحب والجنون » والتي قال فيها عن لسان احد ابطاله : « لنعش° ونموت هنا » أقول : كان الوصول الى فينيسيا كئيباً ، والوقت ليلاً ، وكان الجندول الأسود الذي اقلعها يشبه نعش الموتى ، ولما دخلنا المدينة وسطعت أشعة القمر الباهتة الحمراء على كنيسة القديس مارك بقبابها الصاعدة في السماء بدت كأنها بنيت كلها من الرخام الابيض ، وخيل إليهما امام القصر الدوقى بتقاطيعه الهندسية العربية ، وارجاج اجراسه المسندة بألوف العواميد المشوكة أنهما امام لوحة فنية رائعة ، حادة الألوان ، ولم يدم استمتاعهما بمنظر فينيسيا في المساء لأن الحب هو الذي يجعل الدنيا ويخلع على المناظر والمدن الروعة وليس جمال المدن والمناظر هو الذي يخلق المحبة او يغير القلوب . وفي المساء عندما حلا في فندق «دانيلي» اشتد أوار الخلاف ، وكادت صائد تحزم متاعها وتعود من حيث أتت لولا أنها كانت مريضة . فلم يترك موسيه الضجور الصخاب مظهرأ من مظهر أنانيته وسوء خلقه إلا أظهره ، وما اكثر ما ابكى تلك العينين السوداوين ! ويقول انصار موسيه إنه نثر منها في بادئ الامر بدافع الملل لأنها كانت — وهذا دأبها مع عشاقها — تعامله معاملة الأم لولدها الصغير وتزوده في كل مناسبة بالنصح والارشاد خيفة عليه من تهوراته واندفاعاته الجنونية ، ثم تحول الملل الى

اشمزاز سواء لأنها مريضة ، او لأنها كانت تريد بازوائها عنه اخفاء كرهاها له بلباقة ، فلم يكن لموسيه بد من الاستسلام للتهتك والغوص في أعماق حانات فينيسيا الحمراء حيث تفوح رائحة المياه الراكدة ، وأنواع الكحول الرديئة . وكانت صائد جرياً على عاداتها في الحفاظ على اصدقائها وصيانة مواهبهم من الضياع تدعو رفيقها الى الارعواء والتزام العفة والكف عن غلوائه ، وما أكثر ما كانت تنتظر عودته وحيدة لا يؤنسها سوى قطعة مياه القناة على درج المنزل، ودبدة اقدام الحراس ، وصي، الجرذان الحاد المنتشرة على ارض الميناء ، إنها لأصوات خفية غريبة تعكر صفو ليالي فينيسيا ! وفي أحد الأصباح عاد موسيه الى النزل ملطخاً بالدماء في إحدى المشاجرات ، وما لبث ان اتابته نوبة عصبية ناشئة عن حمى دماغية ، او تفوؤيدية قديمة ، فكان منظره فظيماً ، فقد روت انه كان ينهض في هذيانه عارياً ، فيركض في الغرفة صائحاً أو باكياً ، ولم يستطع رجالن شديدان كبجه إلا بصعوبة ، ثم يرتمي بعدها خائر القوى في إعياء تام . خافت صائد ، إذ قد يلقي موسيه حتفه ، فماذا تكون مسؤوليتها بل ماذا تكون خاتمة هذه الرحلة التي علقت عليها الآمال ؟ فاستدعت على عجل الطبيب باجللو وقصت عليه الحادثة مستعطفةً انقاذ صديقها .

وقد اظهرت صائد عطفاً على المريض منقطع النظير ، وجلداً يندر وجوده ، على الرغم من توزعها ، والضييق المالي الذي تعانیه ، حتى تفتت حيلتها لسد هذا النقص عن اشياء عجيبة : قالت تشكو : « هاهو ذا قد مضى عليّ ثمانية أيام ولم أخلع ثيابي ، أنام على المقعد ، وكان عليّ في كل ساعة أن أكون على تمام الأهبة لتلبية نداء مريضي ! » وفي تلك الدقائق الحاسمة التي تجتمع فيها الحقد

والمال واليأس ورواسب أخرى عزمت صائد على الخلاص من هذا المستبد الذي لم يرع للوفاء والحب عهداً واستبداله بغيره . فكان الطيب باجللو ! كيف تمّ هذا الانتقال ؟ قالوا : إنه في ليلة من ليالي الشتاء الطويلة كتبت صائد ثلاث صفحات من ثرها البديع وتناولت مغلفاً ووضعت فيه المكتوب ودفعته الى باجللو ، ولما لم يقرأ هذا عنواناً على الغلاف فهم أو ظاهر بعدم الفهم ، فسألها الى من يجب ايصاله ، وعندها انزعزت المغلف من يده وكتبت عليه : « الى السخيف باجللو ! » ومما جاء في الرسالة قولها : « ولما كنا ولدنا تحت سائين مختلفين ، فليست لنا إذن ذات الافكار والتصورات واللغة ، ولكن هل لنا قلبان متشابهان ؟ انني اعرف كيف أحب وأتألم ، اما أنت فكيف تحب ؟ إن ظراتك وحمية رغباتك تغريني وتخيفني في آن واحد ، انني لا استطيع مقاومة هواك ، كما لا استطيع مشاطرتك إياه ، ولذا ارقبك بتعجب وشوق وقلق ! » .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم اعقب ذلك اسئلة متنوعة انتهت بهذه العبارة « اني احبك لانك تعجبني ! »

وكتبت اليه مرة : « واأسفاه لقد تألمت كثيراً ، لقد جهدت في التفتيش عن الكمال دون العثور عليه ، هل أنت يا بيترو الذي سيحقق احلامي ؟ » . وهنا حق لنا التساؤل عن سر هذا التحول ، كما تساءل من قبلنا النقاد ومؤرخو الأدب ، فانقسسوا الى فريقين يناصر كل منهما من يعتقد أن الحق بجانبه ، ونحن اذا فرضنا أنه يمكن أن نعرف ما يدور في رأس المرأة ، وما تنطوي عليه نزواتها الفجائية — وهذا من الصعوبة بـمكان — نستطيع على ضوء

الحوادث القول : « إن أمنية الأمانى عند صائد التي أصبحت في حل من موسىه أن تظفر بحب كالي ، مقيم ، وجدت في باجللو ، الشاب الجليل ، القوي البنية » الذي تصعد العافية من قلبه الفتى الى وجهه النضير « ضالتها المنشودة ، ثم إن وجودها في فينيسيا وحيدة ، غريبة في عشرة شاب شبه مجنون يزيد في متاعبها جعلها تشعر أنها بحاجة الى سند اختلط عندها في غمرة القلق والياس والذعر مع فكرة الحب ، ثم إن السهرات الطويلة امام سرير المريض ، والقلق المتبادل بينهما عليه قرب بين الرجل والمرأة ، والتعب كما يقولون خير وسيط . زد* على ذلك في النهاية عمل الخيال لأن صائد ارادت ان تعوض بشخص باجللو ما حرمته من الاستمتاع بفينيسيا فأنابت التجربة العاطفية عن المتعة الشعرية ، فكان جمال ايطاليا ومفاتن فينيسيا قد تقمصا شخص باجللو الايطالي .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ماذا كان تأثير الرسالة على باجللو ، الرجل الحبي ، الخجول ، الذي لم يحلم يوما ان ترفعه صائد الى مستواها ، يجيب هو نفسه قائلاً : « نعم ! إني لا أفكر بأن عبقرية هذه المرأة قد سيطرت علي واذا بتني ! فاذا كنت أحببتها أول الامر فان حبي لها زاد بعد قراءتي الرسالة ، وكنت مستعداً للوجود بما لدي لكي أراها عندئذ وارتي على قدميها مقسماً بالحب الخالد ، هيهات لقد فات الأوان فطلت امام الرسالة أقرأها اولاً وثانياً وبذات الحماسة ، غير أن بعض الجمل قد أيقظت في عند القراءة الثالثة شعوراً غامضاً مرأ احسست أنه يصعد الى رأسي من اعماق قلبي !

لقد عصفت هذه الرسالة بقلبه الواهي ، فزالت معها حياته المطمئنة الهادئة

هدوء مياه القناة في فينسيا ، ، وأحس باجللو مرة أخرى على شاكلة الغزاة
الغالبين من الرجال بانكسارهم أمام المغلوبات من النساء !

هل درى موسيه بالأمر ؟ ماذا عرف عن هذا التحول ؟ لقد كان يتقلب
على فراش المرض في بحران الهذيان والحسى ، حتى اذا عاودته فترات صحو،
رأى أو خيّل اليه ، امرأة جالسة في حضن رجل في وضع مريب ، او رأى على
الطاولة فجأة واحداً للشاي شرب منه الرجل والمرأة ، وزعم آخرون أن موسيه
شاهد صائد يوماً تكتب رسالة توهم انها لباجللو ، ولما اصر علىئنه هددته بارساله
الى مستشفى المجانين ، وأنها قدفت بقطع الرسالة المزقة من النافذة ، حتى اذا
طلع الصباح نزلت صائد بلباس النوم الى الشارع تلتقط الجزازات المبعثرة !
والواقع أن دخول باجللو للسيدان قد خلق لصائد عالماً جديداً لم يعد
لموسيه فيه مكان ، لأنه أساء إليها ولمعن في أنوثتها وكبرياتها ، فلتجعلنه إذن
فريسة للغيرة الآكلة تلك الغيرة التي تنشأ عند الشخص الثالث عندما يأنس وجود
تواضع بين اثنين أقصي عنه ، الى اليوم الذي يصططح فيه المتخاصمان فيقصي
باجللو بدوره فيذوق ما ذاق غيره .

لقد كان باجللو وسط هذا الجحيم يقوم بالنسبة لصائد بدور المنقذ ،
يشد أزرها في حالات اليأس ، وتكفي عليه لمقاومة المتاعب والعوادي . ألم
نكتب فيما بعد في مذكراتها : « يا الهي ارزقني العزم الذي اعطيتني في فينسيا ،
أعد إليّ حب الحياة الذي لازمني وسط افطع حالات اليأس ! » .

لقد علم موسيه بالحقيقة ، فلم يجد بداً من الفرار من فينسيا المشؤومة ،

وعلى الرغم من الثورات الغضبية والتهديد بالقتل والحجز في مستشفى المجانين ، والمحاولات اليائسة للتوبة والندم واستعادة الحياة القديمة ، فقد خيم على الشاعر قبل رحيله سكون عجيب ، فكأنه لاحظ هفواته ، وادرك عظم خطيئته فعزم على التضحية بنفسه ، فكان حينئذ أكثر اخلاصاً وصدقاً من أي وقت مضى ، ففي ساعة من ساعات اليأس ، وبدافع من الجود والتسامح وضع موسيه ببله اختياره صديقه صاند وديعة بين يدي باجللو ، اعتقاداً انه الوحيد الذي يستطيع حماية هذا القلب المعضب الجريح . وقبل رحيله تواجد الثلاثة وجداً قوياً وبكوا وتعانقوا معتقدين على الطريقة الرومانتيكية أن الصداقة أجدي من الحب وأسلم عاقبة .

رحل موسيه الى بارز ، وبعد أن شيعته صاند وعانقته عناقاً امومياً ، عادت الى فينيسيا لتسكن مع باجللو داراً صغيرة عاشت فيها خمسة شهور في عزلة ، موزعة اوقاتها فيها بين التأليف والعمل المنزلي وكان موسيه اثناءها لا يفتأ يرسل صديقه صاند شاكياً بأسه ، مداوياً جراحه ، قارئاً آلام فترس وغيرها من المآسي الرائعة التي سخر منها فيما مضى ، أخذاً العدة لكتابة قصة حية الفت فيما بعد كتاب « اعترافات فتى العصر » .

أما صاند فقد كانت حياتها مع باجللو الهادي الرزين ، البطيء الذكاء حياة باهتة تسير الى غاية من الملل ، لأن باجللو الذي تعلق بها دون أن يصعد الى النجوم كان بعيداً عن الشقاء ، غير متعب ، راضياً عن حياته كل الرضا ، فليس لها أن تحنو عليه وتعمل لاسعاده ، فهي كما قالت عن نفسها بحاجة الى التألم من أجل انسان ، كما أنها بحاجة الى صرف الفائض من شعورها

وإحساسها • وفي شهر تموز من سنة ١٨٣٤ عادت الى باريز وصحبها باجللو في هذه الرحلة وهو يعلم في قرارة نفسه أنه سيعود دونها ، ولم يسؤه في قرارة نفسه أن يتخلص منها ومن الشعور بالخطيئة نزولاً عند إصرار أسرته وأهله وأمه التي نصحته قائلة : « إذا صادفت يا بني في الحياة مظاهر تنافي والقواعد الاخلاقية التي لقتكها فاجتنبها لانها ستجعلك شقياً » •

ولما وصلا استقبلهما الباريزيون بالنقد والتجهم ، وكان أصدقاء صاند ومعارفها ينتظرون أن تجاب لهم شاعراً أو اديباً أو فناً جرياً على عاداتها في اتقاء عشاقها ، وأما أن تختار هذا الايطالي الركيك ، الكهام ، فهذا شيء غير معقول • فعاد • باجللو الى فينيسا بعد ان عاهد نفسه على الماضي ، فتزوج ورزق أولاداً ومات بعد أن نكث على التسعين محاطاً بالذكريات يقصها على أولاده واحفاده ، وبهالة من المجد قرأت اسمه الى كوكبين من كواكب الأدب •

وبعد سفر باجللو جرب صاند وموسيه الصلح والحب الافلاطوني فكان كل ذلك تافهاً حقيراً وما زالا في مدٍ وجزر حتى وصلا الى القطيعة النهائية ، بعد أن حاولا عبثاً تحريك الرماد وبعث الجذوة الخاملة •

وقد تركت هذه الحادثة التي لم يخطيء أحدهما فيها إلا ببقائه كما هو أثراً عميقاً في نفسي البطلين اوحت اليهما بروائع هي صدى للمحزونين والتعساء الذين شقوا بالحب واكتووا بناره •

وكانت كلما نكأت الذكريات جرح الشاعر صاح بـلـه فيه :

يجب أن نألف الوحدة •

أيها القلب المعذب الذي يكاد يغفر جرحه
والذي لم يُجد الحب ، بل أجاد الألم .

ليلة ميس

فلّ الشاعر صامتاً منذ مفارقتة جورج صاند ، وإذا به يشعر في شهر
مايس من سنة ١٨٣٥ ان « ثم شيئاً في نفسه يودّ الانفلاق » . فكتب في ليلتين
ويوم وسط دافع حماسي شعري « ليلة ميس » التي تعدّ من اشدّ قصائده تأثيراً
وأروع جرح صدر عن قلب فتيّ طفحت كأس عواطفه « . إن الحوار بين آلهة
الشعر والشاعر انتقال للشهادة بين عبقرية موسيه الحساس بنداء التجديد
وقلب الرجل المخدوع في حبه والذي اضلّته شقاؤه . ألم يقل موسيه نفسه :
« إن أكثر الأغاني جمالاً أكثرها اغراقاً في اليأس ! »

الليالي ...

ترجمة : ماجد خير بك <http://Archivebeta.Sakhril.com>

آلهة الشعر — لا يراها الشاعر ولكن يسمع صوتها —
أيها الشاعر ! خذ عودك ، وأعطني قبلة ،
ان زهرة النسرين تشعر بأن براعمها تفتح .
في هذا المساء ، يولد الريح ، وقريباً تحترق الرياح .
لقد حطّ العصفير الصغير ، منتظراً الفجر
على أوليات الأدغال الخضراء .
أيها الشاعر ! خذ عودك وأعطني قبلة .

الشاعر

ما أشد كثافة الظلام في الوادي !

خيل إليّ أن شكلاً مقتعاً
 يتموّج في الغابة ،
 لقد خرج من المرج ،
 تلامس ساقه العشب المزهر
 إنه لحلم غريب
 (ولكنه) يسّحي ويختفي •

ربة الشعر - الصوت أكثر ثباتاً ووضوحاً وحرارة ، وبدأ قلب
 الشاعر يخفق -

ايها الشاعر ! خذ عودك ، فالليل على المرج الأخضر
 يداعب النسيم بلاءته الفطرية ،
 والوردة ، لم تزل عذراء ، أنها تنطق ، غيري
 على الزنبور المروكش فينبوت من النشكر • (من عطر الوردة)
 اصغر ، كل ما في الطبيعة ساكت ، فكثّر بحبيبتك •
 في هذا المساء ، ترك الغروب وداعاً أكثر لطافة :
 تحت الزيزفونة القاتمة الاغصان •
 كلّ يزهر في هذا المساء ، والطبيعة الخالدة
 تمتليء بالعطر والحب والهمسات ،
 مثل سرير هانيء يضمّ زوجين شابين •

الشاعر

لماذا يخفق قلبي بسرعة ؟

وما الذي فيّ يرتعش
 فينتابني منه الذعر ؟
 الا يترعّع بابي ؟
 ولماذا مصباحي المحتضر
 يبهرنني بضائئه ؟
 يا الهي التقدير ! كل جسي يرتعش
 من يأتي ؟ من يناديني ؟ لا أحد .
 أنا وحدي ، انها الساعة تدق :
 يا للوحدة !
 ربة الشعر - تلحّ وقد عرفها الشاعر واستقبلها -
 أيها الشاعر ! خذ عودك ، ان حمرة الشباب
 تختمر ، هذه اللبلة في عروق الاله . (١)
 ان ثديي قلقٌ والشهوة تعتصره ،
 والرياح الحرّى ألهمت شفتي .
 أيها الولد الكسول ! اظفر ، انني جميلة ،
 الا تتذكر قبلتنا (٢) الأولى
 وذلك عندما رأيتك شاحباً جداً ، بلمسة جناحي ،
 وعندما رأيت عينيك مغروقتين بالدمع .

(١) الطبيعة وابولون - إله الشعر - واحد في نظر الشاعر .

(٢) قبلته بجناحيها

فسقطت وقتنذ بين ذراعيّ •
 آه ! لقد عزيتك في تأملك المرير (٣) •
 واحسرتاه ! مع أنك كنت بعدد صغير السن وكدت تموت جأ •
 عزني هذا المساء ، انني اموت في الأمل ،
 وإنني بحاجة للصلاة كيما اعيش حتى الصباح •

الشاعر

هل انت التي يناديني صوتها
 يا ربتي المسكينة ! أنت !! ؟
 يا زهرتي ! يا مخلصتي !
 أنت الشخص الوحيد المخلص الحيي
 الذي ما زال يحبني •
 أجل ، إنك أنت ، يا سقراي !
 انت ، يا عشيقتي ويا أختي !
 انتي اشعر ، في هذا الليل العميق
 ومن ثوبك الذهبي الذي يلفني ،
 أشعر ، بالأشعة تسرب الى فؤادي •

ربة الشاعر — في هذه المقطوعة الرائعة تعلمنا ربة الشعر ان جميع انواع
 الشعر فن يكتبه الشاعر الاصيل لا المفكر المتفلسف —

ايها الشاعر ! خذ عودك ، هُوَ اَنَا ، مخلّدتك
 التي رأتك - في هذا المساء - حزينا صامتا ،
 والتي - مثل طائرٍ تدعوه فراخه -
 نزلت من علياء سمواتها لتبكي معك .
 تعال ، إنك تشكو ، يا صديقي ! وبعض السأم الغريب
 ينهشك ، ان شيئا ما يتأوه في قلبك ،
 لقد أصابك حبٌ ، وكما ترى امثاله على الارض فإن الحب
 ظل من اللذة ، ظاهر من السعادة .
 تعال ، لننعن أمام الله ، لننعن في افكارك
 في لذائذك الضائعة وجهودك الماضية .
 لنسافر في قبلة نحو عالم مجهول ،
 ولنوقيظ كيفنا كان الله اصدااء حياتك ،
 لنستحدث عن السعادة ، عن المجد ، عن الجنون ،
 وليكن حلمنا نستقبله كأول قادم ،
 ولنخترع في مكان ما ، مواضع ننسى فيها سريعا .
 لنرحل ، نحن وحدنا ، الكون لنا .
 ها هي ذي إيكوسيا^(١) الخضراء وايطاليا السمراء
 واليونان - أمي - حيث العمل الشهي -
 قل لي : أي حلم ذهبي تهدهده اغانينا !

ومن أين البكاء الذي نسكبه !
 في هذا الصباح ، عندما يداعب النهار جفنيك
 فأني ملاكٍ مفكّرٍ متحنٍّ عند رأس سريرك
 يمز أزهير الزنبق في ثوبه الرقيق !
 ويقصُّ عليك بصوت منخفض حبّه الذي كان يحلم به !
 ألا ثغني الأمل ؟ ألا ثغني الكآبة ؟ ألا ثغني الفرح ؟
 ألا نلطح بالدم الفِرَقَ القولاذية (١) ؟
 ألا نعلق الحبيب على سلكٍ من الحرير ؟
 ألا نلقي الى الرياح الهوج زبد الفارس ؟
 ألا نقول : أيّة يدٍ اشعلت - ليل نهار -
 المصاييح التي لا عذاب لها في البيت السماوي
 من زيت الحياة المقدّس ومن زيت الحب السرمدي
 ألا نقول لتاركان (٢) : حان الوقت ، ها هو الظل ؟
 ألا ننزل الى أعماق البحار كي نطفئ اللؤلؤة ؟
 ألا نقود الماعز الى شجرة الابنوس المرّة (٣) ؟
 ألا نشير الى سماء الكآبة ؟
 ألا تتبّع الصياد في الجبال الوعرة

(١) إشارة الى اغاني الحب

(٢) اغاني الفلك والفلسفة

(٣) اغاني الرعاة وراء قطعانهم .

والوَعَلَةَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَتَبَكَّى وَتَسْتَرَحِمُهُ ؟
 أَنْ عَشِبَهَا يَنْتَظَرُهَا كَمَا يَنْتَظَرُهَا أَطْلَاؤُهَا الْقَرْيَةِ الْوِلَادَةِ
 وَلَكِنَّهُ يَنْحِنِي وَيَقْتُلُهَا وَيُلْقِي قَلْبَهَا - الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَخْفِقُ -
 كَحَصَّةٍ لِلْكَلَابِ الْمُجْهَدَةِ .

الْأَنْرَسَمُ عِذْرَاءَ ذَاهِبَةٍ إِلَى الصَّلَاةِ
 وَوَصِيفَتَهَا تَمْشِي وَرَاءَهَا - عِذْرَاءُ نَجْدِهَا الْوَرْدِي -
 تَنْظُرُ إِلَى أُمِّهَا وَهِيَ إِلَى جَانِبِهَا
 وَتَسِي شَفَتَيْهَا - النِّصْفَ الْمَفْتُوحَةَ - صَلَاتِهَا ؟

إِذْ تَصْنَعِي وَهِيَ تَرْتَجِفُ إِلَى صَدْيِ
 رَنْيْنٍ مَهْمَازٍ فَارَسٍ شَجَاعٍ عَلَى الْمَصْطَبَةِ .
 أَلَا نَقُولُ لِأَبْطَالِ الْأُزْمَةِ الْغَائِرَةِ مِنْ فَرَنْسَاءَ
 كَيْ يَصْعَدُوا شَاكِي السِّلَاحِ إِلَى إِبْرَاجِ جِصُونِهِمْ
 وَأَنْ يُحِبُّوا الْقِصَّةَ السَّادِجَةَ

الَّتِي عَلَّمَهَا مَجْدُهُمُ الْمُنْسِيءُ لِلتَّرَوْبَادُورِ (١) ؟
 أَلَا تَكْسُو بِالْيِيَاضِ (٢) أَغْنِيَةً رَخْوَةً ؟

وَرَجُلٌ (٣) « وَاتَرَلُو » سَيَسِرْدُ لَنَا قِصَّةَ حَيَاتِهِ
 وَمَا حَصَدَ بِنَجْلِهِ مِنْ قَطِيعِ الْبَشَرِ

(١) شعراء فرنسا في القرون الوسطى

(٢) كَفَنَ الشعر الوضع الذي لا قيمة له

(٣) كان الشاعر لا يحب نابليون .

قبل أن يأتي رسول* الليل الدائم*
ويحطّم بضربة من جناحه عرشه الأخضر
ويصاّب ذراعيه على فؤاده الحديدي ؟
ألا نسهر* على خشبة النقد
الاسم* الذي بيع سبع مرات لهجاء* باهت*
الاسم* الذي دفعه الجوع* من أعناق النسيان
فجاء* وهو يرتعد من الرغبة والضعف
ليشتم* الأمانة* على جبين العبقريّة
ويعضّ النار* الذي وسّخه بنفسه* ،
خذ عودك ، خذ عودك ، لا استطيع السكوت
إن جناحي يرفعني مع أنسام الربيع* ،
ستحملني الرياح* قريباً ، وسأترك الأرض* .
دمعة* منك . ان الله يُصفي الي* . حان الوقت .

الشاعر

إن لم تكوني بحاجة ، يا أختي العزيزة !
إلا* الى قبلة* من شفة* صديقة
والى دمعة* من عيني*
فانني أقدمهما لك* دون عناء
وليذكراك* بحبنا
أما اذا عاودت الصعود الى السموات ،

فلن أغني حُبي الذي تذكّرينه
ولن أغني الأمل
ولا المجد ولا السعادة
واحسرتاه! حتى ولا الألم ،
سيلزم القم الصمت
كيما اسمع القلب يتكلم •

ربة الشعر

أظنّ إذا أنني سأكون مثل هواء الخريف
الذي يتغذى بالبكاء حتى على قبر ،
والذي عنده الألم مثل قطرة الماء (في فم الظمآن)
أيها الشاعر ! أنا التي أعطيك القيلة ،
أما العشب الذي أريد اقتلاعه
ليس إلا خموتك • فآلمك الله
ومهما كان السهم الذي يعاينه شبابك
فدع هذا الجرح المقدس يتسع
ذلك الجرح الذي أحدثته فيك ملائكة الألم
لا شيء يجعلنا عظماء إلا الجراح العظيمة ،
ولكي تصل إليها ^(١) ، فلا ظنّ أيها الشاعر !
بأنّ صوتك هنا - في الأرض - سيظلّ أبكم

(١) الى الجراح العظيمة

إن اجمل الأغاني أكثرها نصيباً من اليأس
 إني أعرف أغاني خالدة هي نجيب صرّف
 عندما تعب البَجْعُ من جَوِّ لته الطويلة (١)
 وعاد في ضباب المساء الى قَصْبِهِ ،
 فأسرعت فراخه الجوعى نحوه متدافعة على الشاطيء
 مذ رأينه من بعيدٍ يتخبط على الأمواه ،
 لقد ظننّ انهن سيتقاسمن ما جلبه لهن
 ركضن إليه وهن يطلقن أصوات الابتهاج
 محركات مناقيرهن على أعناقهن البشعة •
 أما هو ، فصعد بكل تَوَدّة ، وعلى صخرة مرتفعة
 غطّى فراخه بجناحه المتدلي •
 إنه صياد حزين (٢) يرمق الفضاء
 والدم يتدفق بغزارة من صدره المفتوح •
 لقد جاب البحار منقباً في أعماقها ولكن دون جدوى •
 كان المحيط خالياً والشاطيء مقفراً •
 ولم يجد من الأغذية سوى قلبه •
 وتمدّد على الصخرة كئيباً صامتاً
 تاركاً أبناءه يتشاطرون احشاءه •

(١) خير مثال للشاعر

(٢) لأنه فشل

لقد هدهد الآن بحبه السامي النبيل ،
فهو يتأمل سيلان ثديه المدمى
ترنح ، تهاوى في مأدبة الموت
سكران من اللذة ، والحنان ، والهول •
ولكنه أحياناً ، وسط هذه التضحية الالهية
وقد انهكه الموت وسط عذاب جدّ طويل
خشي ألا تتركه حياً
ولذا نهض وفتح جناحيه للريح
وطعن قلبه - بمقارنه - وأرسل صوتاً وحشياً
صارخاً في الليل وداعاً فاجعاً
قال : لتَهجر طيور البحر الشاطيء ،
وليسأهتَب - للقاء الله -
كل مسافر استوقفته الرمال
وكل شاعر غمرته الوحشة •
أيها الشاعر ! هكذا يفعل كبار الشعراء
يُفرحون أبناء زمنهم
ولكن مآدبهم البشرية التي يقيمونها في أعيادهم
يشبه أكثرها مأدبة البجع •
وعندما يتكلمون عن الأمل الخادع
وعن الأسى والنسيان والشقاء ،
فهذه كلها ليست نَعَمًا تُسرُّ الفؤاد ،

ان أناشيدهم كسيوف :
تخطف دائرة باهرة في الهواء
ولكن يعلق عليها بعض من قطرات الدماء

الشاعر

يا ربة الشعر ! أيها الشبح الجشع
لا تطلبي مني ما يطول ،
ان الرجل لا يخط شيناً على الرمل
في لحظة مرور العاصفة .
رأيت الزمن — حين كان شبابي
الذي لم يزل على شفتي —
مستعداً (١) للغناء مثل طائر
ولكن تحملت استشهاده قاسياً ،
وأقل ما يمكن أن أقول عنه
انني اذا ما غنيته على قيثارتي
أن يحطمها لما تحطم القصة .

ليلة ديسمبر — كانون الاول

لهذه الليلة طابع رومانتيكي يتجلى فيها أكثر من ليلة مايس . والازدواجية
تختلف — أي ازدواجية الشاعر وربة الشعر لان كليهما واحد — فموسيه

(١) اي الزمن

تلميذ ، شاعر بالفطرة ، مغرم ، ساذج ، خليع ، يتييم ، رحالة ، فهو يرى في كل مكان ازدواجيته ، حتى وفي كل وجه ، لقد تعب فؤاده وعيناه .

في هذه الليلة يعيد مخلفاته المقدسة الى امرأة كان يحبها وهي قد صدف عنه . وضيفه المواظب ليس الا «الوحدة» . وكما قال أخوه «بول موسه» : ان هذه الليلة مستوحاة من قطيعة امرأة أخرى غير « جورج صاند » . امرأة متزوجة ولكنها ندمت على ما فرط منها فهجرت . ان قوله هذا ممكن ، ولكن كيف تفسر بعض التعابير القاسية ؟ وهل تقبل أن الألمين - قطيعة هذه المرأة وقطيعة جورج صاند - ذابا في بوتقة واحدة ليشكلأ ألماً واحداً ؟

الشاعر

عندما كنت طالباً

بقيت ساهراً ، ذات مساء

<http://Archivebeta.S>

في غرفتنا المنفردة .

وأمام منضدة ، جاء تلميذ

مسكين يرتدي السواد وجلس :

انه يشبهني كأخ

* * *

كان وجهه كامداً وجيلاً

على ضوء مصباحي ،

وفي كتابي المفتوح طلق يقرأ

وأسند جبهته على يدي
وبقي هكذا حتى اليوم التالي
يفكر وعلى ثغره ابتسامة حلوة •

* * *

ولما بلغت الخامسة عشرة
كنت أتمشى بخطأ بطيئة
في غابة ، وعلى النّبات •
وعند ساق شجرة ، جاء
شاب يرتدي السواد وجلس
إنه يشبهني كأخ •



سألته عن طريقي ،
وكان يُمسك بأحدى يديه عوداً
وفي الثانية طاقة من نسرين ،
فالتفت إليّ نصف التفاتة
وأشار بأصبعه نحو الهضبة •

* * *

وفي السنّ الذي يطلب الحب ،
كنتُ - ذات يومٍ وحدي في غرفتي

أبكي بؤسي الأول .^(١)
وفي زاوية من موقدي ، جاء
غريب " يرتدي السواد وجلس .
انه يشبهني كأخ .

* * *

كان كثيراً مضطرباً
يشير باحدى يديه الى السموات
وبالأخرى يمسك سيفاً .^(٢)
ويبدو أنه يتألم لألمي ،
ولكنه لم يرسل " إلا زقزقة واحدة .
ثم تلاشى مثل حلم .

* * *

وفي سن الفجور^(٣) ،
كنت في وليمة - ذات يوم - .
ولكي أشرب نخباً
رفعت كأسي . فجاء الى أمامي

(١) ليس المقصود جورج صاند ولكن أولى تجاربه في الحب

(٢) الشهوة التي تثقب الفؤاد

(٣) الرقص وراء المرأة .

مدعؤ يلبس السواد وجلس •
انه يشبهني كأخ •

* * *

كان يهز تحت معطفه
ثوباً مهلهلاً من الأرجوان
وعلى رأسه آس " ذابل •
كانت ذراعه تطلب ذراعي
وما إن لمست " كاسي كاسه"
حتى تحطمت في يدي الضعيفة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhit.com>

وبعد سنة ، في ليلة ليلاء ،
كنت راکعاً قرب السرير ،
وعليه أبي يلفظ قصه الأخير •
جاء يتيماً " وجلس عند رأس السرير
وكان يرتدي السواد ،
انه يشبهني كأخ

* * *

كانت عيناه غارقتين في الدمع
كملائكة الأسم •

وكان على رأسه تاج من شوك
وعوده على الأرض ، يحتضر
وثوبه الأرجواني يحكي الدم
وسيفه في صدره (مغمود)

* * *

فتذكرته جيداً
لقد عرفته ، طالما شاهدته
في كل لحظة من لحظات حياتي .
انه حلم " غريب ،
ومع ذلك ، رأيته في كل مكان .
وسواء " لذي " اكان ملاكاً أم شيطاناً
انه ظلّ صديق

* * *

وبعد زمنٍ طويلٍ ، وقد اجهدي الألم ،
اردتُ أن أنفي نفسي من فرنسا (١) .
إمّا لأولد من جديد واما أن انتهي .
لقد عييتُ من السير
فاردت السفر كيما
اقتس عن بقايا آثار أمل .

(١) سفره مع جورج صاند عشيقته الى إيطاليا .

في كل مكان ، تحت هذه السموات الرحبة ،
 أجهدتُ فؤادي وعيني
 وكلاهما يدُ ميان من جرحِ خالد ،
 في كل مكان ، يجبرُ حقدُ الحياة
 جهودِي وراءه ،

ويتشمى بي على حصير من صفصاف
 * * *

في كل مكان ، كنتُ أتلفُظُ ظمناً
 ودائماً من عطشِ عالمٍ مجهول
 لقد تبعتُ شبحَ أحلامي ،
 في كل مكان ، حتى في المكان الذي كنتُ لا أعيش به
 رأيتُ ما كنتُ أرى
 الوجهَ الإنسانيَّ وأكاذيبه
 * * *

في كل مكان ، وعلى طول دروبي
 اخذتُ رأسي بين يدي
 متأوهاً كامرأة .

في كل مكان ، ومثل حَمَلٍ
 تركتُ صوفه على الدغل ،
 شعرتُ ان روحي تتعرَّى .

* * *

في كل مكان اردت فيه النوم ،
في كل مكان اردت فيه الموت
في كل مكان لامست الأرض راکعاً ،
في طريقي ، كان بائسٌ يأتي
ويجلس وهو يرتدي السواد •
انه يشبهني كأخ •

* * *

من أنت إذن؟ أنت الذي
أراه طوال حياتي في طريقي ؟
لا أستطيع أن أصدق — من أساك —
بانك قد ربي الرديء •
ابتسامتك الحلوة فيها الكثير من الصبر ،
ودموعك تنم عن الكثير من الإشفاق •
عندما أراك أحبّ العناية الإلهية •
حتى أن ألمك أخو ألمي
إذ إنه يشبه الصداقة

* * *

من أنت إذن؟ لست بملك الخير ،
نم تأت قطعاً اليّ وتُنذرنِي ،
إنك ترى أدواني — وهذا شيء غريب —

وتنظر إليّ وأنا أتشكّي •
منذ عشرين عاماً وأنت تعترض سيري •
لا أعرف بماذا ادعوك •
من أنت اذن ؟ وإذا كان الله قد أرسلك
فإنك تبسم لي ولا تشاطرني أفراحي
وتشفق عليّ ولا تعزيني •

* * *

في هذا المساء أيضاً ، رأيتك تظهر لي
وكان ذلك في ليلة حزينة ،
وجناح الرياح يفرج نافذتي ،
كنت وحدي منحنياً على سيري •

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

كنت اجمع رسائل الماضي :
شعراً ونسفاً من الحب •
وكان الماضي في كل ذلك يصرخ في أذنيّ بأيمانه الخالدة ،
كنت أتأمل تلك المخلفات المقدسة
التي تجعل يدي ترتعش
والتي تجعل دموع القلب يلتهمها القلب
والتي تجعل من عينيّ الباكتين
لا تعرفان الغد مطلقاً

لفتتُ في مِرْزَقَةٍ خشنَةٍ من الصوف
تلك المخلفات من أيامي السعيدة ،
وكنت أقول لنفسي : الذي يبقى على هذه الأرض
هو ذؤابة من شعر •
ومثل غاطسٍ في بحرٍ لجِّي
ضعتُ في خُضَمٍ من النسيان ؟
أديرُ آلة الأعماق في كل الاتجاهات ،
وكنت أبكي وحدي ، وحدي بعيداً عن أعين الناس
أبكي حُبِّي المسكين المدفون •



وأوشكت أن أضلخ خاتم الشمع الأسود
على ذلك الكنز^(١) العزيز السريع العطب
لأعيده الى مصدره ، وأنا لا أصدق ما أقوم
وأبكي ، ولا أصدق (هجرانك لي) •
آه ! أيتها المرأة^(٢) الضعيفة المتكبرة المجنونة
ستذكريني رغماً عنك •

لماذا - يا إلهي العظيم - تكذب على افكارها
لماذا ذلك البكاء ، وذلك الحلق المسحوق
بتلك الآهات ، ان لم تكوني تحبين

(١) الرسائل المتبادلة مع من احب .

(٢) جورج صائد .

ولكن فجأة ، رأيت في الليل الحالك
شكلاً ينزلق دون أن يحدث صوتاً
وعلى ستارتي رأيت ظلاً يمر
وجاء وجلس على سريري •
من أنت اذن ؟ أيها الوجه الحزين الشاحب !
أيها الصورة القاتمة المجللة بالسواد !
ماذا تريد مني ، أيها الطائر البائس في مرورك بي ؟
هل هذا حلم "باطل" • هل هذا صورتي حقاً
ما أرى في المرأة •



ARCHIVE
<http://Archivebel.sakhr.com>

من أنت اذن ؟ لا شبح شامي !
أيها المتجول الذي لم يتعبه شيء !
قل لي : لماذا أجده دائماً
جالساً في الظل حيث أمر ؟
من أنت اذن ؟ أيها الزائر الوحيد !
والضيف المواقب في آلامي ؟
ماذا جنيت لتلاحقني على هذه الأرض ؟
من أنت اذن ؟ من أنت اذن ؟ يا أخي !
الذي لا يترأى إلا في أيام بؤسي •

* * *

الحلم (الشبح)

يا صديقي ! أبي ابوك
لست الملاك الحارس
ولا القدر المشؤوم للبشر
لا أدري الى أي جانب
تذهب الخطأ بالذين احبهم
في هذا الوحل ^(١) القليل الذي نحن فيه

* * *



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhoit.com>

لست إلهاً ولا شيطاناً •
وقد دعوتني باسمي
عندما ناديتني بأخيك •
أنسى تذهب • أكن معك
حتى آخر أيامك ،
وعندها أجلس على شاهدك ^(٢)

* * *

لقد أودعتني السماء قلبك
عندما تتشكى من الألم •

(١) الارض

(٢) شارة توضع على القبر .

تعال إليّ ولا تخف°
سأتبعك في الطريق ،
ولكنني لا أستطيع أن أمس يدك :
يا صديقي ! أنا الوحدة

* * *

ليلة أغسطس - آب

كتب « موسيه » هذه الليلة بجراح من الشباب ومن الغبطة . فقد
كان يستقبل بترحاب في كل مكان ، فيغشى الاندية الارستقراطية ويزور
عليّة القوم . فهو راض عن نفسه كل الرضى . وتعتبر هذه الليلة
أغنية الصبا وأنشودة الحب .
وقد لاهم النقّاد لاهماله الالهام وسعيه وراء المغامرات العشقية .
وتبدو نبرات الشاعر في هذه الليلة ليست أقل حرارة من غيرها من
الليالي وعندما يتعمق المرء في دراسة هذه الليلة يبدو له أن تلك الغبطة
ليست الا ضرباً من القنوط واليأس .

ربة الشعر

هنا أن تخطت الشمس في الأفق الرحب
برج السرطان على محورها المشتعل
غادرتني السعادة فانتظرت بكل سكينة
الساعة التي يدعوني بها حبيبي .

واحسرتاه ! منذ زمن وبيته مقفر خال ،
ولم يبق شيء حي من أيامه الحلوة •
انا وحدي ، اتي ملتفتة بملاءتي
واضعة جبھتي الالهية على عتبة بابہ النصف مفتوح
كأرملة تبكي على قبر ولد •

الشاعر



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

سلاماً ، يا صديقتي الامينة !
سلاماً ، يا مجدي ايا حبي !
أنت خير من اجدہ
لدى عودتي وأغزه ،
لقد خطفني الطمع والفكرة
زمناً (١) •
سلاماً ، يا أمي ومربيتي !
سلاماً سلاماً ، يامعزيتي !
افتحي ذراعيك ، انني قادم لأغني

ربة الشعر

لماذا ، يا ذا القلب الظمآن ! ياذا القلب المجهد من الأمنيات !
لماذا تهرب مني في كثير من الاحايين لتعود اليّ متأخراً ؟

(١) . استغل فترة بالسياسة ونشر المقالات حبا بالكسب .

وعلى ماذا تفتش ، ان لم يكن على بعض الحظوظ ؟
وماذا تجلب لنفسك ، ان لم يكن بعض الالام ؟
ما تفعل في بُعدك عني ، وانا بانتظارك حتى شروق الشمس ؟
انك تتبع برقاً باهتاً في ليل عميق
لم يبق لك من لذائذ الدنيا
الامقت عاجز لحبنا الشريف
عندما وصلت الى غرفة دراستك وجدتها خالية
فوقفت أنظر من هذه الشرفة ، وأنا حائمة قلقة
الى جدران حديقتك ، وأفكر :
• انك تستسلم في الظل لقدرك الخبيث (٢) .
ان بعض الجمال المتكبر يكيك بكبيده ،
فتترك ذلك النشاط الذي يجب أن تنسقي آخر أغصانه
- في أزمنة أكثر سعادة - بدموع عينيك •
ان تلك النضارة الكثيبة كانت رمزي الحي ،
يا صديقي ! من نسيانك نموت معاً ،
فعبيره الخفيف يطير
بذكراي ضارباً في الاجواء •

الشاعر

رأيت - هذا المساء - في الدرب ،

(٢) الركض وراء المرأة .

عندما مررت في المرج
زهرة مرتعشة ذابلة
زهرة شاحبة من النسرين ،
ورأيت الى جانبها برعماً أخضر
يتأرجح على الشجيرة !
رأيت في البرعم زهرة جديدة تبدأ بالتفتح ،
وكانت الزهرة الفتية أكثر جمالا .
وهكذا يجب على الانسان أن يتجدد .

رَبِّةُ الشَّعْرِ

واحسرتاه ! دائماً انسان ! واحر قلباه ! دائماً دموع !
ودائماً رجلاً مغيرتان وعرق يكسو الجبين !
دائماً معارك مقيمة وأسلحة مدماة !
كم ينكر القلب الجرح في أعماقه .
واحسرتاه ! في كل بلد نفس الحياة :
الرغبة ، الأسف ، الأخذ والعطاء ،
دائماً نفس الممثلين ونفس المهزلة ،
كل هذا ابتدعته البراءة الانسانية ،
ليس بحقيقي الا الهيكل البشري .
واحسرتاه ! يا حبيبي ! لم تعد شاعراً

الشاعر

عندما اجتزت الوادي
كان طائر يغني في عشه •
وصغاره ، صغاره العزيزة عليه
ماتت في الليل •
ومع ذلك فهو يغني للفجر •
لاتبكي يا ريتي !
ان فقدنا الكل فالله باق
الله في العلى ، والامل هنا •



رصة الشعر
ARCHIVE

<http://Archive.org>

وما عساك تجد ، في يوم يعيدك
بؤسك الى بيتك الأبوي ؟
وماذا تجد ، عندما تمسح الغبار بيدك الواجفتين
عن تلك العزلة التي تظن أنك نسيتها •
بأي وجه تعود الى بيتك الخاص
لتفتش عن قليل من الهدوء وكرم الضيافة ؟
سيكون وقتذاك صوت يصرخ في كل آونة ،
في أعماقك : ما فعلت بحياتك وبحريتك ؟
أتظن اذن أننا ننسى أكثر مما نأمل ؟
وهل تظن أنك ستجد نفسك اذا ما درت عليها ؟

من الشاعر ؟ أنت أم قلبك ؟
انه قلبك ، وقلبك لن يجيبك .
قد يحطمه الحب وتحوله الرغبات المشؤومة
الى حجر ، من كثرة احتكاكه بالخبثاء ،
وعندها لن تشعر الا ببقايا رهبة
تتلوى فيك كما تتلوى الأفعى .
ماذا فعلت - يا حبيبي - بأيام شبابك ؟
من قطف ثمرتي من شجرتي الفينانة ؟
واحسرتاه اكان محياك يعجب الالهة
التي تحمل بين يديها القوة والصحة
لقد أذبلت الدموع المجنونة خذك ،
ومن جمالك (٢) سنضيع الفضيلة .
انا التي احبك كصديق لي وحيد ،
بماذا تجيبني اذا ما الالهة الغضبي
نزعت مني عبقريتك وأسقطتني من العلى ؟

الشاعر

طالما ان عصفور الغابات يطير ويغني
بين الأغصان وقد تكسر بيضه في عشه ،
وطالما زهرة الحقول التي تتفتح مع الفجر

(٣) القوة الفكرية والخلقية .

وهي ترمق ، في الروض ، زهرة تتفتح
فتنحني (زهرة الحقول) بكل هدوء وتسقط مع الليل، (١)

* * *

وطالما في أعماق الغابات ، تحت أسطحه الخضرة
نسمع تحطيم الخشب الميت ، في الدرب ،
وطالما ان الانسان الخالد وهو يجتاز الطبيعة الخالدة
لا يعرف من كل العلوم
الا ان يمشي دائماً وينسى دائماً .

* * *

طالما ان الصخور تتحول الى عيار ،
وطالما كل شيء يموت منشاء ليتجدد مع الصباح
وطالما أن القتل والحرب عبارة عن سماء ،
وطالما من القبر تنبعث
تلك القشة من العشب فتقدم لنا الخبز .

* * *

ياربتي ! لقد تنساوى لدي الموت والحياة .
وأحب ، وأريد أن أذوب ، وأحب وأريد أن أتالم

(١) تاركة لغيرها حق النماء .

- أحب ، ولقاء قبلة واحدة ابذل عبقريتي
- أحب ، وأريد أن أشعر على خدي النحيل
- بسيلان نبع ، لا يملك أن ينضب
- أحب وأريد أن أتغنى بالفرح والخموس ،
- وبتجربتي المجنونة ووساوسي اليومية ،
- أريد أن أقص وأن أعيد دوماً ما قصصت ،
- بعد أن أقسمت بأن أعيش دون عشيقة ،
- أقسمت أن أعيش للحب وأن أموت في سبيله .



- تعري أمام الجميع من الكبرياء التي تفترسك ،
- يا ذات القلب المنتفخ بالحرارة ، وكنت تظنين أنه مغلق
- أحبي وستولدين من جديد ، كوني زهرة دائمة التفتح .
- بعد أن تألمنا يجب أن نتألم
- ويجب أن نحب دوماً بعد أن أحببنا .

ليلة أكتوبر - تشرين الاول

ربما كانت هذه خير لياليه ولكن الاختيار صعب . في هذه الليلة
تختلف النبرات من حقد الى صفح الى حنان ، وتتغير النغمات وفقاً
للعواطف وايقاع الانبيات الجامح أو الهاديء مع سلامة في اللغة والتعبير ،
مما يجعل منها تحفة فنية رائعة .

كان موسىه ذا صلة « بأيمي دالتون » وهي فتاة شقراء ناعمة لطيفة رقيقة • وكانت ابنة عم صديقه « دالتون شي » • وقد تزوجت ، بعد وفاته ، بأخيه بول موسىه • لقد كان الشاعر ينظم هذه الليلة وهي تقرأ ما يكتب من وراء كتفه • وربما قالت في نفسها : « كم كان يحبها » - جورج صاند - • في هذه الليلة توبخه ربة الشعر وتلومه على خموله وتذكره بأحباءاتها السعيدة • ولكن الشاعر أجابها بأنه مستسلم الى هياجه • لقد غدر به حبه •

الشاعر

ان المرض الذي أشكو منه هرب مثل حلم ،
ولا أستطيع إلا أن أشبه تلك الذكرى البعيدة
بالضباب الرقيق الذي يثيره الفجر
والذي نشهده يتلاشى مع الندى •

ربة الشعر

ما بك يا شاعري ؟
أي هم غامض
أبعدك مني ؟
واحسرتاه ! انني لا أزال أشعر به •
ما هذا المرض الذي أجهله
والذي بكيته طويلا •

الشاعر

انه مرض متداول مبتذل معروف من الناس جيداً ،
ولكننا عندما نصاب بقليل من السأم في النفس •
نتخيل - نحن المجانين المساكين -
ان لا أحد شعر بألمه قبلنا •

ربة الشعر

لاغم مبتذل
الا غم " نفس مبتذلة •
يا صديقي ! لينطلق هذا السر الكئيب
من بين حناياك - الآن -
ثق بي ، تكلم بكل ثقة
فاله الصمت القاسي
وأحد اخوة الموت ،
عندما نتشاكى نتعزى •
وربما كلمة واحدة تخلصنا من عذاب الضمير •

الشاعر

اذا كان من المحتمل علي أن أتكلم الآن عن ألمي ،
ولأدري أي اسم اطلقه على هذا الألم •
هل هو حب ، جنون ، كبرياء ، تجربة • لا ادري
حتى ولا أعلم اذا كان أحد الناس استفاد منه •

ومع ذلك سأروي لك قصته ،
 طالما نحن وحدنا ، جالسين قرب المدفأة •
 خذي هذا العود ، اقتربي ، ودعي
 ذاكرتي تستيقظ شيئاً فشيئاً على ايقاع لحنه •

ربة الشعر

قبل أن تحدثني عن ألمك
 أيها الشاعر هل برئت منه ؟
 فكر ، ان حديثك الآن
 سيكون خلواً من الحب ومن الحقد •
 واذا كنت تذكر بأنني احمل
 اسم المعزية الجميل ،
 فلا تجعل مني شريكة اهوائك
 التي أضاعتك •

الشاعر

لقد شفيت تماماً من ذلك المرض ،
 وان كنت أشك احياناً في ذلك عندما أفكر فيه
 وفي الأمكنة التي تعرضت فيها حياتي للخطر (١) •
 وأعتقد بأنني ارى لنفسي وجهاً آخر (٢) •

(١) كان ذلك في البندقية مع جورج صائد .

(٢) غير وجهه الأول عندما كان يحبها اي جورج صائد .

ربة الشعر ! لاتخشي شيئاً ، ففي النفثة التي توحى اليك
نستطيع بها أن تتوابع أسرارنا دون أي محذور
من الجميل أن نبكي ومن الجميل أن نبتسم ،
وبذلك نستطيع أن ننسى ذكرى البؤس •

ربة الشعر

مثل أم يقظة
تنحني على سرير ولد حبيب
أنحني وأنا واجفة
على هذا القلب الذي أغلق في وجهي
تكلم يا صديقي ! فعودي مصغ
لكل نائمة شاكية
تقتفي اثر نغمات نسوتك
وفي خيط من الشعاع
تمر ظلال الماضي
مثل رؤيا لطيفة

الشاعر

أيام العمل ! انها الايام التي عشتها (١) •
وانت ، أيتها الوحدة المحببة ثلاثا الى قلبي !

(١) ظل موسه يعمل دون انقطاع ليكسب رزقه •

من الحمد يارب ! ها قد عدت
الى غرفة المدرس القديمة
انها كوخ حقير ما أكثر ما عريت جدرانه !
مقاعده مغبرة مصباحه الأمين ،
يا قصري ! يا عالمي الصغير !
وانت يا ربتي ! أيتها الخالدة الفتية
لك الحمد يا رب ! سنشرع اذأ بالغناء !
أجل ، أريد أن أفتح لك روحي ،
فتعرفين كل شيء ، وسأقص عليك
ما أحدثته امرأة من شقاء (٢) .

ARCHIVE
رَبِّةُ الشَّعْرِ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كفاك ، أيها الشاعر ! بالنسبة لغادرة •
إذا كانت ظنونك لاتعمر الا يوماً واحداً ،
فلا تشتم هذا اليوم عندما تتحدث عنها ،
وان اردت ان تحب ، فاحترم حبك
واذا كان الجهد الذي نبذله أكبر من ضعفنا البشري
واننا لا نستطيع ان نغفر ما يجليه غيرنا من الاضرار ،
فلنتجنب - على الأقل - عذاب الحقد ،
وان كنت لاتستطيع الغفران ، دع النسيان يأتي •

(٢) هذا موضوع التصيدة .

- الموتى يرقدون بسلام في باطن الارض •
وهكذا يجب أن ترقد مشاعرنا المنطفئة •
للقلب مخلفات جليلة ولكن لها غبارها أيضاً ،
ويجب أن نبعد أيدينا عن تلك المخلفات المقدسة •
لماذا ، في هذه القصة المثقلة بالألم الحي ،
لاتريد أن ترى فيها الا حلماً مزعجاً وحباً مخدوعاً ؟
هل تتصرف العناية الالهية دون أي سبب ؟
وهل تظن بأن الله لم يختبرك ؟
ربما كانت ضربته هذه التي تشكو منها قد انقذتك •
أيها الولد ! من هنا غزيت ، فانفتح جرح قلبك •
الانسان خادم يتعلم والألم معلمه •
ولا أحد يعرف نفسه إذا لم يتألم •
انه دستور قاس ولكنه دستور جاء من فوق
وقديم قدم العالم وقدم القدر المحتوم •
لقد كتب علينا الشقاء منذ خلقنا
وبهذا الثمن نشترى الحياة
ولكي ينضج الحصاد لابد له من الندى ،
ولكي يحيا الانسان ويشعر لابد له من البكاء ،
ان للفرح رمزاً هو نبتة كسرت
وهي لم تنزل بعد رطبة من المطر ومكسوة بالزهر •
الم تقل : انك برئت من جنونك ؟

ألم تكن شابا سعيدا يرحب بك في كل مكان ؟
وتلك الرغبات اللطيفة التي تجعلنا نحب الحياة
لو لم تبكها ، ما نفعل بها ؟
عندما يميل النهار - وأنت جالس على النبات -
تشرب بحرية مع صديق لك ،
قل لي : هل ترفع كأسك من كل قلبك
لو لم تشعر أنك قد قدمت ثمن الغبطة ؟
أتحب « بترارك » ونشيد الطيور
أتحب « ميكال أنج » والفنون و « شكسبير » والطبيعة ،
لو لم تجد في كل ذلك بعض الزفرات العتيقة ؟
هل تفهم نغم السموات الخفية ؟
وهل تفهم هدوء الليل وتمتمة الأمواه
لو لم تجد في الماضي الحمى والأرق
الذين جعلاك تفكر بالراحة الأبدية

* * *

يا ولدي ! ارحمها ، ارحم تلك الجميلة الغادرة ،
التي أجرت - من قبل - الدموع من عينيك ،
اعطف عليها ! انها امرأة ، والله جعلك بقربها
تعرف - وأنت تتألم - سر السعداء .
كانت مهمتها قاسية ، وربما كانت تحبك ،

ولكن شاء القدر أن تحطم قلبك •
انها كانت تعرف معنى الحياة ، وعرفتك اياه
لقد قطف غيرك ثمرة أحزانك
أرحمها ! ان حبها مر كحلم نائم ،
رأت جراحك ، ولكنها لم تستطع أن تضمدها •
صدقني ، لم تكن كاذبة في بكائها ،
اشفق عليها ، ولو كذبت على نفسك ، انك لم تنزل تعرف كيف
تحب



قلت حقاً ، فالحقد كفر ،
وهو ارتعاش ملؤة الرعب ،
عندما نترك هذه الأفعى الظمأى
تلتف على نفسها في صدرنا
اصغ الي اذن ، يا ربتي
وكوني شاهدة على يميني :
أقسم بحق عيني عشيقتي الزرقاوين ،
وبلازورد السماء ،
وبتلك الشرارة اللامعة
التي تحمل اسمها من « فينيس »
والتي تشع بعيدا في الأفق

مثل للؤلؤة واجفة ،
برحمة الخالق
بالضياء الهاديء الصافي
من نجمة عزيزة على المسافر (١) ،
بأعشاب المروج ،
بالغابات ، بالغياض الخضراء ،
بقوة الحياة ،
بنسغ الكون ،
سأبعدك عن ذاكرتي
يا بقية حب مجنون ،
وسترقد في الماضي
تلك القصة الغامضة الكامدة : <http://Archive>
أنت التي كنت تحملين من قبل
اسماً حلواً له شكل ،
فالحظة السامية التي انساك فيها
يجب أن تكون لحظة الغفران •
لنغفر ، انني أقطع القوة السحرية (٢)
التي كانت تجمعنا أمام الله •

(١) النجمة التعلبية .

(٢) جعل الحب قوة سحرية تطلع سلسلة حلقاتها .

ومع آخر دمعة - أذرفها -
تقبلي وداعاً أبدياً •
والآن ، يا ربتي الشقراء الحاملة
هيا بنا الى حبنا !
اعز في بعض الاغاني المفرحة
كما كنت تعزفين في الزمن الاول من أيامنا الجميلة •
ان الروض المعطر
يشعر بدنو الصباح ،
تعالى ، أيقظي يا حبيبتي !
زهرات الحديقة واقطفيها •
تعالى تري الطبيعة الخالدة
تخرج من غلائل النوم ،
اننا سنولد معها
مع شعاع الشمس الاول (١) •
اكتوبر ١٨٣٧

* * *

(١) يقصد صباح الامل الجديد .

سبع قصائد شعرية حديثة من كوريا

• ترجمة: منذر شرشاش

تقديم :

بدأ الادب الكوري الحديث حقيقة عند تزاوج الابدعية الكورية
والافكار الديمقراطية الوافدة في هذا القرن •

ان اللغة الكورية والتي هي فرع من اللغة المونغولية ليس لها
نبرة حادة ولا تعتمد على الحروف الملوطة من الانف NASAL • ان
الاصوات فيها مختلطة وموسيقية • وهي تعتمد على الصور والصوت في
اللفظ بينما تعتمد اللغة الصينية على الرموز والصور •

وقد قامت في الادب الكوري الحديث وفي عام ١٩٢٣ مدرسة الواقع
الاجتماعي والتي دافعت لأول مرة في التاريخ الكوري عن فوائد انتشار
الثقافة للجماهير العامة ولم تنس الحرية الفردية وتشجيع الصناعة •
وقد دعمها الحزب الشيوعي آنذاك •

بعد هذه المدرسة قامت المدرسة الرومانسية في عام ١٩٢٦ • وقد
تأثر أفرادها بالكتاب والشعراء الاوربيين أمثال بليك وجون كيتس

وجان جاك روسو فنجد شعراء رومانسيين مثل لي هوانغ سو ولي سوك
..سا يتحدثون نحو المادية الديالكتيكية ويؤكدون أهمية الشعور والحدس
في الشعر . ان شعراء هذه المدرسة يهتمون بالماضي والطبيعة مع الميل
الميثافيزيقية .

ولكن المتجاوز لكل هؤلاء هو هان يونغ ين ، الناسك البوذي ، الذي
يرى بأن المواضيع المجسدة لا أهمية لها بجانب اللامرئيات . وقد كانت
محاولته فلسفية بعض الشيء . أما كيم رم و كيم هوانغ سبا و لي ان
سو فهم مدينون لبودلير وفيرلين . لقد ثاروا ضد المدرستين السابقتين
في تلك المرحلة وبحثوا في الاساليب الحديثة والافكار الرمزية .

وبالرغم من عدم وجود القافية - بالمعنى الاكاديمي - في كلمات
الشعر الكوري الحديث إلا أنها تستعاض بالوسيقى الداخلية المتوازنة
والصور والخيالات الحية .

وفي الشعر الكوري تعتبر الطبيعة عظيمة كعظمة مخلوق الرب ،
الانسان . ان الورود والصفور الجامدة خاليتان من الروح ولكن الشعراء
قد حولوها الى أجسام عظيمة ومنحوها الخواص المميزة للانسان .

١ - هان يونغ ين (١) :

النسبة المعكوسة

هل صوتك قد خفت ؟

عندما لاتغني

أسمع صوتك بوضوح

صوتك باهت •

هل وجهك مظلم ؟

بعينين مُفَلَقَتَيْنِ

أرى وجهك بوضوح

وجهك مظلم •

هل ظلك مُشرق ؟

على الشباك المعتم

سطع ظلك

ظلك مُشرق •



٢ - لي يوك سا (٢) :

الذروة

فارآ من وطأة الشتاء القاتل

زحفت أخيرا الى الشمال

أقف عند نصل سيفه المتجمد

في السهل مشلول الحركة

لا أعرف أين أحنى ركبتى

ولا أين أضع خطواتي المرتعشة

لا لشيء ولكن لأغلق عيني
وأفكر بالشتاء فكأنه قوس قزح فولاذي

٣ - لي هوانغ سن (٢) :

الشوق للاصدقاء

اخواني وأخواتي !

هل تسمعون ؟

هل تسمعون

الأغنية التي أغنيها

وأنا جالس تحت الجدار المنهار

راكعا للأسفل ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اخواني وأخواتي

هل تشمئئون ؟

هل تشمون

رائحة الغابة المحروقة

بيدي المرتجفتين

في المبخرة البالية ؟

اخواني وأخواتي !

هل تشاهدونني ؟

هل تشاهدونني

قبل أن تشملنا شمس الحزن ؟
أو هل يجب أن نبعث الارث الموجع
في بحر الصمت المهيب ؟
اننا أشرفنا على اليأس
ولسعتنا الشمس الكاسرة •
لقد انتشرت قافلة آمالنا وسعادتنا القادمة
عبر أفقك القارص •
حفظت سهرات الليل ،
أقامت خلال رحلات الحج والتضحية ،
والآن ،
ماذا منحتنا ؟ أي جائزة ؟
ان أعصابنا متعبة وخواصرنا قد تلاشت •
اننا نعتقد بأن الاختيار
بين اليأس والسعادة
معدوم •
ولكن يبقى السؤال :
كيف نجابه الاضطراب ،
القلب الملتاع ،
الذاكرة البليدة ؟
إلهي ، أنت يا من منحتنا
القوة في الشمس ،

هل تستطيع ، يا إلهي ،
إخراجنا من هذا الشرك ؟

٦ - كيم كي رم (١) :

الفراشة والبحر

الخوف من البحر ، لدى الفراشة البيضاء ، معدوم
فهي لم تعلم عن عمقه ، عن أعماق أعماقه •

تخيلات البحر أخضر ، حقلا أخضر
ضربت الأمواج بأجنحتها
وتحطمت فوقها كملكة صغيرة حزينة

في شهر البنفسج الأزجواني

لم يكن للورود في البحر عطرا
ولكنها ماتت باهتة •

كان القمر الجديد على أكتاف الفراشة أزرق باهتا •

٧ - ب • ب • هيون (٧) :

الروح المحترقة

الروح محترقة •

الجسد ميت •

وقد وجدت نفسي في جوف شمعة

أحرق شحم الأدعياء الفارغين
أهز النجمة لأمسك القمر ،
وأسمع سراً
حكايات لا تنحصى
عن الايام الخوالي .

اشارات

(١) من أكثر المتحدثين عن الشعر البوذي في كوريا اليوم . نشر هان يونغ ين (١٨٩٩-١٩٤٠) بعض الكتب التعليمية عن البوذية بالإضافة إلى ديوانه (قصائد مختارة) وروايته (الريح السوداء) .

(٢) عندما كان طالباً في جامعة بيكين يدرس الأدب الصيني توفي لي يوك سا (١٩٠٥-١٩٤٤) في سجن بيكين .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(٣) ولد الشاعر في ١٨٩٢ وتخرج في جامعة داسيدا في طوكيو . وهو معروف بكتابت روايات غله عدة روايات مثل (الرائد) و (شذى الحياة) و (الحب) . ويعتبره النقاد أب الأدب الكوري الحديث .

(٤) ولد الشاعر في عام ١٩٠٤ وتخرج من جامعة داسيدا في طوكيو . وقد نشر قصائده المختارة تحت عنوان (الحزن إلى الوطن) .

(٥) تخرج الشاعر لي ان سو (١٩٠٩ - ١٩٥٠) من جامعة لندن . عند وفاته كان لي ان سو يعمل في كتابين هما (الإنجاز الفني في كوريا) وترجمة لـ (الأرض الخراب) للشاعر الأمريكي ت. س. اليوت .

(٦) ولد الشاعر في عام ١٩٠٩ وهو خريج جامعة توهوكو امبريال . يعتبره النقاد رائد حركة الرواد الطلابيين في كوريا .

المظهر والمخبر

• ترجمة: د. حسان الحاج ابراهيم

• قصة: وليم سمرست موم

وليم سمرست موم

سمرست موم كاتب ذائع الصيت ، قل أن تجد من لم يسمع به أو يقرأ له ، بل لعله أكثر الكتاب قراء ، وأبعدهم صوتاً . وقد وصفه أحد النقاد الادباء وهو Syrril Connally بأنه خير كاتب قصصي في الادب الانكليزي الحديث . <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولد وليم سمرست موم في باريس سنة ١٨٧٤ لأب يعمل محامياً لدى السفارة البريطانية هناك ، وأم أديبة حسناء . فنشأ وترعرع في باريس ، وأتقن اللغة الفرنسية ، حتى كانت معرفته بلغته الانكليزية آنذاك ضئيلة . وقد توفي أبواه في صغره ، فكفله عم له كان يعمل قساً في Whitstable ، وأدخله مدرسة الملك في كانتربري Canterbury ثم قضى سنة بعدها في هايدلبرغ في ألمانيا ، حيث نعم بالحرية لأول مرة في حياته . وبعد عودته الى انكلترا التحق بمستشفى القديس توما St. Thomas في لندن ، حيث درس الطب الى أن تخرج

منه طبيبا عام ١٨٩٧ ، ولكنه لم يمارس مهنة الطب ، بل أثر الكتابة ، وقد شجعه في ذلك ملاقته أولى رواياته من نجاح ، وهي رواية Liza of Lambeth

أما حياته بعد ذلك فانها تتمثل في ماكتبه قبل أن تتمثل في معاشه من أحداث . وقد عاش سمرست موم حتى الحادية والتسعين يكتب القصص والروايات والمسرحيات « واضعا حياته بأجمعها فيها » . وقد لاقت رواياته وقصصه نجاحا منقطع النظير بين القراء ، وترجمت الى شتى اللغات . وكان سمرست موم مولعا بالسفر والترحال ، فلم يدع بلدا من البلدان الا زاره ، ولكنه أثر أن يقيم في فرنسا ، فافتنى له دارة في الجنوب منها على ساحل البحر ، عرفت بدارة مورسك كانت مبنية على الطراز الاندلسي ، فكان يقضي وقته فيها بين كتابة ومطالعة ، ينهض في الثامنة ويقعد الى مكتبه في التاسعة ويكتب لمدة أربع ساعات ، اذا زادت فانها لاتنقص عن ذلك أبدا . وقد سأل صديق له ذات مرة : « ولكن ، ماذا كنت تفعل أيام لاتواتيك الرغبة في الكتابة ؟ » قال : « عندما يعيش المرء مما يكتبه يا صغيري ، فانه لا يملك أن يضع تلك الايام . قال : « فماذا لو لم تستطع أن تفكر في شيء تكتبه ؟ » قال : « انك محق ، فهذا أمر كثيرا ما يحدث ، فان حدث فاني كنت أجلس هناك وأكتب (سمرست موم) وأعيد كتابتها مرة بعد مرة حتى يفتح علي بشيء » .

وقد عاش موم الى (١٩٤١) ، وهو يعاني من ثقل في لسانه ولجلجة

في كلامه ، وهي عاهة عانى منها كثيرا في صغره ، الى أن شفاها منها أحد الأطباء ، ولكنها أخذت تعاوده بعد ذلك عندما كبر وشاخ .

وقد خلف موم عددا كبيرا من القصص والمسرحيات والروايات وكتباً أخرى . فأما كتبه الأخرى فقليلة في عددها ، تتضمن بعض ما كتبه عن نفسه أو حياته ، وكتباً قليلة في النقد والاسفار . وقد كتب عددا كبيرا من المسرحيات ، بل قد أتى عليه زمن كان فيه ثاني اثنين شهرة في مسارح لندن بعد جورج برناردشو ، ولكن نشاطه المسرحي انتهى بمسرحية Sheppey سنة ١٩٣٣ .

وتبرز من بين رواياته العديدة روايته التي استمد أحداثها من حياته ، وهي رواية Of human bondage التي وصفت فيها ماعاناه من بؤس وشقاء في حياته قبل العشرين . وقد كتب بعد ذلك يقول :

« ان الميزة الكبرى في أن يكون المرء كاتباً هي في أن يخلص نفسه مما مر به من تجارب بائسة ، بأن يكتبها على الورق » .

وقال عن كتابه في العبودية الانسانية هذا بعد أن فرغ من كتابته « لقد حقق الكتاب لي ما كنت أبغيه ، فبعد أن أخرجته للناس ، وجدت نفسي حراً من كل تلك الذكريات الاليمة . لقد وضعت فيه كل شيء كنت أعرفه ، فلما فرغت منه ، أخذت أعد نفسي لبداية جديدة » .

ومن رواياته الأخرى الشهيرة أيضاً روايتا Caks and ale و The moon and sixpence وغيرهما .

وقد اتجه سمرست موم الى كتابة القصص بعد عام ١٩٢١ عندما نشر أولى مجموعاته القصصية (ارتعاش ورقة The trembling of a leaf) ثم اتبعها مجموعات أخرى خلدت اسمه بين كتاب القصص المعاصرين . وتمتاز قصصه بالسلاسة والاتقان . تمتع قارئها وتسليه ، وتزيد من فهمه للانسان وطبيعته . ولعل أروعها قصة « مطر Rain) التي مثلت ولخصت وترجمت مئات المرات حتى درت على صاحبها نحواً من نصف مليون دولار .

وكان موم كاتباً واسع الثقافة ، كثير المطالعة .

أما فلسفته التي كونها لنفسه فقد كانت فلسفة قائمة على ما بسميه الانكليز Common sense ، فليس كموم ممثلاً لهذا العرف العام أو منطق الفطرة والحس السليم . فكان يؤمن بما يثبتته العلم ويدع ما وراء ذلك . وكان لا يخذع نفسه أو غيره بما يزعم الناس الايمان به من مثل وقيم ، يظهرون الايمان بها ويخفون دوافعهم الأثرية وأطماعهم خلفها . فلم يكن يدهشه أن يجد الشر والمنكر فاشياً ، على علمه بأن الانسان كائن مركب معقد أشد التعقيد ، تجمع فيه خلال الشر والخير معا في توافق عجيب . وقد أبدى لذلك في رواياته تسامحاً لم يرض نقاده مع الجناة والاثمين ، مع اعتقاده بأن المرء انما يفعل مايفعله في كثير من الاحيان نتيجة لحكم الظروف والبيئة ، وفطرة فطر عليها لايمك أن يغيرها ، وطبيعة بشرية هي أميل الى الشر والاثرة منها الى الخير والايثار .

وقد أكثر الناس فيه لآرائه هذه وهم لاغرو يكثرُونَ . فقد طالما ألف الناس أن يتشددوا بالمثل والفضائل ، وأن يزعموا الإيمان بها والتزامها في حياتهم ، حتى إذا حق الحق وجدتهم قد نبذوها وراءهم ظهريا ، وفعلوا ماتمليه عليهم مصالحهم الأثرة وأطماعهم ، وهم مع ذلك يزعمون بأنهم انما يفعلون مايفعلون في سبيل غاية مثلى ، يخادعون أنفسهم وهم لايشعرون . فهم لذلك ينكرون أن يجبههم أحد بالحقيقة التي يريدون أن يغمضوا أعينهم عنها ، وانهم لواهمون . وقد نجح موم في اجتذاب القراء لانه عرف كيف يتمتعهم بقصصه ورواياته ، وأسلوبه السهل الذي يناسب كالماء الزلال . وقد طالما شعرت وأنا أقرأ له بأنه انما يتحدث الي حديثه الممتع الشيق ، ونحن قاعدان في استرخاء بعد وجبة لذیذة من الطعام . واني أحسب انه كان يقصد الى ذلك ويريده ، فقد وجدت غير مرة فيما كتب أنه يؤثر من اساليب الكتابة أسلوب الحديث المبهذب الممتع . ففي معرض حديثه عن الكاتب الانكليزي هنري فيلدنغ وكتابه توم جونز ، يقول عنه ما أخاله ينطبق عليه قبل غيره : « انه يقال أن الاسلوب الجيد هو الاسلوب الذي يماثل حديث الرجل الاديب . وهذا ماينطبق على أسلوب فيلدنغ كل المطابقة . فهو يحدث قراءه ويروي لهم قصته كما لو كان يرويها لعدد من أصحابه وهم قاعدون الى عشايتهم وأمامهم زجاجة من خمر » (١) .

1 — W. Somrset Maugham, Ten novels and theis authors, Penguin Books, London, 1969, P. 40.

ولم تكن هذه سمة أسلوب سمرست موم في رواياته ، بل كانت سمة أسلوبه في كل ماكتب . وقد أدرك ذلك R. Cordell في كتابه عنه ، فكتب يقول : « كان سمرست موم يفضل القصة التي يمكن للمرء أن يرويها في النادي أو على العشاء » (٢) . وعن بعض كتبه في النقد يقول : « يُشرك الكتاب قارئه في علم المؤلف وحبه للمطالعة . فهو ليس كتابا في النقد بالمعنى الحديث للنقد ، وإنما يشعر القارئ وكأنما هو قاعد في حديقة دارة مورسك يستمتع بمضيفه الشيخ الحكيم يتحدث عن الكتب التي قرأها ، والناس الذين عرفهم » (٣) .

وسمرست موم لا يني يؤكد أن الغاية من قراءة القصص والروايات وكتابتها هي ما يجده قارئها من متعة فيها ، وليست غايتها في الدعاية أو التعليم . وهو يحسب أن هذه المتعة والاثارة هي غاية كل فن رفيع ، من شعر وأدب وموسيقا ونحوها ، وليس ذلك شأن القصص والروايات وحدها . وان الرواية التي لاتمتع قارئها ولاتحمله على متابعة قراءتها ، لأقل من أن يؤبه لها .

وقد أبدى سمرست موم في غير مكان اعجابه بطريقة هنري جيمز في رواية قصصه ، اذ كان يروي قصصه على لسان بعض أشخاصها ممن

2 — Richard Cordell, Somerset Maugham, a biographical and critical study, Heinemann, London, 1961, P. 141.

3 — Richard Cordell, P. 205.

له بعض الشأن في أحداثها ، فقد استطاع بذلك أن يخلق من الاثر في نفوس قرائه ما كان يريد، وأن يتجنب مصاعب الكاتب الذي يتخذ لنفسه سمات الراوي السميع العليم العارف بكل شيء . فان كل ما لا يعلمه راويه عندئذ يترك غامضاً مجهولاً ، الى ان يحين موعد كشفه للقارئ في رأي الكاتب(٤) . وقد استخدم سمرست موم هذا الاسلوب في عدد من رواياته ، كما لجأ أحيانا الى رواية بعض قصصه على لسانه ، دون أن يجعل لنفسه دور البطولة في قصصه هذه ، وهي طريقة في الرواية كان سمرست موم قد أبدى اعجابه بها كذلك ونسبها الى هيرمن ملفل(٥) .

وقد توفي سمرست موم سنة ١٩٦٥ ، فأوصى ألا يصلى عليه وأن تحرق جثته . واختتمت بذلك حياته الحافلة التي عاشها ، ونموذجه الذي حاول أن يصنعه منها .

المظهر والخبر

لست أضمن صحة هذه القصة ، ولكني سمعتها من مدرس للادب الفرنسي في جامعة انكليزية ، وكان رجلاً تمنعه مروءته فيما أحسب من روايتها لو لم تكن صحيحة . وكان دأبه أن يلفت نظر طلابه الى ثلاثة من الكتاب الفرنسيين الذين كانوا يجمعون في رأيه تلك الخصال التي

4 — The Summing up, P. 144.

5 — Ten novels, P. 17.

تقوم عليها الشخصية الفرنسية ، فكان يقول أن قراءة آثارهم تعلم خائريها أموراً كثيرة عن الشعب الفرنسي ، حتى أنه لو كان الأمر إليه بما رضي لأولئك الولاة منا ، ممن تضطربهم مهامهم إلى التعامل مع الفرنسيين أن يلوا مقاليد أمورهم إلا أن يمتحنوا امتحاناً عسيراً في آثار أولئك الكتاب . وكان أولئك الكتاب هم رابليه وما اتصف به من gauloiserie يمكن وصفها بأنها ذراية لاكتفتي بأن تسمى المسحاة رفشاً لعينا ، ثم لافونتين وما اتصف به من bon sens وما هو إلا منطق العرف ، وأخيراً كورني والـ Panache ، وهي كلمة تترجم عادة في المعجمات بالريشة التي كان الفارس المدمج يضعها على مغفره ، ولكنها تعني مجازاً فيما يبدو الجلال وأظهار الشجاعة والبطولة والشَّوْز ، والفخر والزهو والخيلاء . وكانت تلك الـ Le panache هي التي جعلت الفرنسيين الأحرار في قونتينوني يقولون لضباط الملك جورج الثاني، أطلقوا رصاصكم أولاً أيها السادة، وكانت تلك الـ Le panache هي التي انتزعت من شفتي كامبرون الفاجرتين قوله في ووترلو ، أن الحارس يموت ولكنه لا يستسلم أبداً ، وأنها الـ Le panache كذلك التي تغري شاعراً فرنسياً محتاجاً ، وقد منح جائزة نوبل ، أن يفرقها جميعاً في ايماءة رائعة . لم يكن علاقتنا ذاك رجلاً عابثاً ، وكان يرى في هذه القصة التي سوف أرويها خير ما يوضح تلك الخلل الرئيسية في الأمة الفرنسية ، حتى كان لها عنده قيمة تربوية سامية .

ولقد أسميتها المظهر والمخبر ، وهو عنوان ما أحسب أنه قد يعتبر

أهم كتاب فلسفي أخرجته بلادنا ، حقا أو باطلا ، في القرن التاسع عشر . وهو كتاب جاف ولكنه مثير ، قد كتب بلغة انكليزية بليغة ، مع طرافة فيه ظاهرة . ومع أن القارئ من عامة القراء ربما لا يستطيع أن يتابع فاهما بعض مافيه من محاجات عميقة ، فانه يحس مع ذلك بشيء من المتعة المثيرة كمن يمشي على حبل روعي مشدود فوق هوة فلسفية ، فاذا أنهى الكتاب شعر في نفسه بشيء من الرضى والطمأنينة الى أنه لاشيء يستحق أن يؤبه له كائنا ماكان . ولا عذر لدي في استخدام عنوان كتاب مشهور كهذا الكتاب ، الا أنه يفي بالغرض من قصتي خير وفاء . ومع أن ليزيت لم تكن فيلسوفة الا بذلك المعنى الذي نكون به فلاسفة جميعا ، اذ كانت تعمل فكرها في شؤون المعاش ، فانه كان لها من عمق احساسها بالخبر وصدق تعاطفها مع المظهر ما يكاد يصدق معه زعمها بأنها قد توصلت الى التوفيق بين ما لا يتفق من النقائق ، مما لا يزال الفلاسفة يسعون اليه هذه القرون العديدة . كانت ليزيت فرنسية ، وكانت تنفق ساعات عديدة كل يوم وهي تلبس ثم تخلع بالبسته في متجر من أرقى متاجر باريس وأكثرها غلاء . وانه دون شك لشغل ممتع لفتاة تدرك تمام الادراك ما لقوامها من رشاقة وجمال . فقد كانت باختصار عارضة أزياء . وكانت ذات طول فارغ تملك معه أن ترتدي الثوب المنذال في أناقة ، كما كانت هيفاء تكاد وهي في لباس الملعب أن تنشر شذا الخلنج حولها . وكانت لطول ساقها تستطيع أن ترتدي المنامة في امتياز ظاهر ، وكانت بخصرها الدقيق وتديها الصغيرين تجعل

أبسط لباس من ألبسة السباحة يبدو عليها فتنة للناظرين • وكانت تاف معطف الفرو حول نفسها لفة ذات سحر تجعل أعقل الرجال يقر أن معطف الفرو هذا يستحق كل مال يدفع ثمنه له • وكانت تجلس على الإرائك الواسعة كل بدينة من النساء ، أو امرأة خشناء ، أو زحانة ، أو عجوز شمطاء ، أو دميمة شوهاء ، وكانت ليزيت تبدو بارعة الحسن والدلال ، فكان ذلك يشترين من الثياب ما كان يلبيق بها لباقة معجبة • وكانت نجلاء العينين عسليتهما ، فوهاء وردية الثغر ، ذات بشرة بضة نمشاء قليلا ، وكانت لاتحسن أن تحافظ على تلك الهيئة المتكبرة العابسة الجامدة ، وهي هيئة كانت فيما يبدو ضرورة لازمة لكل عارضة أزياء وهي تدخل رزينة بخطواتها المتزنة ، فتلتفت متباطئة ، ثم تخرج بوقار وكأنها تكن الكون ازدرأ لايأمله الا ازدرأ الجمل له • وكان في عيني ليزيت النجلاوين العسليتين ايجاء ببريق ، كما كانت شفاتها النكععتان^(١) تهتزان وكأنما على وشك أن تنفجرا عن ابتسامة لدى أقل اشارة • ولقد كان ذلك البريق هو الذي جذب انتباه السيد ريمون لوسور •

كان السيد لوسور قاعدا على كرسي من طراز منحول الى عصر الملك لويس السادس عشر بقرب زوجته القاعدة على كرسي آخر • وكانت زوجته هي التي أغرته بالمجيء معها لمشاهدة العرض الخاص بأزياء الربيع ، فكان ذلك برهانا منه على لطفه وطيب نفسه • فقد كان رجلا

(١) الشفة النكعة هي الشفة الحمراء .

تشغله أعمال كثيرة ، هي فيما يحسب المرء أهم بكثير من قضاء ساعة في مشاهدة نيف وعشر فتيات حسان وهن يعرضن أنفسهن في ملابس عديدة مذهلة في تنوعها . ولكنه على ذلك لم يكن يحسب أن يغير لباس منها من زوجه فيجعلها غير ما كانت عليه . وكانت زوجه امرأة طويلة بارزة العظام قد بلغت الخمسين من عمرها ، وقد جاوزت قسما وجهها في حجمها حدما المألوف . على أنه لم يكن قد تزوجها لجمالها ، ولا هي حسبت في يوم من الايام أو تخيلت ذلك ، حتى في أيام زواجهما الاولى . وانما تزوجها ليجمع بين مصانع الفولاذ الناشطة التي آلت اليها ومصانع سياراته المزدهرة كذلك ، فكان زواجهما زواجا ناجحا وسعيدا . وقد رزقته منها ابنا كان يحب لعب التنس كما لو كان محترفا ، ويجيد الرقص حتى كأنه رقاص محترف ، ويستطيع أن يلعب البردج بمهارة مع خير لاعبيه . كذلك رزقته منها بنتا ، ثم استطاع بفضل الصداق الذي زودها به من أن يزوجه من أمير ذي نسب في الامارة عريق أو يكاد أن يكون ، فكان من حقه لذلك أن يفخر بولديه . وقد أمكنه بما صبر وجاهد ، وبما أوتي من تعقل واستقامة أن يثري حتى امتلك الجزء الاعظم من أسهم معمل للسكر وشركة صور متحركة وشركة صانعة للسيارات وصحيفة . ثم كان له أخيرا بعد أن أنفق من ماله ما أنفق أن يقنع أولئك الناخبين الاحرار المستقلين في احدى المحال فيدخلوه مجلس الشيوخ . وكان الى ذلك رجلا وقور المحضر ، لطيفا على بدانته ، أقشَرَ ذا لحية مستطيلة مشدبة شيباء ، ورأس أصلع ، وقد تراكم الشحم على قفاه .

ولم يكن ثمة حاجة أن ترى الزر الأحمر الذي كان يزين به سترته السوداء لتعلم أنه رجل عظيم الشأن . وكان من أولئك الرجال الذين يحزمون أمرهم في عجلة ، فلما قامت زوجته لتذهب الى حيث تلعب البردج ، ودعها قائلاً إنه سوف يذهب ماشياً ، طلباً للرياضة ، الى مجلس الشيوخ حيث يستدعيه ولاؤه لوطنه ، ولكنه لم يبعد في سيره ذاك الإبعاد بل اكتفى بأن يقصر رياضته على التردد جيئةً وذهاباً في زقاق صغير ظن محققاً أن فتيات متجر الخياطة سوف يخرجن منه بعد انقضاء ساعات العمل . ثم لم يمض على انتظاره ربع ساعة أو نحوها حتى رأى عدداً من النساء يظهرن زرافات ، منهن الفتيات الجميلات ، ومنهن من بعد عهدهن بالصبا والجمال ، فاستدل من ذلك أن اللحظة التي كان ينتظرها قد أملت ، وما هي إلا دقيقتان أو ثلاث حتى خرجت ليزبت الى الطريق . وكان الشيخ مدركاً تمام الإدراك أنه لم يكن له من هيئته وسنه ما يحبه الى الفتيات عندما يرونه لأول مرة ، ولكنه كان يجد لمركزه وثروته خير عوض عما يفتقده من وراء الشباب . وكانت ليزبت تمشي مع صاحبة لها ، وكان ذلك خليقاً أن يرتبك له رجل أقل شأنًا ، ولكن الشيخ لم يتردد أو يتلأأ ، بل أقبل عليها من فوره ثم رفع قبعته في أدب ، ولكنه لم يبالغ في رفعها فتظهر صلته كاملة ، ثم رجا لها مساء سعيداً فقال وهو يبتسم ابتسامة تودد :

« Bon soir, Mademoiselle »

ولكنها لم تزد عن أن تخطف بصرها نحوه، ثم أن شفتيها النكفتين المنفرجتين عن ابتسامة أطبقتا ، ولوت برأسها عن الرجل وانخرطت

في حديثها مع صاحبها وهي تمشي مظهرة قلة اكرتات باللغة • ولكن الشيخ لم يسؤه ذلك أو يربكه ، بل أنه استدار ثم تبع الفتاتين على بعد أذرع منهما وهما تقطعان الزقاق الصغير فتلجان الجادة ثم تستقلان الحافلة عند بلاس دو لا مادلين • وقد أرضى ذلك الشيخ كل الرضى ، إذ أوصله ذلك الى عدد من النتائج الصحيحة • فان عودة الفتاة الى بيتها بصحبة فتاة من صويحباتها يدل دلالة قاطعة أنها لا عاشق مخادن لها • كذلك فان ليها رأسها عنه عندما بادرها بالتحية يدل على أنها فتاة متحفظة مهذبة ومحتشمة • وكان الشيخ يحب ذلك في الفتيات اذا كن حسناوات • ثم ان معطفها وازارها وقبعتها السوداء البسيطة وجواربها الشفيفة كلها تدل على رقة حالها ومن حسن خلقها واستقامتها • ولقد بدت ثيابها تلك جميلة جمالها وهي تلبس تلك الثياب الفاخرة التي شاهدها بها من قبل • ولعله أحس بوخز يصل شفاف قلبه فيمسه ، وكان ذلك احساسا لذيذا وأليما معا ، وهو احساس لا يذكر أنه أحس بمثله منذ سنوات • ولكنه عرف من فوره ، فوشوش قائلا : « انه الحب ورب السما » •

ولم يكن صاحبنا الشيخ يحسب أنه سوف يحس بمثل هذا الاحساس مرة أخرى • ثم أنه شد من كتفيه ومشى مشية الواثق بنفسه ، فذهب الى مكتب من مكاتب التحري الخاصة حيث طلب أن يتحرى له عن فتاة تدعى ليزيت ، تعمل عارضة أزياء في جهة كذا • ثم إنه تذكر أنهم كانوا يبحثون في موضوع الدين الامريكي في مجلس الشيوخ ، فاستقل

عربة ذهبت به الى ذلك البناء الشامخ ، ودخل المكتبة حيث كانت هناك أريكة كان يفضل الجلوس عليها ، وسرعان ما أسلم نفسه للنوم في اغفائة لذيدة . أما المعلومات التي طلبها فقد تلقاها بعد ثلاثة أيام ، وكان مادفعه لقاء الحصول عليها ثمنا بخسا . كانت المدموزيل ليزيت لاريون تعيش مع عمه لها مترملة في شقة ذات حجرتين في حي من باريس يعرف بباتينيول . أما والدها فكان بطلا جريحا من أبطال الحرب العظمى ، وكان يملك محلا لبيع الدخان في بلدة ريفية صغيرة في الجنوب الغربي من فرنسا . وكان ايجار الشقة ألفي فرنك ، وكانت تعيش حياة مستقيمة ، وان كانت تحب مشاهدة الافلام ، ولم يكن يعرف لها عاشق ، أما عمرها فكان تسعة عشر عاما . وقد أثنت عليها بوابة المسكن ، كما كانت محبوبة بين صاحباتها في المتجر . وبدا جليا أنها كانت فتاة محترمة . ولم يملك الشيخ الا أن يظن أنها خير من يؤنس سويغات وحدته ، اذ يطلب الراحة من عناء العمل ومشاكل الحكومة .

وليس من الضروري أن نقص تفاصيل المراحل التي جازها الشيخ ليحقق الغاية التي وضعها نصب عينه ، فقد كان أسمى مقاما وأكثر أفعالا من أن يهتم بنفسه بذلك الامر ، ولكنه عهد به الى كاتم سر له كان بارعا في التعامل مع أولئك الناهبين ممن لم يكن قد قرأ رأيهم بعد في أصواتهم كيف يدلون بها . وكان بلا ريب رجلا يحسن أن يعرض على فتاة شريفة ، ولكن فقيرة ، ما قد تجنيه من الفوائد لو أتاح لها حسن طالعها أن تحظى بصداقة رجل كسيده . فقام كاتم السر بزيارة للعمه

الارملة واسمها مدام سالادان ثم أعلمها أن المسيو لوسور ، وهو السباق دائما ، قد بدأ يهتم بالأفلام ، بل كان آنئذ على وشك أن يبدأ إنتاج فلم (وان هذا ليدل كيف يمكن للرجل الفطن أن يفيد من حقيقة قد يمر بها غيره من البسطاء من الكرام) • وقد أخذ السيد لوسور بطلة الأنسة ليزيت في متجر الخياطة ، وبهيئتها في لباسها ، فخطر له أنها قد تصلح لدور كان في ذهنه لها فتمثله (كان الشيخ كغيره من الأذكىاء يلتزم بأقصى مايمكن من الصدق) • ثم ان كاتم سره دعا السيدة وابنة أخيها الى عشاء ، حيث يمكن أن يزدادوا تعارفا بعضهم مع بعض ، كما يمكن للشيخ عندئذ أن يحكم على الأنسة ليزيت وصلاحتها لما ظن أنها تصلح له من الظهور على شاشة السينما • وقالت السيدة سالادان إنها سوف تستأجر في ذلك ابنة أخيها ، وان كانت من جانبها تظن العرض معقولا ومقبولا

<http://Archive.org>

ولما عرضت السيدة سالادان الامر على ليزيت ، ثم شرحت لها عن مقام داعيها الكريم ورفعة مكانته ، فان الصبية هزت كتفياها الجميلين في ازدياء قائلة : « Cette vieille carpe » وهو مايمكن ترجمته ترجمة غير حرفية بذلك العجوز الازعر •

قالت السيدة سالادان « وماذا يهكم من ذلك اذا كان سيهييء لك دورا تمثليته ؟ »

فقالت ليزيت : « El ta seaur »

وهو تعبير يعني بطبيعة الحال : وأختك ، ثم لاتنبو عنه الأذن ،

بل قد يحسب في غير محله • ولكنه في الواقع تعبير أقرب الى السوقية ،
لاتستعمله الفتيات فيما أحسب الا اذا أردن أن يفجأن محدثيهن ، وهو
يعبر عن انكار بات • وان الترجمة الصحيحة الوحيدة باللفظ المعترَب
لأبداً من أن يخطها قلمي المهذب •

قالت السيدة سالادان « مهما يكن ، فان العشاء سوف يكون رائعا ،
ثم انك لم تعودى جارية صغيرة منذ اليوم »
« وأين قال أننا سنتعشى ؟ » •

« في شاتو دو مادريد ، وهو أعلى مطعم في العالم كما يعرف
الجميع » •

أجل ، ولم لا يكون كذلك ، والطعام فيه جيد ، والخمرة ذائعة الصيت •
وقد أقيم بحيث يغدو في ليلة جميلة من ليالي الصيف الباكر مطعما
مسحورا • وبدت على وجنة ليزيت غمّازة جميلة ، كما افتر ثغرها
الأقنى الكبير عن ابتسامه أبدت أسنانا كأنها اللؤلؤ النضيد •

ثم غمغمت قائلة : « وبوسعي أن أستعير ثوبا من المتجر » •

وبعد بضعة أيام أحضرهما كاتم السر في سيارة أجرة أقلت السيدة
سالادان وابنة أخيها الفاتنة الى بوا دو بولوني • كانت ليزيت رائعة
في زي من أكثر أزياء الشركة نجاحا ، كما بدت السيدة سالادان على درجة
كبيرة من الوقار في ثوبها الاسود الاطلس وقبعتها التي خاطتها ليزيت
خصيصا لهذه المناسبة • وقام كاتم السر بتعريف السيدتين الى اليسيو

لوسور الذي حياهما في وقار عطوف تحية السياسي الذي يكرم زوج ناخب دي شأن من أهل محلاته وابنتها • وقد قدر الرجل بدهائه أن يكون ذلك دون ريب ما يحسبه الطاعمون الذين قعدوا الى جواره ممن كانوا يعرفونه • وقد أمضوا وقتا طيبا في عشائهم ، ثم لم يمض شهر على ذلك حتى كانت ليزيت قد انتقلت الى شقة صغيرة فاتنة على مقربة من مكان عملها ومن مجلس الشيوخ معا • وكان أثاث الشقة حديث الطراز ، أثنها منجد ذائع الصيت • وقد أراد المسيو لوسور الى ليزيت أن تبقى في عملها ، اذ أعجبه تماما أن يكون لديها ماتشغل به ساعات يومها في الوقت الذي يشغله عنها ما كان مضطرا الى تسييره من أموره وشؤونه ، فان ذلك كفيل بأن يبعدها عن اللعب ، وقد كان يعرف حق المعرفة أن المرأة التي لاتجد ماتعمله طوال يومها خليقة أن تنفق من المال أضعاف ماتنفقه المرأة العاملة • ولاشك أن العاقل من الرجال يحسب لكل أمر من ذلك حسابه •

ولكن البذخ كان رذيلة غريبة عن طبع ليزيت • كان الشيخ كريما ودودا ، وكان مما أرضاه عنها أنها بدأت بعد حين توفر بعض المال ، وكانت تدبر أمر منزلها بحكمة وتدبير ، وتقنني ثيابها بأسعار الجملة ، كما كانت ترسل كل شهر الى أبيها البطل مقدارا من المال ، فكان ينفقه في شراء قطع من الارض • ثم انها بقيت تعيش حياتها البسيطة ، وقد سر المسيو لوسور أن يعلم عن طريق البوابة التي كانت تريد لابنها وظيفة في ديوان حكومي أنه لم يكن لليزيت من زوار غير عمتها ، وصاحبة أو صاحبتين لها من المتجر •

كان الشيخ سعيدا كما لم يكن في حياته من قبل • وقد أرضاه أن يعلم أنه حتى في هذه الحياة الدنيا فإن للاحسن جزاءه • والا ففيم كان ذهابه مع زوجه الى متجر الخياطة عصر ذلك اليوم الذي كانوا يبحثون فيه موضوع القرض الامريكي في مجلس الشيوخ ، لولا عطفه الخالص وحنانه ؟ وبذلك أتاحت له رؤية ليزيت الفاتنة لأول مرة • وكان يزداد بها هياما كلما ازداد بها معرفة ، فقد كانت رفيقة مبهاجا ، كما كانت مرحلة عابثة • وكانت على قدر من الذكاء فكانت تسمع اليه وتفهم عنه وهو يشرح لها شؤون أعماله أو شؤون الدولة • وكانت تريحه عندما يكون مرهقا ، وتسليه عندما يكون كئيبا • تسر لرؤيته عندما يزورها ، وكان كثيرا مايزورها بين الخامسة والسابعة عادة ، وتحزن لذهابه • وكانت تخيل اليه أنه ليس عاشقها فحسب ، بل صديقها أيضا • فاذا تعشيا مرة في شقتها ، كان الطعام الذي أحسنت اعداده ، والراحة الانيسة يحملانه على أن يقدر مباهج الحياة البيتية فيحسن تقديرها • لقد كان يبدو أصغر بعشرين عاما مما كان • بل كان يشعر بذلك ويحسه ، ويدرك حظه السعيد ، وان كان يحسب أنه من حقه أن ينال هذا الجزاء بعد عمر قضاه في العمل الشريف وخدمة الشعب •

لذلك فان صدمة المفاجأة كانت صدمة قوية بعد أن سارت الامور على خير مايرام زهاء عامين • فقد عاد الشيخ على غير انتظار الى باريس صباح يوم من أيام الاهد من زيارة قام بها الى محلته الانتخابية،

كان مقررا لها أن تستمر حتى آخر العطلة ، ففتح باب الشقة بمفتاحه ودخل وهو يحسب أنه سوف يجد ليزيت في فراشها ، أذ كان اليوم يوم راحة ، اذ فوجيء بها وهي تتناول فطورها في غرفة نومها وجها لوجه مع شاب مهذب لم يكن قد رآه من قبل ، كان يلبس منامته الجديدة (أي منامة الشيخ) • وقد دهشت ليزيت لرآه ، بل أنها ذعرت ذعرا واضحا ، وقالت :

« Tiens ، من أين أقبلت ؟ لم أكن أنتظر قدومك حتى الغد » •

فأجاب دون تفكير : « لقد أقبلت الوزارة ، فأرسلوا الي ليعرضوا علي وزارة الشؤون الداخلية » • ولكن ذلك لم يكن ما أراد أن يقوله ، بل نظر الى الشاب الذي كان يرتدي منامته نظرة هياج شديد ثم صاح « ومن يكون هذا الشاب ؟ » •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وانفرج ثغر ليزيت الاقنى الكبير عن ابتسامة أسرة وقالت :
« انه عاشقي » •

فصاح بها الشيخ « أتحسبيني مغفلا ؟ فانا أعلم ذلك » •

قالت : « ففيم تسأل اذن ؟ » •

كان المسيو لوسوررجل فعل لا قول ، فقام من فوره الى ليزيت ولطمها لكمة قوية على خدها الايمن بيده اليسرى ، ثم لطمها لكمة شديدة على خدها الايسر بيده اليمنى • فصاحت ليزيت « وحش » • ثم انه التفت الى الشاب الذي كان يرقب المشهد العنيف مرتبكا ،

ثم شد من قامته ومد ذراعه مشيراً الى الباب في حركة مؤثرة وصاح «اغرب حالا... اغرب من هنا» •

وقد كان من المعقول أن يحسب المرء أن المظهر الأمر لرجل اعتاد أن يهز جمهوراً من دافعي الضرائب الغاضبين ، وأن يسيطر بعبوسه على الاجتماع السنوي لخائبي الأمل من المساهمين ، كان كافياً ليحمل الشاب على الجري نحو الباب • ولكن الشاب لزم مكانه ، في حيرة وتردد دون شك ، ولكنه لزم مكانه على كل حال ، ونظر الى ليزيت نظرة استعطاف ورجاء وهز كتفيه قليلاً •

وصاح الشيخ « ماذا تنتظر ؟ أم تريدني أن ألجأ الى العنف ؟ »

قالت ليزيت « انه لا يستطيع أن يخرج بمنامته » •

« ولكنها ليست منامته ، انها منامتي أنا » •

« انه يريد ثيابه » •

ونظر المسيو لوسور حوله فوجد على كرسي خلفه ثياباً متنوعة من ثياب الرجال قد طرحت على الكرسي طرماً دون ترتيب ، فرمى الشيخ الشاب بنظرة احتقار ، ثم قال بلهجة ازدراء «بوسعك أن تأخذ ثيابك» •

فأخذ الشاب ثيابه على ذراعيه ، ثم حمل نعليه اللذين وجدهما مطروحين على الأرض ، ثم خرج من الغرفة ليلوي على شيء • كان الشيخ ذلق اللسان مقوها فأفاد من ذلك كما لم يفد منه من قبل ، فأعلم ليزيت عن رأيه فيها ، فلم يكن فيه اطراء لها ، ثم صور لها قلة عرفانها

بالجميل في صورة قاتمة • وقد لجأ الى واسع علمه بمفردات اللغة كي يختار لها من ألقاب التقريع والازدراء مايدعوها به ، ثم أنه أشهد قوى السماء جميعا على الخيانة الفظيعة التي لم تقابل بها امرأة من قبل ما أولاها رجل شريف من ثقة • خلاصة القول أن الشيخ قال كل ما أملاه عليه غضبه وخيبة أمله وغروره الجريح • ولم تحاول ليزيت أن تدافع عن نفسها ، بل أصغت اليه في سكون مطرقة وهي تفتت دون وعي لفافة الخبز التي منعها ظهور الشيخ من الاتيان عليها • وأرشق الشيخ النظر انى صحيفتها ثم قال :

« لقد حملني الشوق علي أن تكوني أول من يعلم بما أحمل من نأباً عظيم ، حتى اني عجلت اليك من المصلحة • وقد كنت أنتظر أن أصيب قليلا من الفطور قاعداً على طرف سريرك »
 « واحبيباه ، أولم تفطر بعد ، سوف أطلب لك فطورا على الفور »
 « لست أريد فطورا »
 « هراء • بل لا بد أن تحافظ على صحتك من أجل هذه المهمة التي توشك أن تقع على عاتقك »

ثم قرعت الجرس ، فلما جاءت الوصيف أمرتها أن تحضر قهوة ساخنة ، فأحضرتها ، وصبتها ليزيت ، ولكنه رفض أن يشرب منها • ثم طلبت له لفافة خبز بالزبدة فهز كتفيه وأخذ يأكل وهو يدلي بملاحظاته عن غدر النساء ، وهي صامته ، الى أن قال أخيرا : « مهما يكن فانك لم تبلغ بك القحة أن تحاولي الاعتذار لذنبك • وأنت تعلمين أنني لست

بالرجل الذي يساء اليه دون عاقبة • فأنا الكرم بعينه عندما يحسن
الناس سلوكهم معي ، ولكني لا أرحم اذا بدا لي منهم مايسوء •
ولسوف أترك هذه الشقة فلا أعود أبدا حالما أشرب قهوتي » •

وتنهدت ليزيت •

« وسوف أخبرك الآن أنني كنت قد أعددت لك مفاجأة ، فقد كنت
عازما على الاحتفال بالذكرى الثانية للقائنا ، فأخصك بمبلغ من المال
يغنيك عن الحاجة اذا حدث لي حادث » •

فسألته ليزيت في كآبة : « وكم كان مبلغه ؟ » •

قال « ألف ألف فرنك » •

وتنهدت ثانية • وعلى حين غرة أحس الشيخ بشيء ناعم يصيبه
في رأسه من الخلف ، فذعر وصاح « ماهذا ؟ » •

قالت : « انه يعيد منامتك اليك » •

وكان الشاب قد فتح الباب ورمى بالمنامة على رأس الشيخ ثم
أغلقه مرة أخرى • وخلص الشيخ نفسه من البنطال الحريري الذي كان
قد علق حول رقبته •

« يا لها من طريقة يعيدها بها الي ، بل ان صاحبك هذا غير أديب » •

فوشوشت ليزيت قائلة : « انه يفتقد وجاهتك » •

« وهل هو ذو عقل كعقلي ؟ »

• « لا »

« فهل هو ثري ؟ »

• « انه مفلس »

« عجباً .. عجباً ، فما الذي ترين فيه اذن ؟ »

قالت ليزيت مبتسمة : « انه شاب »

فأطرق الشيخ ناظرا الى الصُحيفة أمامه ، ونفرت من عينيه دمعة سالت على خده الى القهوة • ونظرت اليه ليزيت في حنان قائلة
« يا صاحبي المسكين ، أننى للمرء أن ينال كل ما يطلبه في هذه الحياة »

« لقد كنت أعلم أنني لست شاباً ، ولكنني حسبت أن جاهي ومقامي وحيويتي خير عوض عن ذلك • بل ان من النساء من لا يطلبن الا الرجال الذين تجاوزوا مرحلة الشباب • وان بعض الممثلات الشهيرات ليحسبنه شرفا لهن أن يكن صوبيحات وزير • ولست من العامة فأعيرك بأصاك الوضع ، ولكن ذلك لا يغير من حقيقتك ، فأنت لست الا عارضة أزياء ، وقد انتشلتك من شقة لم يكن أجرها يتجاوز ألفي فرنك في العام • لقد رفعتك بذلك درجة »

« ولكنني ابنة أبوين شريفيين رغم فقرهما ، ولست بالتى أخجل من أصلي ، وليس لك أن تعنفني لانني كنت أكسب قوت يومي من عمل بسيط »

« فهل تحبين هذا الغلام ؟ »

• « نعم »

« أولست تحبينني ؟ »

« بلى ، أحبك أيضا • انني أحبكما معا ، ولكنه حب مع الفارق •
فأنا أحبك لمقامك ووجهتك ، ولان حديثك ممتع ومفيد • أحبك لكرمك
ونبلك • وأحبه لان عينيه نجلاوان وشعره رَجِل ، ولانه بارع في الرقص
•• وليس في هذا غرابة » •

« ولكنك تعلمين اني لا أستطيع في مقامي أن أذهب بك الى حيث
يرقصون ، وأحسب أنه لو كان في مثل عمري لما بقي له من شعره أكثر
مما بقي لي » •

« ان هذا قد يكون صحيحا » قالت ليزيت في قناعة ، دون ان تظن
أن ذلك يغير من الامر شيئا •
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
« فماذا تقول عمتك المحترمة ، مدام سالادان ، اذا سمعت بما
فعلت ؟ » •

« انها لن تكون مفاجأة لها تماما » •

« فهل تعنين أن تلك السيدة المبهجة تقرك على ماتفعلين ؟ عفوك
للهم ، فمئذ متى وأنت على هذا اذن ؟ » •

« مذ عملت في المتجر أول مرة • انه يسافر في تجارة شركة حريير
كبيرة في ليون ، وقد حضر يوما بعيثاته ، فأعجبني وأعجبته » •
« ولكن ، ألم تكن هناك فتحميك مما تتعرض له فتاة مثلك »

في باريس من اغراء ؟ ماكان ينبغي لها أن تترك لك الحبل على غاربك مع هذا الفتى » •

« ولكني لم أطلب الاذن منها » •

« ان ذلك كفيلا بأن يودي بأبيك العجز الى القبر • ألم تفكري في ذلك البطل الجريح الذي كوفىء على جهاده في سبيل وطنه بترخيص لبيع الدخان ؟ وهل نسيت أن ذلك الديوان سيؤول أمره الي كوزير للشؤون الداخلية ، وأنه يكون من حقي أن ألغي ذلك الترخيص لسلوكك هذا المنكر » •

« ولكني أعلم أنك رجل مهذب وأكبر من أن تفعل شيئاً حقيراً كهذا » • ولكنه هز يده في حركة مؤثرة ، فيها مع ذلك تصنع ظاهر

« لا تخشي شيئاً ، فلن أنزل الى هذا الدرك فأنتقم لنفسي من رجل يستحق من وطنه كل خير لطيش مخلوقة يضطرنني وجداني الى احتقارها » •

وكذلك تابع الشيخ فطوره المتقطع ، دون أن تنبس ليزيت ببنت شفة ، فساد بينهما الصمت ، حتى شبع وتغير مزاجه وبدأ يغلب أسفه على نفسه شعوره بالفضب منها ، وحسب جاهلاً طبع النساء أنه سيثير ندمها اذا استدر شفقتها عليه •

« انه قاس حقا أن يغير المرء عادة اعتادها • لقد كان قدومي الى هنا راحة وسلوانا عندما كنت أستطيع أن أختلس لحظة من مشاغلي وأعبائي • هل ستندمين علي ولو قليلا يا ليزيت ؟ » •

« دون شك »

وتنهذ عميقا

« ما كنت أحسبك قادرة على كل هذا الخداع »

قالت متفكرة « فانه الخداع اذن الذي يصعب عليك ؟ ما أعجب الرجال في ذلك • فانهم لا يستطيعون أن يغفروا لمن يستغفلهم ، وما ذاك الا لغرورهم بأنفسهم ، حتى أنهم ليهتمون بأشياء لاقيمة لها ولا وزن »

« هل تسمين هذا أمرا لاقيمة له ولا وزن ، أن أجدك تفطرين مع شاب يرتدي منامتي ؟ »

« ولكنه لو كان زوجي وكنت عاشقي لما أنكرت من ذلك شيئا »
« نعم ، ولكنني أكون أنا الذي أخذعه عندئذ ، ويكون عرضي موفورا »

« أي أنه يكفي أن أتزوجه ليصبح كل شيء على مايرام ؟ »

فلم يكذ يفهم قصدها ، ولكنه سرعان ماومض في ذهنه مرادها ، فحدجها ببصره • كان في عينيها ذلك البريق الذي كان يفتنه دوما ، وكان على ثغرها الاقنى الكبير طيف ابتسامة مأكرة

« اياك أن تنسي أنني عضو في مجلس الشيوخ ، وكل تراث في البلاد يجعل مني عماد الخلق الرفيع والسلوك القويم »
« فهل تأبه لذلك كله ؟ »

وأخذ الشيخ يداعب لحيته الانيقة المستطيلة في حركة هادئة رزينة .
« انه لايساوي عندي قشرة بصلة » • ولكن التعبير الذي استخدمه
كان ذا ظلال فرنسية ربما كانت تفجأ أولئك المحافظين من أنصاره •
قال « فهل يرضى أن يتزوجك ؟ » •

« انه يهيم بي حبا • ولاشك أنه سيتزوجني ، ولو أعلمته أن
بائنتي ألف ألف فرنك لما طلب أكثر من ذلك » •

وحدها الشيخ بطرفه مرة أخرى • لقد كان غاضبا عندما أعلمها
عن عزمه في أن يخصها بألف ألف فرنك ، فلقد بالغ كثيرا في ذلك لانه أراد أن
يبين لها كم قدكلفتها خيانتها • ولكنه لم يكن بالرجل الذي يرجع عن
قوله اذا تعلق الامر بكرايته •

« انه أكبر بكثير من كل مايمكن أن يحلم به شاب في مثل مركزه •
ولكن ، اذا كان يهيم بك فانه سوف لن يفارقك » •

« ألم أخبرك بأنه يسافر في التجارة ، فهو لايستطيع أن يكون
في باريس الا في آخر الاسبوع » •

« فقد تغير الوضع اذن • وانه لما يسره أن يعلم أنني سأراكم
أثناء غيابيه » •

« يسره ذاك جدا » •

ثم انها قامت من مقعدها وأراحت نفسها على حضن الشيخ ،
تسهيلا لهذا الحوار بينهما ، فضغط يدها في حنان •

« اني مغرم بك يا ليزيت ، وأكره لك أن تخطئي ، فهل أنت واثقة من أنه سوف يسعدك ؟ » •

قالت : « أظن ذلك » •

« سوف استعلم عن ذلك ، فاني لا أقبل بحال أن تتزوجي من شخص لا أثق في خلقه القويم وسلوكه الحميد • بل ينبغي من أجلنا جميعا أن نكون على ثقة من هذا الشاب قبل أن ندخله حياتنا » •

لم تعترض ليزيت على ذلك • فقد كانت تعلم أن الشيخ يحب النظام والتريث فيما يعمل • ثم انه استعد للذهاب فقد كان يريد أن يخبر المدام لوسور بأخباره ، وكان عليه أن يتصل ببعض رجال جماعته النيابية •

قال وهو يودع ليزيت وداع المحب « بقي شيء واحد • اذا تزوجت فاني لابد أن أصر على أن تتركي عملك • فان مكان الزوجة في بيتها ، وانه لما يناقض مبادئ جميعا أن تزاحم النساء المتزوجات الرجال على لقمة عيشهم » •

وقد أطرف ليزيت أن تتخيل منظر شاب بادن وهو يزرع الغرفة هازأ وركيه ليعرض آخر نماذج الثياب ، ولكنها كانت تحترم مبادئ الشيخ •

قالت « كما تشاء يا حبيبي » •

وقد استعلم الشيخ عن الشاب ، فكانت نتائج استعلامه مرضية

مقبولة • وتم الزواج صباح يوم من أيام السبت بعد الفراغ من الاجراءات الشرعية • وكان شاهدا الزواج وزير الشؤون الداخلية المسيو لوسور والسيدة سالادان • وكان العريس فتى رشيق القد ، أشم الانف ، حلو العينين ، ذا شعر رَجِل أسود قد سرحه فرده عن جبينه الى مؤخر رأسه ، فكان يغلب عليه مظهر لاعب التنس قبل مظهر تاجر الحرير • وقد تأثر العمدة بحضور فخامة وزير الشؤون الداخلية ذاته فألقى كما هي عادة الفرنسيين كلمة حاول أن يجعلها بليغة ، فبدأ فأعلم العروسين بما كانا يعلمانه من قبل فيما أحسب ، فأخبر العريس بأنه نجل أبوين محترمين ، وأنه يعمل في عمل شريف ، ثم هنأه لزواجه في عمر يغلب على الشبان فيه أن لايعبؤوا الا باللهو والعبث • ثم انه ذكر العروس بأن أباهما من أبطال الحرب العظمى ممن كوفىء على جراحه المجيدة فمنح ترخيصا لبيع الدخان • ثم أعلمها كذلك أنها كانت تكسب معاشها مذ قدمت الى باريس من مهنة شريفة في متجر كان يحسب من أمجاد الذوق والترف الفرنسيين • وكان العمدة متأدبا فذكر في ايجاز بعض من ذاع صيتهم من عشاق الروايات ، فذكر روميو وجولييت للذين فرق بينهما خلاف مؤسف بعد زواج قصير ، وذكر بول وفرجينيا التي لاقت حتفها في البحر ولم تهتك ستر عفافها بتجردها من ثيابها • وذكر أخيرا دافنس وكلو اللذين لم يفض أحدهما الى صاحبه الا بعد أن أحلت ذلك المراسم الشرعية • وكان خطابه مؤثرا حتى ان ليزيت بكت قليلا • ثم انه أطرى السيدة سالادان التي كانت مثالا احتذته ابنة

أخيها الشابة الفاتنة فحماها مما قد تتعرض له فتاة وحيدة في مدينة كبيرة من أخطار • ثم انه هنا العروسين السعيدين على الشرف الذي أولاهما اياه وزير الشؤون الداخلية اذ رضي أن يكون أحد الشاهدين في حفل زواجهما • لقد كان ذلك خير شهادة على استقامتهما ، أن يكون هذا العلم من أعلام الصناعة ورجل الدولة الشهير قد وجد لديه الوقت اللازم ليقوم بهذا العمل المتواضع لهما في مقامهما المتواضع مما أثبت معه نبلا وطيبة قلب مع عمق احساس بواجبه • ولقد دل عمله هذا على تقديره للزواج الباكر كما أكد على سلامة الاسرة وأهمية التناسل لكي تزداد هذه الارض الفرنسية الغناء مجدا وقوة •

• كان ذلك حقا خطابا رائعا •

وقد اقيم حفل افطار الزفاف في شاتو دو مدريد الذي كانت له في نفس الشيخ وشائج عاطفية • ولقد كنا ذكرنا من قبل أن الوزير (كما ينبغي أن نسميه منذ الآن) كانت له من بين اهتماماته الكثيرة علاقة بشركة سيارات ، فلقد كانت هديته للعريس في يوم زفافه سيارة جميلة ذات مقعدين من صنع شركته • فلما انتهى الغداء ، استقل العروسان تلك السيارة الى حيث يمضيان أيام زواجهما الاولى ، التي لم يكن مقدرا لها أن تطول بعد نهاية الاسبوع ، اذ كان على الشاب أن يعود الى عمله الذي سوف يحمله الى مارسيلية وتولون ونيس • وقبلت ليزيت عمتها ثم قبلت الميسو لوسور وهي تهمس « سوف أنتظر في الساعة الخامسة يوم الاثنين » •

فأجابها قائلاً : « سوف أكون هناك » •

ثم مضت بهما السيارة ، وبقي المسيو لوسور والسيدة سالادان يتابعان بنظريهما السيارة الصغيرة الصفراء •

وتنهدت المدام سالادان التي كانت تشعر بشيء من الاسى غير مفهوم ، اذ لم يكن من عاداتها أن تشرب الشمبانيا على الغداء ، وقالت : « طالما أنه سيسعدها » •

فقال الشيخ في قوة : « اذا لم يسعدها فحسابه علي » •

واقتربت منه سيارته •

• Au revoir, chère Madame • بوسعك أن تستقلي الباص عند

<http://Archivebeta.Sakhril.com> • أفينو دو نوفيني •

ثم استقل سيارته ، وتنهذ في ارتياح وهو يفكر في شؤون الدولة التي تنتظر اهتمامه • لقد كان جلياً أنه أليق به وبمقامه أن تكون خدنه ، لافتاة تعرض الازياء في متجر ، ولكن زوجة محترمة •

ثلاث قصص لفرانسواز ساغان

• تقديم: جاك لوكارم*
ترجمة: كمال فوزي الشرايبي

قد يكون النجاح العجيب الذي لقيته فرانسواز ساغان ^(١) في العام ١٩٥٤ قابلاً للتفسير على الرغم من ادعاء البعض عدم الوصول الى تفسير له . لا ريب في ان الجمهور دهش آنذاك من رأى صيغة تعبر عن افكارها ومشاعرها بصدق واخلاص ، وتحتأني كل ما في « الرواية النسائية » من إغراءات محببة . كما ان هذا الجمهور أصيب بصدمة السذاجة في حب الاطلاع لديه ، وهو يبحث في روايات فرانسواز ساغان عن صورة للشباب الا اخلاقي .

تسمعنا هذه الروايات صوتاً لا ترتفع له نبرة أبداً ، صوتاً يمتلىء بالحنان والمرارة . هنا نقرب كثيراً من روايات روجيه نيميه ^(٢) ، إلا ان المرح في روايات ساغان يبدو أكثر غوى ، والحزن أشد عذوبة .

لا تلتزم فرانسواز ساغان بأية ايديولوجية معينة ، وعدم التزامها ينبع

★ جاك لوكارم Jacques Lecarme : استاذ مساعد في الاداب الفرنسية بجامعة فيلنا نوز Villetaneuse (باريس ١٣) .

من غفوتها . انها تبسط أمامنا عالماً من الثراء والفراغ والترف ، ولكن هذا كله ليس إلا ديكوراً مميّزاً لحوادث غرق عاطفية تصوّرها لنا بصوت خفيض ، فيما هي تمزج نكهة التحليل بسحر الاكتمال . أما موضوعاتها فهي بسيطة على الدوام ، ويمكن تحديدها في إظهار وجهين - غالباً ما يكونان زوجين أو حبيبين - أو ثلاثة وجوه . وتصور لنا شخصياتها في معظمها نماذج من البورجوازيين والارستقراطيين العاطلين ، المتحررين ، المنغمسين في الملذات ، تضاف اليهم فئة من المتعرجين والمتكبرين الذين يعيشون في الأرض فساداً ولا يهتمون بأمور الحياة الجادة الكريمة .

لا ينجم لجوء ساغان الى الاقتصاد في وسائل التعبير عن تقشّف مقصود، بل ينأتى من حدودٍ طبيعية استطاعت ألا تخطأها أبداً .

لا شك في أن رواياتها ذات هشاشة ، وستفقد بمرور السنين مزيجها من البراءة والانحراف ، وهو مزيج لشده ما أدهش في روايتها «مرحباً أيها الحزن»، لكي تغدو ذات طابع نسائي تقليدي تصوّر لنا العشق المستحيل في مجتمع الاستهلاك .

وإذا كانت ساغان قد أشارت مراراً الى « سن الرشد » ،لجان - بول سارتر ، و « المدعوة » لسيمون دوبوفوار كروايتين كان لهما أكبر تأثير في أدبها ، فإن أفضل صفحاتها تذكرنا بسكوت فيتزجيرالد^(٢) فلديها كما لديه « كل حياة سيورة . سلوك وعمل أو لاعمل - نهايتها التقويض » . فالكحول والثراء ينشران سحرهما ، ولكنهما يجعلان الفساد يسيطر ، ويعجلان بحلول الكوارث . بلى ، في أعمال فيتزجيرالد كما في أعمال ساغان ، نرى ذات

السويداء الغنائية ، وذات اليأس الهاديء ، وغوى كتابة يجعلنا تفكر في لحن من ألحان الجاز البطيئة الخافتة .

إشارات :

(١) ولدت فرانسواز كواريز Françoise Quarez في شهر حزيران ١٩٢٥ في بلدة كاجار (Cajare) التابعة لمقاطعة لوت (Lot) بجنوب فرنسا ، واشتهرت في عالم الأدب باسم فرانسواز ساغان Sagan . وهي ابنة صناعي فرنسي . حازت على شهادة الدراسة الثانوية في العام ١٩٥٢ ، ولم تقبل في امتحانات الشهادة التمهيدية لدخول جامعة السوربون فانصرفت الى التأليف .

وفي هذه القصص الثلاث التي نشرتها ساغان مؤخرًا في مجلات مختلفة ، والتي يقرأ القارئ العربي ترجمتها في الصفحات التالية ، نجد ذات الخصائص التي طبعت أدبها بمجملة وهي عدم الالتزام ، التحليل ، الخبث على لطف ومهارة ويبدو في سخريتها الهادئة وملاحظاتها اللاذعة ، الجنس أو العشق ، المرح ، كلف اللامبالاة . أما أسلوبها فهو خاضع بها ، ويتسم بالرشاقة والإنسياب والسهولة ، وجعلها قصيرة ، واضحة ، بعيدة عن المحسنات اللفظية . وأما الحوار لديها فهو حي متدفق ، ذو حركة سريعة وتغيرات دافئة .

— من رواياتها : « مرحباً أيها الحزن Bonjour Tristesse » ، وهي أولى رواياتها ، وقد نشرتها في العام ١٩٥٤ . استعارت عنوانها من قصيدة للشاعر الفرنسي بول إيلوار Paul Eluard ونالت بها جائزة النقاد . « ابتسامة ما Un Certain Sourire » ، « في شهر في عام Dans un Mois dans um An » ، « هل تحبين برامس ?.. Aimez - Vous Brahms » ، « الفيوم العجيب Les Nuages Merveilleux » ١٩٦١ ، « نوبة الاستسلام La Chamade » ١٩٦٥ ، « حارس القلب Le garde du Coeur » ، شيء من الشمس في الماء البارد « Un Profil Perdu » ، « جانب وجه ضائع Un Profil Perdu » ، « السرير غير المرتب Le Lit Défait » ١٩٧٨ .

— ومن مسرحياتها : « قصر في السويد Un Chateau en Suède » ١٩٥٩ ، « رداء فالنتين البنفسجي La Rode Mauve de Valentine » ، « الكمانات أحيانا Les Violons Parfois » ، « الجواد الغمي عليه Le cheval Evanoui » ، « البياتو في العشب

□ ترجمة : كمال غوزي الشرايبي □

« Des Légumes et des Fruits » ، « خضار وفواكه » Le Piano dans l'Herbe
، ١٩٧٨

— ومن قصصها : مجموعة « عينان من حرير » Des Yeux de Soie .

— ولها في السيرة الذاتية : « فترات صفاء للروح » Des Bleus à l'Ame ، ١٩٧٢ ،
« أجوبة Réponses » .

— وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن بعض مسرحياتها ورواياتها واقصيصها قد أخرج للسينما .
تذكر على سبيل المثال لا الحصر : « قصر في السويد » ، « نوبة الاستسلام » ، « شيء من الشمس
في الماء البارد » ... ، و « عينان من حرير » وهذا العمل الأخير عُرض على شاشات فرنسا في العام
١٩٧٩ .

ومن أعمالها للتلفاز أنها أعادت في نهاية العام ١٩٧٧ كتابة سيرة آل بورجيس (قيصر
ولوكراشيوس) ، وعرض فيلمها في العام ١٩٧٩ بفرنسا أيضاً على الشاشة الصغيرة .

(٢) روجيه نيمييه Roger Nimier (١٩٢٥ - ١٩٦٢) روائي فرنسي . أحد أقطاب الأدب
غير الملّزم الذي نشأ بفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية . يجمع ما بين التحليل والروح والسخرية
بقيم عالم ينهار ... له روايات « السيف » ١٩٦٩ ، « الخيال الأزرق » ١٩٥٠ ، « الاطفال
الحزائي » ١٩٥١ ، « حكاية حب » ١٩٥٣ .
<http://Archivebeta.Sanaa.com>

(٣) فرنسيس سكوت فيتزجيرالد Francis Scott Fitzgerald (١٨٩٦ - ١٩٤٠) كاتب أميركي .
تعتبر رواياته عن خيبة أمل « الجيل الفاسد » ... له روايات « غانسي العظيم » ١٩٢٥ ، « عذب
هو الليل » ١٩٣٤ ، « آخر الامراء النواب » ١٩٤١ (نشرت بعد وفاته) .

قطيعة

أضأت التلفاز وأخذت تنظر إليه ، بعد أن جلست على أريكة ، وركبتها
مثنيتان تحتها ، وعيناها نصف مغمضتين ، في وضع كان سماه مرة « وضعه
السنثوري » ، وبدا له الآن متكلفاً مقصوداً .

كانت ترتدي كنزة بيضاء ، ذات صوف في منتهى النعومة حتى لتشعر

العين بنعومتها ، وبرز جيدها الأبيض الطويل ، على سحر وغوى ، وانزعت في جذوره سنابل ذات شقرة ذهبية لتغدو أضاميم ثم باقات قبل أن تؤطر رأسها الفاتن . « لها جيد تمة ، وعينا وعلة » ...

هل اكتفى بحلمه ، وبارتعاشه امام هشاشة هذا الجيد وأمام التالف انندي لهاتين العينين ؟ بل لقد ذهب به الحق الى ان يشير الى « أصالة » هذا العنق ، وهذا الرأس ، وهذين المعصمين الضيقتين . وهكذا أوحى اليه الحب بكلمات إطرء لا يتفوه بها سوى محبي الظهور وباعة الألبان .

كان قد وجد خليلته « أرستقراطية » وأعلن عن ذلك . ومن غير أن يضحك من هذا التعبير ، او بالأحرى من سوقية هذا التعبير ، منحها اهتماماً فيه الكثير من الجمود كالأهتمام الذي يُمنح عادةً للبورتويات أو للأزهار العالية الثمن .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بلى ، لقد تصرف كخادم يجب الظهور وكسحب للظهور يجب الخدمة ، وهما تعبيران يؤديان معنى واحداً . وكان خجلاً من ذلك ، لأن ما يشعر به لم يكن اعجاباً بشيء يخونه فعلاً ولا احتقاراً له ، وانما شعور بالشيء ذاته . لقد أحب خليلته كما تعود أن يحب المال أو الفنون : أحبها بذوق . وكان يحتقر نفسه لأنه استطاع ان يضيف هذه الكلمات الصغيرة الثمينة والموجبة للشفقة الى هذا الشعور المتسم بالحرية ، والفجاجة ، وقلة الاحترام ، ولأنه اراد ان يضع ورقاً مذهباً وأشرطة حول هذا الشيء الدامي الذي يسمى الحب .

أحب في هذه المرأة الرصانة ، وغياب الانعكاسات الرديئة والمسكنة او

المشاعر الدنيئة . أحببها لما كانت تتحاشى فعله ، ولما كانت غير قادرة على فعله .
أحبها لحواجزها المجنونة . ومع ذلك ، أي حب يظهر مناسباً لها غير الحب
المجنون ؟ ألف مرة ، آه ، ألف مرة كان يفضل لو أحبها لخيااتها ، أو لعبائها ،
أو لأي عيب من عيوبها الحمقاء ! لكان على الأقل قد فهم تعاسته وسعاده في
آن ، وتذوق الازهاق الساخر الذي يشعر به من احتقاره لنفسه ! وأخيراً ،
وبشكل خاص ، لربما عرف بهذه الطريقة كيف يقطع علاقاته معها هذا المساء .

تمطت . كانت ترتدي بنطالاً أسود يبرز مفاتن جسدها . هنا أيضاً
خدعته نفسه ، كما كانت تخدعه هي ، إذ كانت في الليل فورة ، وعبودية ،
وجنوناً يضمها جميعاً بين ذراعيه ، كانت متهتكة تنقصها العذوبة ، وكان يفتنه
أن يراها تبرز في الصباح من جديد غاوية بعيدة .

قال لنفسه : « النار تحت الجلد » ... ولكن كيف ، كيف استطاع أن
يطور حبه بدءاً من هذه الرواسم ؟ كيف استطاع أن يسكر نفسه بهذا التناقض
الظاهر ؟ (وأن يجده حتى مزعجاً ؟) . أي لغز يكن فعلاً في امرأة تخاطبك
في النهار بصيغة الجمع وفي الليل بصيغة المفرد ؟ وتتصرف كأنها غريبة في الحالين ،
في منتهى البرود وفي منتهى الاشتعال . ومع ذلك شعر بتعة — خيل إليه انها
من أكثر المتع رهافة — هي ان يؤدي معها ولأجلها دور الرجل الاجتماعي
والبغي . ذلك انها لم تكن تعامله قط ، قط ، معاملة الند للند .

لا تفصح شيئاً من هذه التفاصيل المتنافرة أمام الشخص الذي يحبنا ، ولا
نقاص من نحب بما يمليه علينا الجنون الاعمى لمتطلباتنا الجنسية . ذلك خطأ ،
خطأ شنيع !

المشاعر الدنيئة . أحبها لما كانت تتحاشى فعله ، ولما كانت غير قادرة على فعله .
أحبها لحواجزها المجنونة . ومع ذلك ، أي حب يظهر مناسباً لها غير الحب
المجنون ؟ ألف مرة ، آه ، ألف مرة كان يفضل لو أحبها لخياتها ، أو لعبائها ،
أو لأي عيب من عيوبها الحمقاء ! لكان على الأقل قد فهم تعاسته وسعادته في
آن ، وتذوق الارهاق الساخر الذي يشعر به من احتقاره لنفسه ! وأخيراً ،
وبشكل خاص ، لربما عرف بهذه الطريقة كيف يقطع علاقاته معها هذا المساء .

تمطت . كانت ترتدي بنظالا أسود يبرز مفاتن جسدها . هنا أيضاً
خدعته نفسه ، كما كانت تخدعه هي ، إذ كانت في الليل فورة ، وعبودية ،
وجنوناً يضمها جميعاً بين ذراعيه ، كانت متوترة تنقصها العذوبة ، وكان يفتنه
أن يراها تبرز في الصباح من جديد غاوية بعيدة .

قال لنفسه : « النار تحت الجليد » . . . ولكن كيف ، كيف استطاع أن
يطور حبه بدءاً من هذه الرواسم ؟ كيف استطاع أن يسكر نفسه بهذا التناقض
الظاهر ؟ (وإن يجده حتى مزعجاً ؟) . أي لغز يكن فعلاً في امرأة تخاطبك
في النهار بصيغة الجمع وفي الليل بصيغة المفرد ؟ وتتصرف كأنها غريبة في الحالين ،
في منتهى البرود وفي منتهى الاشتعال . ومع ذلك شعر بمتعة — خيل إليه انها
من أكثر المتع رهافة — هي ان يؤدي معها ولأجلها دور الرجل الاجتماعي
والبغي . ذلك انها لم تكن تعامله قط ، قط ، معاملة الند للند .

لا نقض شيئاً من هذه التفاصيل المتنافرة أمام الشخص الذي يحبنا ، ولا
نقاص من نحب بما يمليه علينا الجنون الاعمي لمتطلباتنا الجنسية . ذلك خطأ ،
خطأ شنيع !

وفي هذه اللحظة ، اذا لم تشوش ضميره أية صورة جنسية ، فان ذكرى بعض الكلمات : « الى اللقاء ، يا حبيبتي الغالية » التي كان يتفوه بها على احتشام خفي أمام أصدقاء مطلعين ، تشعل النار في خديه . أي حجل ، أي مزاح وادعاء التزم بها جميعاً تحت ستار من الملاحظة المصطنعة ؟ لم يكن ذلك ممكناً ، هو الذي قرأ وأحب ، هو الذي كان محبوباً وأحب الحب وما يزال ، كيف استطاع ان يتحمل هذه الصورة الهزلية المضحكة للحب ؟

قالت وهي ترفع نظرها اليه :
— ماذا تشربون ؟

— سأشرب بنفسي ، وانت ، ماذا تريدن ؟

وما إن أطلق كلامه بصيغة المفرد كأنه تحدث حتى أحس بأنه يثير السخرية فاحمر . آه كلا ! مادمت في هذا الوضع ، فستستفيد من صيغة الجمع ، من هذه الواجهة ، لأنسحب بلباقة ، لو لم تكن هذه الصيغة مدعاة للضحك : إذ كيف تهجر امرأة هجراً مناسباً ، وأنت ما تزال تشعر بحرارة احتضانها لك ، ونومها معك ، واستيقاظها بجانبك مدة عامين ؟

لم تحرك ساكناً ولم تجب . تناول مشروبه بيد ثابتة ، ووضع الزجاج (١) التي أصبحت غريبة عنه على هذا الرف المجهول ، قبل ان يخطو نحو مقعد يوحي مظهره الخارجي بأنه من طراز لويس السادس عشر . أحس بأنه شديد الضياع في هذا البيت ، هذا العالم الذي عرف في الماضي كل زاوية فيه وأحبها ، حتى

(١) الزجاج : الاتاء الذي تمزج فيه المشروبات لتشكل كوكتيل .

لقد سرّى عنه قليلاً أن يرى رجلاً سياسياً يظهر بوجهه المناقق الاليف في الشاشة الصغيرة . نظر اليه ولكن هذه المرة بنوع من الاستلطاف وحتى الندم . قال له في نفسه : « حين أفكر انني كنت أجذك مضحكاً ، يا عزيزي ، متخماً بذاتك ، مدّعياً ، حقيراً ! حين افكر كم كنت تبدو خلواً من الذكاء والطيبة ، جباناً ، عامياً وراء استعلائك المزدري ! وهكذا ترى انه كان عليّ ، في نزوتي ، أن أعجب بك أيضاً ... لأنك تشبهها » .

مدّ ساقيه ، ووضع يديه على مسندي المقعد . كان يرتاح . جسمه الشبيه بجسم فتى صغير ، متعب نائم ، ولكن لم يمسّ ، جسمه سيذهب ليمتدّد وحده بين غطاءين طريين فضفاضين بعد بضع ساعات ، بعد القطيعة ، وبالتأكيد بعد هدم كل مالم يكن موجوداً .

قالت : « غريب ، أليس كذلك ؟ جميعهم يقولون الشيء ذاته » .

هز رأسه . إنه يوافقها مرة أخرى . كان دائماً يوافقها . لقد تكلمت بطريقة هي من اللامبالاة أو السخرية بحيث لا يجزؤ أحد على معارضتها ، خصوصاً انها كانت تبدو جاهزة لاختلاء الساحة . ولكنها في الواقع لم تكن مطلقاً كذلك . كانت متعلقة بأرائها الصغيرة ، وتجاربها الشخصية ، ونمط حياتها الذي ينسجم مع « مجلة الأزياء » أكثر مما ينسجم مع « التوراة » . وكان صوتها المتعب ، بلهجته المتباطئة قليلاً والمقنعة كثيراً ، صوت امرأة خائفة ، ولذلك كان بلا شفقة . بل ، كانت خائفة : خائفة من ان ينقصها مال على الرغم من أنها غنية — خائفة من الشيخوخة مع انها شابة — خائفة من ان تتكشف مع انه لا يوجد شيء ، أي شيء ، تحت هذه الهالة من الأناقة والمشية اللامبالية

يدرك آنذاك ان سبب هذه الدهشة يعود الى انها بقيت في نظره باردة في بعض منعطقات نفسه الخفية ، وذلك بشكل غامض وعلى الرغم من فسقها الليلي .
أو انها كانت دائماً كذلك .

قالت :

— ما هي مشاريعك لهذا المساء ؟

رغب في ان يجيئها بايجاز : « أن أهجرك » وذلك فجأةً ولمجرد أن يرى التغيّر الذي سيطرأ على هدوء هذا الوجه الجميل وابتناسمه وطواعيته . والواقع انه لو اقترح عليها أن تذهب الى المسرح ، أو الى شاطئ للسياحة ، أو ان تمارس الحب لوافقت بلا تردد ، ولهنأته على خياله ، وأسعته أن هذه الامنية ، مهما بدت سخيفة ، هي ما كانت ترجو تحقيقه طوال بعض الظهر ولأقنعتة أخيراً ان هذه المسرحية ، أو هذا البحر ، أو هذه الأغنية المدعوكه هي من وحيا هي ، وان رغبته لم تفعل شيئاً سوى الانصياع لرغبتها ، وهكذا يظهر مضحكا ، ثرثاراً ، طائشاً خلال أمسية بأكملها ، ثم تقول له بتسامح وهما يعودان بعد أن يكونا قد اسهما في الضحك العمومي : « تسليّت جيداً ، أليس كذلك ؟ » وبذلك تسمعه بشكل غير مباشر أن هذه الامسية هدية منها اليه .

ومع ذلك فلم تكن غريبة الأطوار : كانت تضحك حين يكون الناس مضحكين ، وتصفق حين يكونون أذكياء ، وتصرخ حين يحسنون معها ممارسة الحب . ولكن هي نفسها ، هي نفسها كانت لا تضحك ، ولا تثير التفكير ، وإذا كانت تُمتَح في الحب فلاّن الآلية الطبيعية للأجسام البشرية كانت تحيل هذه المتعة شيئاً لا يمكن تحاشيه .

وفجأة خيل اليه أنه يشبه العَظائيات (نوع من الزواحف) الكثيفة الخرقاء التي يراها الانسان تجر نفسها جرأً في المستنقعات الاستوائية ، وكل منها تحمل على رأسها الأعمى طيراً يصيحّ بالصراخ ، ويعاني من السُعار (شدة الجوع) ، ويحمل السُوم ، طيراً ألوانه متألقة ، يتغذى بشكلٍ خاص بالنفايات والوحل التي تجمعها العظائيات . لن تجد أية صعوبة في العثور على تساح آخر ، أو فرس من أفراس البحر تجثم عليه . فريشها لا بأس بجمالها ، وصوتها مقبول بنفاذه لكي ينسى أي حيوان إيقاعَ الضربات التي تنهال من منقارها على رأسه بجشع واستمرار ...

قال :

— لا رغبة لي في الخروج .

تناول علبة لفائفه من جيبه . استمت ، وبحركة رشيقة رمت له في الهواء قدّاحة صغيرة فاخرة مبسطة جداً كان أهداها لها مؤخراً . التقطها وهي طائفة ولم يدهش لبرودتها الشديدة كما لو أنها لم تسكن قبل لحظة يداً رطبة أخرى ، وكما لو أن الذهب والفضة قد ألغيا دورهما كناقلين ، ورسولين للحرارة والرغبة ، عندما كانا يلسمان تلك اليد الأنيقة الباردة . كانت تلك قداحته ، والأريكة أريكته ، والبيت بيته ، والحوائج حوائجه ، والجسد جسده . ولم يكن يزعجه أن يكون قد دفع ثمن كل هذه الأشياء من غير أن يصبح مالِكها ، ولكنه أحس فجأةً بأن كل هذه الأشياء التي منحها حبه تزدريه حتى الموت .

رجل وامرأة يقبل أحدهما الآخرَ الآن على الشاشة . كانا جميلين كما يجب ان يكون المشلون . وتقلصت يدُ المرأة على عنقِ الرجل فبدت

مستغرقة في الحنان ، والامتنان ، وفي شيء مجنون ، شيء شرس ثمين ، شعر هو بفته بأنه ينقصه حتى الدوار ، حتى الأسى . واحس بشيء ينعقد في حنجرتة ، ويسدّ أوداجه ، ويسنع دمه من ان يغزو قلبه ويجعله يخفق .

كان وحيداً ، كان فقيراً ، كان يحسّ بالبرد والخوف والجوع . لم يكن له عمر ، ولا اسم ، ولا مستقبل ، ولا أصدقاء . كان غارياً ، يرتجف من الضيق والحسد لأن مثله لا سحر لديها تقبل بطلاً متصنعاً على الشائسة الصغيرة . لو يقول لهذه المرأة الجالسة هنا ، على مقربة منه ، ثلاث كلمات لتعرت ، ومررت يديها على جسده تدغدغه ، وتثيره ، ولقالت له كلمات رهيبة ، أكاذيب ، ولهمست له « أحبك » وعضته في عنقه . ولكنه بعد ذلك سيظل يشعر بزيد من الوحدة ، وسيصبح هذا الارتجاف الخفي صريراً أساناً قد لا يستطيع السيطرة عليه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قار إليها . كانت عيناها مشبتين أيضاً على هذا الثنائي ، ولكن بابتسامة أشربت بشيء من الاحتقار ، ابتسامة تريد ان تقول إن هذا محزن . ولكن أليس الحب كذلك ؟ قال لنفسه برعب مفاجيء : « ولكن ، ولكن ما دامت تشعر بمثل هذا الاحتقار للحب ، فلِمَ تُصرّ إذن على ممارسته والتحدث عنه ؟ بأي حق تستعير كلماته ، وحركاته ، وحتى قناعه المزق ؟ » رغب في أن يضربها لذلك كما يضرب من يزور كتابة . لم تكن قط أحبت قبله ، ولقد حدثته عن الموضوع فأحسّ في ذلك الوقت بكبرياء أخرق . « بلى ، بأية غطرسة حمقاء مجرمة استطاع ، في تلك اللحظة ، ان يخفي ما ينجم عن هذا الاعتراف ؟ مع العلم انها اذا لم تكن في الثلاثين من عمرها قد أحبت قط قبله ،

فانها لن تحب أبداً بعده ، وانها فضلا عن ذلك ما أحبت قط في أثناء العلاقة التي قامت بينهما ؟ » .

عرفنا خلية رجل آخر ، وقد سرَّ بالسهولة المدهشة التي هجرت بها هذا الآخر لتنضمَّ إليه . فعزا الى الحب هذه القسوة الجريئة التي بدرت منها ، وعزا الى سحره الشخصي هذه السرعة الشرسة ، وسعى تحرراً مالم يكن سوى هروب . هاربة ! هذا هو التعبير ! كانت هاربة تمر من صحراء الى أخرى وتحيل كل شيء حولها - الأهداب ، والوجوه ، والسجاجيد ، والفجر ذاته - تحيلها قفراء ، متجلدة ، داكنة .

الرجل الآخر انتحر فيما بعد على شجرة دلب ، وتذكر أنه حمل اليها النبأ بكثير من اللباقة ، وانطلق في ذلك من مبدأ غامض ، أخرق ، ولكنه رئيسي لديه بأن الانسان لا يستطيع أن يلصق جلده على جلد شخص آخر ، ولا أن ينفث نَفْسَهُ في فم آخر ، ولا أن يجلب دموع متعة أو حزن الى عيني انسان، من غير ان يُبقي ، في الوقت ذاته شيئاً من جلده ونَفْسِهِ وظلته في هذا الآخر بشكل حي وقابل للانجراح .

وبعد فانها لم تنبس بكلمة لهذا النبأ ، بل هزت كنفها قليلاً ، واستدارت بها فثمة من قبيل العفة . ثم لم تلبث أن تكلمت عن الحظ السيئ : فالنحس هو وراء هجرها لهذا الرجل ، وهو وراء فقدانه توازن سيارته بعد ذلك بقليل . لم تتدخل في شيء من مجرى هذه الحياة القصيرة جداً ، ولا علاقة لها بهذه القصة الغرامية ولا بهذا الحادث القاتل .

وارتجف بغتة كما لو أن هذا الحادث لم يقع ، وكما لو أنه موعود بميعة

سريعة فور هجره لها . قال لنفسه « الإلهة الجهنمية الشابة ^(٢) التي تغزل مصيري . » وراها تمد ذراعها كأنها هي تسخر منه ، وتتاول من على مقربة منها القماشة الملونة المنمقة الصغيرة التي بدأت العمل فيها منذ قليل . رآها تعقد حاجبيها قبل ان تحرك اناملها الطويلة المغزلية بدقة . كانت هذه القماشة رمزاً ، لا فائدة منها الآن ولا في المستقبل ... ذلك أنه كان من غير المعقول ، ومن غير الممكن تصويره أن تستطيع سرّده صديرة من الصوف ، أو قبة ، أو حقيبة يد ، أو أي شيء آخر على العموم لأجل شخص ما . لم يرها قط تناوله خبزاً ، أو تمسك بباب لا ستقباله ، أو تدبّر نارا لاشعال لفافته . وإذا كانت قد رمت اليه بقداحتها عبر الغرفة منذ قليل ، فإن حركتها تلك كانت حركة تباطؤ لتذكّره بأنها هديته التي تقبل هي بأن تعيره إياها — هو الذي اختار ان يصنعها لها جوهرى ودفع ثمنها غالياً أمام كان يجها — . لم تفعل لأجله شيئاً بلا مقابل ، وكانت ميزته الوحيدة التي ترفعه في نظرها على ملايين الأطفال الجياع في العالم ، أنه كان يملك في جيبه ما يكفي لدفع الحساب في مطعم (مكسيم) .

كانت عيناها مسببتين على قماشتها ، وحاجباها معقودين ، وكانت تبدو فريسة صعوبات فنية . وصالبت صنائيرها ، ولملت لفائف صوفها ، ووضعت الكل أمامها بحركة راضية .

(٢) في الميثولوجيا الاثينية ان الباركات الثلاث Parques أو الإلهات الجهنميات الثلاث كن بفرزنان لحمة حبة الفاتين ومصريهن . وهن كلونو CLOTHO ، ولا شيزيس LACHESIS وأتروبوس ATROPOS .

قال لنفسه باختصار : « انها شقراء ، شقراء بشكل لا يُصدق » قبل أن تلتفت نحوه وتفتح فاهها :

— سأهجرك ، قالت ، إن (سيريل) يحبني وأنا أحبه أيضاً .

وفجأة أحس بحزن هائل يخترقه ، وبرغبة في أن يقيء ويتعلق بثوبها .
وللمرة الأخيرة ، أضاعت الشعور الشقر ، كشمعة الجحيم الذي سيعيش فيه حياته المقبلة .

دموع في النبيذ الاحمر

ساعة ... أهبه ساعة . ساعة تأخر ، هذا أقصى ما تستطيع امرأة أن تتحمّله . امرأة مثلي ، على أية حال . امرأة سعيدة بزواجها ، حسناء ، مشهود لها بالحسن ، مرغوب فيها ، مشتهية . امرأة يشتهيها عدد كبير من الرجال ... أستطيع أن أسّي ستة منهم . امرأة بقبعة ساحرة ، وفراءات ثعلب ساحرة ، تنتظر نصف ساعة على مقعد من حجر ، وفي ساحة من ساحات باريس ، رجلاً يتأخر عن الموعد ... إنه لشيء مخزٍ ، لا يمكن تقبّله ، شيء مضحك ... أنا جميلة ، أنيقة ، شهية ، مضحكة . بلى ، طوال ساعة ونصف ساعة سأظل هنا ... فإذا تمسّك بموعده فسأدوس قبعتي البشعة ، وسأترك هذه الحيوانات القذرة على هذا المقعد ... إذا تمسّك بموعده ، ووافاني الآن فسأتعري في هذه الساحة ، وسأبته سيراً على قدمي في انحاء المدينة . وإذا لم يأت فاني سأتحرك . سأعود الى البيت ، وأقبل هنري ، وأضع قبعتي على سريري (مادامت تجلب لي الشؤم) ، واعلق ثيابي على مشجب (ما دمت

ذات طبيعة مرتبة) ... بعد ذلك ، سأتناول من حصامي الاثني القارورة التي خبأتها خلف آنية خضابي ، فأفرغها في يدي ، وابتلع تلك الحبوب المرة البيضاء ، واحدة واحدة ، مع ماء دافئ . العدد اللازم . لا أكثر ولا أقل . ولن أكون عرضة للسخرية ... السخرية ، يكفيني منها ما لقيت :

الحب يسخر مني ، والحياة تسخر مني ، ولكن الموت لن يسخر مني ... أنا لم يعد لدي وقت للمزاح ... الحب ، بمعناه الكبير ، أقبله . أما المزاح ، بمعنائه الكبير والصغير ، فلقد رحل من النافذة منذ زمن طويل . منذ برنار فارو .

برنار فارو ! يا لهذا الاسم ! ... لا سحر فيه ولا أي شيء . حين أفكر في أنني كنت روبرتا دوريو ، امرأة سعيدة بزواجها ، أنيقة ، مشهوداً لها بالحسن ، شهية الخ ... امرأة لم تكن تعرف برنار فارو . والآن ، ومنذ ستة أشهر ، أنا خرقه تعرف برنار فارو ... برنار فارو الذي يعمل في التأمينات ، والذي لا يتسم بالجمال الجذاب ، ولا بالذكاء الخارق ، هذا المدّعي ، الأناني ، القائل التهذيب — ما دام يجعلني أنتظر منذ عشر دقائق — هذا الذي أحب ... لن انتظر ثانية واحدة أكثر من ساعة . وها هو الليل يهبط ، وبركة المقعد ، وأفقرت الساحة . يمكن ان يحدث لي شيء . قد يهاجمني أي شخص ، هذا المتشرد ، مثلاً ، الذي يصل بكشكوله وهزاله وقذارته . وهو ليس حتى هرماً ، لذلك يستطيع بكل سهولة ان يلوي عنقي . ولكن ما تراه يصنع ؟ أيجلس على مقعدي ؟ يا للظامة الكبرى ! لا شك في أننا متميزان : أنا ، بشعالي ، وهو ، بأسماله ! سيضحك برنار من هذا المنظر عالياً لو أتي .



مدّ المتشرد لوкас دو دوفان ساقه بعناية وتهدد بارتياح • صحيح ما يراه : المقعد خالٍ إلاّ من هذه المرأة المغرورة بجيدها الأنيق • أصبح من العسير جداً أن يجد مقعداً هادئاً • فما إن تطلّ الأيام الصاحية حتى يصرع سكان المدينة ، الذين لا سيارات لديهم ، الى احتلال مقاعد لوкас ، مقاعده الوفية البيضاء ، والعارية الملساء في الشتاء ، يحتلوها لساعات ، ويتبادلون القبل من الأفواء - هكذا - ، أو يقرأون كتباً ، وأحياناً - وهو أسوأ ما يمكن ان يحدث - يراقبون أطفالهم وهم يصخبون وينظرون اليه شزراً ! ... أما الآن فما هو الليل ، وفي هذه الساحة الحزينة لا يشجّع هذا المقعد الحجري القاسي البورجوازيين المترفين المتخمين ولا المتعجرفين على الجلوس عليه ، ما عدا هذه السمراء ذات الحسن الحقيقي ، هذه السمراء تحت قبعتها • كانت تنظر باستمرار صوب مير بين الأشجار ، وواضح أنها كانت تنتظر أحداً ... • يجب أن يكون الانسان ليثماً أحقّ ليجعل هذه المرأة تنتظر ! لو لم يعدل لوкас منذ زمن طويل عن التعلق بالنساء الجميلات ، وبالسيارات الجميلة ، وبحضارتنا الجميلة ، لغازلها • ولو لم يكن يرتدي هذه الثياب لسارت الحال على ما يرام • كان لوukas الجميل ، في الستينات ، شاباً في الثامنة والثلاثين من عمره ، أنيق المظهر ، مرح الجانب ، يسقط من يريده في شباكه •

فتح كشكوله ، وأمسك بزجاجته الثمينة الملأى تماماً • فتحها ثم رفع معصمه بها ، ولكنه أوقف حركته فجأة • كانت كتفا المرأة الجالسة بقربه تهتزّان وهي تذرّف دموعاً صامتة ولكن عنيفة وذات منظر مزعج • مدّ لوukas كأنما على الرغم منه ، قارورته الثمينة نحوها • رنّ الزجاج على المقعد •

التفت المرأة فرآها لو كاس مواجهة : رأى عيني صافيتين ، تتألقان تحت نقاب شفاف ، ويحيط بهما الكحل والأسى ، عيني تفيضان بدموع غزيرة لم تتمكن من حبسها . تأمل أحدهما الآخر لحظة طويلة . قطرة زرقاء وقطرة سوداء ، قطرة باكية وقطرة مشفقة . وبدا أن المرأة تستيقظ ، وتمت «شكراً» ثم تناولت زجاجة لو كاس الثينة وجرعت منها جرعة كبيرة قبل أن تعيدها إليه . نضبت دموعها للحظات ، وتورد وجهها ، وابتسمت قليلاً . وعدد لو كاس ، مرة أخرى ، بفخر محاسن النبيذ الأحمر التي لا يمكن أن توصف .

قال بكل كبرياء المدمن الوفي :

— انها تخففت عنك ، أليس كذلك ؟

قالت وهي تسحب مندبلاً من جيبتها :

— لقد خففت كثيراً عني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhalin.com

ومسخت في مندبلاً بقوة حتى أن الصوت أدهشها هي نفسها . ألقطت قطرة اعتذار نحو لو كاس ، ولكنه — وهو المهذب جداً — كان يشرب بدوره من غير أن يظهر عليه أنه سمع ، اللهم ! الانشيد النبيذ العذب الساري في عروقه .

سألت :

— أي صنف ؟

قال لو كاس وهو يسمح فيه بكلمته :

— هذا ، لا أدري . على أية حال درجة كحوله ثلاث عشرة . أجده لدى

روبير ، زميل لي . أتريدون المزيد منه ؟

اقترح ذلك بأدب انما من دون حماسة ، فقد كان يعتمد على هذه الزجاجة لقضاء ليلته .

قالت السراء بفطنة :

— كلا ، كلا ، أشكرك كثيراً . لقد رفع من معنوياتي حقاً . كنت بحاجة اليه ...

وما دامت هي نفسها تشير الى دموعها فان لوكاس يستطيع أن يستفهم عن السبب :

— هل أنت حزينة أم وضع لك أحدهم أرنياً ؟ (تعبير فرنسي يعني عدم المجيء في الموعد - المترجم)

— أظن أن أحدهم وضع لي أرنياً . وها قد مر نصف ساعة حتى الآن ...

قال لوكاس باصرار : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

— هذا الشخص نذل . نذل فظّ ، لو سمحت .

قالت بصوت قوي :

— ... ولكنني لن انتظر أكثر من ساعة . لقد أقسمت على ذلك . في السادسة الا دقيقة سأنهض وأعود الى بيتي و ... وهكذا .

بدأ لوكاس :

— لو كنت مكانك ل ... لا بأس ... وبعد ... !

وأشار بيده إشارة غامضة . وبدأ التفكير على وجهه . خيل لروبرت « ان مسحاً من الجبال ظهرت على هذا الوجه » .

استمرت :

— لو كنت مكاني ...

— الأمر لا يعني ... ولكنني انتظرت نساءً على مقاعد في الماضي ،
وفي كل مرة كان يمر من الوقت ساعة وربع ساعة كان الموضوع ينتهي ...
بالنسبة إليّ ، طبعاً .

ظرت اليه بامعان :

— وفيما عدا ذلك ... وحين كنت تذهب قبل أن يأتين ؟

قال لو كاس وهو ينظر اليها بدوره :

— حين كنت أذهب فذلك لأنني كنت استطيع الذهاب . هذا لن يفهمه
جيداً . أما فيما بعد ، فكان يجتهدن للمجيء في الوقت المحدد .

ساد صمت كان فيه الاثنان يفكران . وكانا يبدوان كشمال رمزي
لفياسوف وتلميذته . ظرت الى قدميه ، ثم الى الممر . وبشبه شرود مدّت
يدها نحو لو كاس الذي أذعن فوضع الزجاجاة فيها . كان يشعر بعبء في قرارة
نفسه . جرعت منها جرعة فلاحظ بأسى أنها جرعة كبيرة ، ثم مسحت فيها
بكمّتها كما فعل هو .

قالت بصوت متردد :

— وحين كن يأتين فلا يجدنك ؟

قال لو كاس وهو يضحك على الرغم منه . (ذلك أن ثلاث أسنان أمامية
كانت تنقصه ، الأمر الذي كان يغيظه أمام غزوته الجديدة) :

— في تلك الاثناء أكون قد عدت الى مأواي ، وهناك كانت توجد صديقتي العرجاء التي كانت تحبني حقاً ... (أنهى هذه الجملة باختصار)
... وعندئذ ...

وبدرت منه إشارة غامضة مع هذه « العندئذ » ... ولكنها كانت تعني بوضوح : « وعندئذ أستمتع بالدفء مع العرجاء ، تحت ججري ... » فأحسست روبرتا أن الفكرة ذاتها تغزوها : « عندئذ أستمتع بالدفء مع هنري ، في منزلي ، شارع بول — دومر ... »

نهضت ببطء ، ونفضت الغبار عن ثيابها . فكر لوكاس : « انها امرأة فاتنة ولكنها ضائعة ... و ... »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت :

— انا ذاهبة الى بيتي .

قال لوكاس وقد غضنت عينيه ضحكة :

— ولكن الساعة لما تنقصر ، ألا ترين ؟

كان يشعر بالسرور والرغبة في المزاح . سيبقى هنا ليرى قدوم الشخص . كان يعد نفسه بلحظة لذيذة . جعل امرأة تبكي بعينين لهما هذا اللون خطأ يجب ان يدفع صاحبه ثمنه .

قالت وهي تضحك بدورها :

— كلا . كلا لما تنقصر الساعة . لا بأس ... سأذهب ... الى اللقاء ،

يا سيدي . أشكر لك ال ... أشكر لك كل شيء .

وبدرت من يدها إشارة باتجاه لو كاس ... والزجاجة ... فشعر لو كاس بقلق ... ولكنها كانت قد انحنت ووضعت يديها الدافئتين على يديه ، وشدّت عليهما قليلاً ، ثم انطلقت . واختفت في الممر .

وفكّر لو كاس « رحلت في الوقت المناسب » وهو يرى ، بعد ثلاث ثوان فقط ، شاباً تبدو عليه إمارات العصبية وفناد الصبر يتحرك على مقربة منه ويضرب الأرض بقدميه خلال النصف الساعة التالي .

كان برنارفارو مستوفز الاعصاب جداً حتى لقد شعر بضيق شديد كأنه وقع في ورطة لا خلاص منها .

وكما انه لم يفكر قط في الاعتذار عن تأخره ، فانه لم يفكر في ان روبرتا تستطيع ألا تنتظره ، هي بدلاً من هذا المتشرد الهزيل الذي يضحك وحيداً على المقعد . وشعر للحظات بحزن مشوب بغضب ، ثم بشكوك ، ثم بالحب يغزوه فوراً .

ولكن روبرتا لم تعد تنتظره في أي مكان . الله يعلم لماذا . إن روبرتا لم تعد تحبّه .

موسيقا لنزاع عائلي

مرّ هذا اللحن برأسه في ختام السهرة ، وبدأ له مغرّقاً في السحر حتى انه لجأ أخيراً الى حجرة الملابس لكي يكتب نغماته الاولى في دفتر عناوينه الصغيرة: دو - مي - سي ، سي - لا - صول ... تخيله في البدء على البيان ، ولكن

كان هناك مرح وحرية في هذه الأوزان الاولى يتطلبان المزيد . فك شريطي
حذائه وهو يصفر ، ناسياً للحظة النزاع الذي بدأته أنيتا في السيارة لمدة لم
تكن طويلة .

« أو تصني الي ؟ لا أسألك ان كنت تسمعي ، ولكن إن كنت تصني
الي . »

التفت أنيتا نحو زوجها وعلى وجهها الجميل ما كانت تفكر انه تعبير
نصف حزين ، ونصف ساخر . لم تتصور لحظة انه يمكن لاقها ان يلمع ، ولا
لعضونها الاولى أن تبرز بقسوة في هذا الفجر الصيفي . وهذا القصور في
التصور ظهر مؤسفاً أكثر من المعتاد . « قصور » لم يكن هذا هو التعبير على
أية حال ، لأنها كانت تستطيع ان تحصل على إفراط في التصور ولكن في اتجاه
وحيد هو اتجاه الادعاء .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وكما ييني الطائر عشه ، كانت أنيتا تراكم ، شيئاً فشيئاً ، الحوادث
التافهة ، والشاذة ، وحتى المتناقضة احياناً ، وتتوصل بأعجوبة الى جمعها معاً .
وحين تحسب حسابها ، كانت بفخر تخرجها لزوجها ، ذات يوم جميل ، كأنها
أمثلة " وبراهين " على نظرياته ، ونظريات لويس هي سطحته ، ولا مبالاته ،
وحتى حب الظهور لديه .

قال لها بصوت ضعيف : « ولكنني أصغي اليك . »

قد يكون ايقاع جاز هو الذي يلزمه في الواقع : كوتر باص ، كلارينيت ،
وربما بانجو ...

« لا أفهم ! حقاً لا أنهم • قد أكون حمقاء ... »

« هناك إمكانات يجب ألاّ نشير إليها » فكر لويس بسرعة ومرح • ولكنه لم يلبث ان أظهر وجهاً رخامياً ، بعيداً ، شبه مغضب ، كما لو أن فرضية حق أنيتا ، حتى في استحالتها ، ترنّ كتبديل لمواقع الكلمات في محادثة جدية • قال : « وأنا أيضاً لم أعد أفهم • كانت سهرة كبقية السهرات ... »

صدر عنها صهيل خفيف ينبىء عن الانتصار ، وجلست عمداً في المقعد المقابل له ، ويداها مبسوطتان تماماً على مسنديه ، وفي عينيها بريق تصميم ، بريق يعني انه ليس تبرماً بسيطاً يتوجب عليه أن يردّه ، واأسفاه ، بل أحد هذه الاعتراضات التي لا يمكن لها أن تنتهي • تنهد وأشعل لفافة وهو يحرك أصابع قدميه المحرّرتين بارتياح •

« نطقت بالكلمة ، يا لويسي المسكين : « سهرة كبقية السهرات » • لا أحسن ولا أسوأ : سهرة لا طائل وراءها • ولكن بهم يمكن لكل هؤلاء المجبّي الظهور أن يفيدوك ؟ »

صحيح أنه كان يوجد مجتمع ما في باريس يقيم الحفلات للويس ، وذلك منذ أن نال جائزة الأوسكار عن أحسن موسيقا للأفلام في هوليوود ، في العام الماضي ، وصحيح أيضاً ان لويس كان يجد كالأطفال متعة في ذلك الجو العامر بالبذخ والبشاشة والاطراء ، وهو جوّ كان ينقصه بقسوة خلال سنوات • « كان ينقصهما » فكّر بكل ما لديه من حسنة ، ذلك أن أنيتا كانت قد اشتكت بما فيه الكفاية من الحياة خلال ما سمته « سنواتها العجاف » •

وبدا له ازدرأؤها ، وهي تتفاخر به الآن تجاه ما طالما رغبت فيه ، على شيء من التسرع ، على شيء من الاعتبار .

كانت امرأة حسنة ، ترتدي ثياباً أنيقة ، وتجد لذة ظاهرة في ارتدائها . وتساءل أية شراسة كانت توحى إليها بهذا الازدراء المتنامي . أكملت :

« أنت لاتعرف ، مثلاً ، ما قالت صديقتك الجميلة لورا كنول ؟
أحزر ... ! »

« لن أحزر أبداً » ، قال بإصرار .

« آمل ذلك . كان لديها الواقعة ان تقول لي : « ما أحسدك عليه يا صغيرتي أنيتا (واتخذت صوتاً حاداً مضحكاً ، يختلف عن صوت لورا كنول الحلو) ما أحسدك عليه ليس النجاح الحالي للويسك ، بل سنواتكما الصعبة : ان تعيش المرأة مع مبدع ينبغي ان يكون شيئاً رائعاً حتى أن المصاعب المالية لتبدو ... لا شأن لها ... »

وتلفظت بهذه الجملة الأخيرة بتشدق ساخر ، فرغب لويس ان يلفتها الى أن هذه الجملة ، مع هذا كله ، ليست مغلوطة بحد ذاتها ، كما أحس ، في الوقت نفسه ، برغبة أقسى في أن يلفتها الى أن لورا كنول لم تخطئ كثيراً ما دامت هذه السنوات الصعبة ، هذه السنوات العجاف ، هي السنوات السعيدة الزاهية لحيتهما : في أثناء هذه السنوات الخمس ، كان يحب أنيتا بجنون وكان مرتبطاً بها ارتباطاً كاملاً . وإذا كانت بداية السنوات الغنية قد توافقت مع انحدار عشقهما ، فإن الخطأ في ذلك ليس خطأه هو . كان قد قاد

نجاحه إليها ، ووضعها بفخر وربما بغباء عند قدميها ، وكان الأمر بيدها وحدها لتجعل منه نجاحاً مشتركاً . إلا أنها تكشفت عن مثقفة متقشفة ، مستعلية ، امرأة جديدة ما عرفها قط من قبل ولا قصد أن يتزوجها ، امرأة لم تعد لديه مطلقاً الرغبة في مكاشفتها بمن تكون . إنه لم يعد يفكر إلا في الانسحاب ، والتملص ، والهرب ...

وكانت تصر ، وتضرب ، أو تحاول أن تضرب :

« ألا يصدك ذلك ؟ صكف تلك الإوزة المفرطة في الثراء وهي تحسدنا على إملاقنا ، ألا يصدك ؟ صحيح أن لورا كنول لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، هنا ... »

قال وهو يدير رأسه بعصبية : « ولكن ماذا تقصدين ؟ »

ذلك أنها أصابت في قولها أخيراً : فلورا تثير إعجابه على الرغم من فراءاتها النمسية ، حتى أنه كان يأمل ، بشيء من الحظ ، أن يصبح عشيقتها في أقرب وقت . حتى لقد ابتسمت له بطريقة ما في أثناء السهرة ، ابتسامة مغلقة بالحنان ، أكدت عيناها البنفسجيتان ، ويمكن لها أن تهب الأمل أيضاً لسان أقل ادعاء منه . ابتسم . منذ سنتين أو ثلاث ، كانت الفرص تتضاعف في هذا المجال ، ولكن إذا كان قد استفاد منها ثلاث أو أربع مرات ، فلقد فعل ذلك بكثير من الحذر مما يجعل أوهام أنيتا لا طائل وراءها . هز " اذن كنفين بريشتين . نهض ، تمطى ، اتجه نحو الحمام . لاحقه صوت أنيتا بينما كان يقف أمام صورته في المرأة ، صورة رجل في الخامسة والثلاثين ، متعبة قليلاً ، مهترّة ، ولكنها ذات رأس جميل على كل حال .

قال الصوت في الغرفة : « أتصور أني أزعجك ؟ ولكن اذا لم أقل لك الحقيقة ، فمن يقولها لك ؟ انت بحاجة ... »

« الخ ... الخ ... » فكر وهو يفتح الصنادير بضجة كبيرة . دو - مي - صول ، دو - مي - ريه ... بلى ، ان في هذا اللحن لسحراً ، لمحاً على شيء من البطر . سيتيح له كتابته من المقام الصغير ، وحتى إضافة كمائنات اليه ، من غير الاقلال من مرجه . وأكد " ستلزمه فرقة كبيرة ... وسيطلب من جان - بيير ان يقوم بالتجويق في ايقاعات قليلة العنف .

تناول أنبوب معجون للأسنان ، فتحه ، تجدد . كان وجه أنيتا يظهر في المرآة وراه ، وقد ابيض من الغضب ، وكأنه تشنج من الهيجان ، وتساءل لثانية من تكون هذه الغريبة ، هذه الشريرة التي تجرأ على ان تقف بينه وبين موسيقاه . سارت خطوتين ، وضعت يدها المحترقة على الصنوبر وأغلقتة بعنف . شاهد اليد البيضاء تحمر عند المفاصل ، ولاحظ لدى مرورها البريق الأزرق - اللازوردي للخاتم الذي أعطاها اياه قبل شهرين في عيد ميلادهما ، عيد ميلاد زواجهما العاشر . كانا قد تزوجا للسراء والضراء ، من غير أن يعرف ، في وضعه ، أن السراء كانت ستجلب الضراء بشكل آلي .

« لربما تستطيع ان تنظر اليّ اخيراً ، حين أحدثك بشكل جدي ... »

كانت مستندة الى المفصلة بالقرب منه ، تنفس بصعوبة . وتراءيا في المرآة كعدوين . وعلى الأصح ظنرت اليه كعدو ، فازعج ، وأحس بشبه خوف

من هذا الشعور بالكراهية الشديد القرب منه • وفكر : « هدوءاً ، هدوءاً » ، ومدّ يده ، وأعاد فتح الصنبور بلا رشاش ، ومرّر فرشاة اسنانه تحته ، بحركة مقدّرة ، قد تكون مفرطة في التقدير الى حد ما •

قال بصوت عذب (مفرق في العذوبة قليلاً) : « إنك لا تتحدثين اليّ » أخيراً • إنك لا تتوقّعين عن محادثتي بجديّة • الا يمكنك ان تحاولي الحديث معي بلطف وحسب ؟ »

فتحت فيها لتحتجّ ، ولكنه كان قد أطلق كلامه بصوت سريع ، عجول جمدها •

قال : « إصغي • يجب أن تكفّي عن هذا • يجب ان تكفّي عن هذه الملامات ، عن هذه الطريقة في الحياة • انك تتغيّبنني ، يا أنيتا ، إنك تحطّمين قديمي • عندي لحن برأسي في هذه اللحظة ، وأسمعه منذ ساعتين : أسمعه على الكلارينيت ، أسمعه على الكمان ، أسمعه على الهارب ، ومهما قلت ، ومهما رفعت صوتك بالصراخ ، فان هذا اللحن يغطي صوتك • أتفهمن ؟ »

وشعر بنوع من السخط يغزوه ، وكان يعرف أنه خطر ولكنه لم يستطع مقاومته ، وانه انتفخ كساقية بعشرات السيول الصغيرة التي ولدت من عشرات المشاعر الغاضبة الصغيرة المكبوتة •

وأكمل : « وبهذا اللحن ، اذا كان جيداً ، سأدفع اتفاقات الايجار ، والسيارة ، واثوابك ، وبذلاتي ، وحياة كل يوم ، وحتى ثمن الأعشيه في المطعم لهؤلاء الناس الذين تزدريهم ، من غير ان يكون لك الحق في ازدراءهم • واذا

لزم الأمر ، فسأدفع أيضاً طائرات ، تذاكر طائرات ستأخذني ، في أحيانٍ تزداد تقارباً ، بعيداً عنك ... وإذا لزم الأمر ، فسأدفع أيضاً ، بفضل هذا اللحن ، بدل إيجار مسكن آخر وثمان سيارة أخرى ، لكي تكون لدى كل منا حياته المنفصلة عن الآخر ، ولكي أنعم بالهدوء ، ولكي أستطيع ، في المساء ، ان أصفر لحناً وأنا أغسل أسناني بكل سلام ! »

رأى وجه امرأته يحمرُّ في المرأة ، رآها تتراجع خطوة ، رأى حتى الدموع تصعد الى عينيها قبل ان تستدير وتخرج من الحمام . رفع الفرشاة الى فمه وبدأ ينظف أسنانه بدقة متناهية وقلبه يخفق : كان يكره ان يكون بغيضاً وها هو يتصور ، في إذعان مزوج بالشفقة والمرارة ، مصالحةً على الوسادة ، المصالحة المزيفة الأبدية التي ستلي ...

خدش لثته ، فنظر بلا مبالاة الى الخيط الدم الزفير وهو يسيل على شفته السفلى . ولدتهشته ، بدأ الغريب الحائر قليلاً ، المواجه له ، يتبسّم فجأةً . دو - مي - صول ، فا - مي - صول ... لقد وجده ! هذا اللحن يستاهل أراغن . لا الأراغن الباهتة الجامدة لزواج كاثوليكي ، ولكن أراغن كبيرة تضجّ بالحرية . وسيعرض الموضوع الرئيسي دفعة واحدة ، ببساطة ، لربما بمساعدة بوق ...

دخل غرفته ، وهو يصفر ، بخطىٍ نشيطة ، خطى جندي منتصر ، « منتصر ولكن في أية حرب حزينة ؟ » فكّر وهو يصبر في ميدان المعركة مهزومته الكثيبة ، وقد التفت بوقار ومنامة شفائيهما تساوى . ولكي

يؤمن لهذه المرأة هزيمة مشرفة ، كان عليه أيضاً أن يلامس كنفها ، فانحنى عليها ، مدعناً للذة .

خافت أنيتا ، وأظهرت خوفاً ، ومن المؤكد أنها الآن تحقد عليه ، وهو ممدّد بالقرب منها . « انتصاره مضاعف » فكثرت بلا شك أيضاً (كما لو أن ضمتّهما كانت انتصاراً له) . شعر بعصبيتها ثور في الظلمة . وبذل ما في وسعه ليتنفس بانتظام ، وعق ، كما هو المفروض في النائمين ان يفعلوا ، ولكن هذا الانتظام المكره كان يضيق أنفاسه بشذوذه . وكبح ، في الوقت ذاته ، جماح سعال ورغبة في التدخين تعذّبه كرهته في الضحك . ذلك ان وجه أنيتا قد أصبح الآن ، بفضل إيمائية بليغة ، الرمز الكامل - والمضحك - للكبرياء التي هزمتها الشهوة . كانت قد اوجت الى جسدها بسرعة ، بعد الانحسار الغريزي للتمرد ، بالانطلاق الغريزي للشهوة الذي كان قد اصطدم به بقسوة وغباء في الظلام . وكان يتوجب عليه لثائية ان ينالها عنفاً لا يسير على ما يرام قبل أن يفهم ، ولله الحمد ، معنى ذلك الهيجان كله . وحدها ذكرى لورا التي استحضرها في خياله ساعدته ، بعد ذلك ، على ألا يضعف ، بينما كانت هي تبعر في صرخات وانتفاضات طائشة . . . ومع ذلك ظلّ يتنفس كموقّت موسيقي حقيقي . وبعد بضعة دقائق سيستطيع أن يثقف بارتياح نحو الحائط ، وهو ينخر ذلك النخير الأبله للذكر المستسلم لرقاد عميق يرمّم قواه .

قلّص ربّلي ساقيه ليستدير ، حين جمّده صوت أنيتا بنفسه القصير ، فاذن هو الذي أيقظه وكشف عن وجوده .

« كيف استطعنا ان نصل الى هذا الحد ؟ » سأل صوتها الواهن

الأسيان » الذي يشبه قليلاً صوت تلك الممثلة الحسنة في فيلم « هيروشيما جيبى » ، ففكر عرضاً • أمل " أخير " أبقاه صامتاً ، ولكن " ذات " الصوت الحزين العذب انطلق قائلاً :

« لا تتناوم ، يا عزيزي المسكين • أجبني ••• كيف استطعنا ان نصل الى هذا الحد ؟ ••• »

وسمع نفسه يجيب على الرغم منه بصوت أبحّ بآس :

« أين ؟ نصل الى أين ؟ »

« ان نقول الأشياء الرهيبة التي قلناها • »

« كيف ؟ كيف ؟ » قال لويس مرتاحاً - ذلك أنه خشي للحظة ان تشير الى نزاعتهما السابقة ، ولكن لحسن حظ أيتها (كما لحسن حظ جميع النساء تقريباً) ان شهوة الذكر هي بعد ذاتها برهان على الحب - كأنه التعبير ذاته عن هذه الشهوة يؤكد طبيعة الحب •

قال بصوت يوحى بالثقة : « كيف ؟ بحماقة • ثارت أعصاب كل منا ، ولكن الأمر غير خطير • هيا نامي • »

« الأمر غير خطير ؟ ••• اتعتقد حقاً ما تقول ؟ »

كلاً ثم كلاً ، لم يكن يعتقد ما يقول ، ولكن لم تعد هي التي يرغب في ان يعترف لها بذلك : بل للورا ، أو لبوب ، أفضل صديق لديه ، أو لأمه ، أو لبوابته ، لأي انسان آخر ما عداها هي • لم تعد لديه الرغبة في التحدث اليها عن أي شيء (ولا سيما الشيء الوحيد الذي يمكن لها حقاً ان تطلب منه أن

يحدثها - هي وحدها - عنه) أي عنه وعنهما ، عنهما وعن مستقبلهما •

« لقد أصبح الأمر مستحيلاً » ، تأكد لديه بينما نهضت هي قليلاً ، واستندت الى مرفقها ، وانحنت نحوه ، نحو هذه الكتلة الجامدة السوداء التي يجب ان تشكل ، في طلوع الشمس ، كتفيه ورأسه المنحني ، المخبأ تحت شعره ... استروح رائحة عطرها المرففة وقد امتزجت برائحة جسدها ، جسديهما بعد ممارسة الحب ، هذه الرائحة التي كانت لديه رائحة السعادة ذاتها ، رائحة محرقة عذبة • واطبقت يد " مجنونة " برزت من الماضي ، على عنقه ، وأطلعت منه زفرة جافة ، تشجأ بلا دموع أدهشه عنقه •

« يجب أن أكلها » فكر بسرعة قصوى وهو يرفض هذا الافتراض لحظة خطر بباله : « يجب أن أتحدث إليها • يجب أن أشرح لها ، أن أفهمها ، أن أعرفها بخاصة من أكون • » <http://Archivebeta.Sai>

ذلك أنها كانت ، منذ زمن طويل ، تتوجه بالحديث وهي تخاطبه الى انسان مجهول ، الى انسان فظ يجعله لويس ، ولا يمكن له ، مثلها ، ان يحبه ولا أن يتحملته أبداً • كانت قد وضعت في مكان لويس العاشق ، الوائق ، المرح ، الذي يعرف انه كانه ، نذلاً ، مجباً للظهور ، بعيداً • لم ينسَ هو قط ، على أي حال ، الصبية الفاتنة السعيدة ، المرأة الوفية التي كانت ، والتي كان يحاول ان يتوجه اليها بالحديث كل مرة • وبحنان ملؤه الحزن والاستغراب ، كان دائماً يراها ترفض ان تسمعه ، بينما كانت هي تجد في هذا الوضع السافر ارتياحاً فكرياً مرّاً ، كما بدا له • لربما لم يعد كلاهما يشبه

الصورة التي قدمها لخدنه والتي أحبها كلاهما . إلا أنه هو لا ينكرها بل يأسف عليها : ما أصبح يشكو منه هو أنه لم يعد سعيداً على أي حال . بينما هي لا تشكو في النهاية إلا من أنها خدعت .

وفكر وهو يفتح عينيه في الظلام « وهذا كان بلا شك ، ولربما لأنني أحببت حقاً هذه المرأة ، ولأنني آسف حقاً عليها سأتمكن من هجرها . وهذا ما لا تستطيع هي أن تفعله أبداً . ذلك أن هجري لها سيكون ، إذا هجرتها ، لأنني أتذكرها . »

وكان الصوت يهذي في الأعالي ، بعيداً جداً :
« أتدري ، يالويس ، أنه يمكن للكلمات أن تقود بعيداً جداً . علينا أن ننتبه . عليك ألا تقول لي أبداً أنك لا تفكر بعق — أضافت بوقار — حتى في الغضب . تعلم أن هذا يترك أثراً أو تصغي الي ؟ »

ولكنه لم يكن يصغي إليها . إنه لن يصغي إليها بعد الآن أبداً . كان قد عاود إغماض عينيه ، وما يسمعه هو صفير راكب دراجة في الشارع المقفر . قال لنفسه أن اللحن سيكون عما قريب لحنه الذي سيفرّه انسان حر آخر — قد يكون هو نفسه — عند الفجر ، في شارع مماثل .

* * *

لأنّنا جدّ فقراء

• ترجمة صالح علياني

• قصة ثلاثين المكيكي: خوان رولفو

الكاتب :

ولد خوان رولفو في قرية « سويولا » من أعمال ولاية خاليسكو المكسيكية عام ١٩١٨ .
وقد شهد في طفولته الانتفاضات الفلاحية ، التي كانت أغنف ما تكون في ولايته التي ولد بها .
وكان لهذه الانتفاضات تأثير شديد على نتاجه فيما بعد .
نشر خوان رولفو قصصه القصيرة الأولى في مجلة « خيز » الصادرة في مدينة «غوادالاخارا» .
وفي عام ١٩٥٣ نشر مجموعته القصصية الأولى بعنوان « السهوب الملتهية » . ثم اصدر رواية
« بيدرو بارامو » عام ١٩٥٥ ، فتوطدت مكانته كأحد أبرز الوجوه الأدبية الناطقة بالاسبانية .

من مجموعته القصصية « السهوب الملتهية » اخترنا هذه القصة :

كل شيء هنا يمضي من سيء الى أسوأ . ففي الأسبوع الماضي
توفيت عمتي « خائنتنا » ، ويوم السبت عندما كنا قد دفناها ، وبدأ
الحزن يفارقنا ، أخذ المطر ينهمر كما لم يحدث من قبل . وهذا سبب
لوالدي شعوراً بالاحباط ، لأن كل محصولنا من الشعير كان منشوراً تحت
الشمس في الفناء . وقد هطل وابل الماء فجأة في دفقات كبيرة ، حتى انه
لم يكن لدينا متسع لرفع ولو حفنة واحدة من الشعير واخفائها ، والشيء

الوحيد الذي استطعنا عمله ، نحن جميع من في البيت ، هو احتماؤنا تحت السقف ، بينما كنا نرى كيف كان الماء البارد يسقط من السماء ليحرق ذلك الشعر الأصفر الذي حصدناه حديثاً .

وبالأمس فقط ، عندما أتمت أختي تاتشا اثني عشر عاماً من عمرها ، علمنا أن البقرة التي أهداها اليها والذي في يوم قديسها قد حملها النهر .

لقد بدأ النهر بالتعاظم قبل ثلاث ليال ، عند الفجر . كنت نائماً حينئذ ، ومع ذلك فإن الهدير الذي كان يأتي من النهر المندفع ، جعلني استيقظ في الحال ، وأثب من السرير وألقي بيدي اللحاف بعيداً ، فقد ظننت أن سقف بيتنا ينهار . ولكنني عدت بعد قليل لأنام ، فقد عرفت أن ذلك الصوت أت من النهر ، ولأن هذا الصوت صار له ايقاع متشابه حمل النعاس الي من جديد .

عندما استيقظت ، كان جو الصباح قاتماً لكثرة الغيوم ، ويبدو وكأن السماء كانت تمطر دون توقف . وقد لاحظت أن هدير النهر أصبح أقوى ، وصار يسمع وكأنه أقرب . بينما انتشرت في الجو رائحة كرائحة الحرق ... انها رائحة العفونة تأتي من الماء الصاخب .

ذهبت لألقي نظرة ... كان النهر قد فقد صفتيه ، وارتفع شيئاً فشيئاً على الطريق . كان ينفذ بسرعة عظيمة الى بيت المرأة التي يسمونها « لاتمبورا » ، وهدير الماء يسمع وهو يدخل الى الحظيرة ويخرج

بدفقات كبيرة من الباب • بينما «لاتمبورا» تمضي وتعود في بيتها الذي أصبح جزءاً من النهر ، وهي تحمل دجاجاتها وترمي بها الى الشارع لتذهب وتختبئ في مكان بعيد لا يصله التيار •

أما في الجهة الأخرى ، حيث المنعطف ، فان النهر قد جرف ، ومن يدري منذ متى ، نخلة التمر هندي • لقد كانت في فناء بيت عمتي خائنتا حيث لاتظهر هناك الآن أية نخلة تمر هندي • لقد كانت تلك ، شجرة التمر الهندي الوحيدة في القرية ، ولذا فان الناس قد تنبهوا الى أن هذا الفيضان الذي نشهده الآن هو أكبر فيضان عرفه النهر منذ سنوات بعيدة •

أختي وأنا ، رجعنا مرة أخرى في المساء لتفرج على الماء الذي أصبح أكثر كثافة وقتامة ، وقد ارتفع الآن أعلى بكثير من مستوى الجسر الذي لم يعد يظهر منه شيئاً • وبقينا هناك ساعات نتفرج على ذلك المشهد • بعد ذلك صعدنا الى الرابية لنسمع ما الذي يقوله الناس المجتمعون هناك ، لأننا ونحن تحت ، الى جانب النهر ، لم نكن نسمع بسبب هدير النهر ، وانما كنا نرى أفواه الكثيرين وهي تفتح وتطبق وكأنهم يريدون أن يقولوا لنا شيئاً • صعدنا الى الرابية ، حيث كان الناس يتطلعون الى النهر وهم يحصون الأضرار التي أحدثها • وهناك عرفنا أن النهر قد حمل أيضاً « سربينتينا » ، بقرة أختي تاتشا ، التي أهداها لها والدي في عيد ميلادها • لقد كانت بقرة جميلة ، لها أذن بيضاء وأخرى حمراء ، وعينان بديعتان •

لم أستطع أن أفهم لماذا عبرت « سربنتينا » النهر ، وهي ترى أنه ليس نفس النهر الذي تعبره كل يوم . ولكن ، ربما أنت وهي نائمة ، والا ما كانت لتدع نفسها تموت هكذا . مرات كثيرة كنت أوقظها عندما أفتح باب الحظيرة صباحاً ، لأنني إذا ما تركتها لتنهض على سجيتها فأنها ستبقى طوال النهار مغمضة عيناها وساكنة وهي تزفر كما تفعل الأبقار عندما تنام .

وهكذا ، لابد انها كانت نائمة حين حدث لها ما حدث . ربما استيقظت عندما شعرت بالماء الثقيل يصفع أضلاعها . ربما ارتعدت عندئذ وحاولت الرجوع ، ولكن لدي محاولتها الرجوع وجدت نفسها عاجزة في دوامة تلك المياه السوداء القاسية ، والوجل اللزج . وربما أطلقت خوارها طالبة المساعدة ، أطلقت خوارها بشكل لايعلمه الا الله .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

سألت رجلا رأى البقرة عندما سحبها النهر ، اذا كان قد رأى أيضاً العجل الصغير الذي كان معها . ولكنه قال انه لايعرف ان كان قد شاهده ، وانه رأى فقط البقرة المرقشة والتيار يحملها قريبا من المكان الذي كان يقف به ، وقد رفعت قوائمها الى أعلى ، ثم انقلبت . وبعد ذلك لم يعد يرى قرونها ولا قوائمها ولا أي أثر لها ، وانه كان مشغولا بسحب قطع الحطب من الماء ، وهكذا لم يكن بمقدوره التأكد اذا ما كانت جميعها جذوعاً أم حيوانات تلك التي يجرفها النهر . وبهذا لم نتوصل الى معرفة يقينية اذا كان العجل الصغير حياً ، أم أنه ذهب وراء أمه في النهر . . . اذا كان هذا مصيره فليرحمه وأمه الله .

ان الحرج الذي وقع في بيتنا مما يمكن أن يحدث في المستقبل ، بعد أن أصبحت أختي تاتشا لاتملك شيئاً • فقد استطاع والذي بعد عمل طويل ، الحصول على « سربينتينا » عندما كانت ما تزال بقرة صغيرة ، وأهداها لأختي ليصبح لديها رأس مال بسيط ، ولاتمضي لتصبح مومساً كما فعلت شقيقتاي الكبيرتان •

فكما يقول والذي ، انهما ضاعتا لأننا كنا فقراء جداً ، وهما كانتا عنيدتين ومتمردتين منذ صغرهما ، وعندما كبرتا ، أصبحتا تخرجان مع رجال من النوع السيئ ، وهؤلاء علموهما أموراً سيئة • وقد تعلمتا بسرعة وفهما جيداً الاشارات التي كان الرجال يطلقونها بالصفير لهناداتهما في ساعات متأخرة من الليل ، فتخرجان ولا تعودان حتى الصباح • أو تخرجان في كل لحظة بحجة جلب الماء من النهر • وفي إحدى المرات ، ولم نكن نتصور حدوث ذلك ، كانتا هناك في الخظيرة تتقلبان على الأرض ، وفوق كل منهما رجل •

عند ذلك طردهما أبي من البيت • لقد تحملهما في البداية بقدر ما استطاع ، ولكنه بعد هذا لم يعد يحتمل ، فألقى بهما الى الشارع • ذهبتا الى « أيوتلا » أو الى مكان آخر لا أدري ما اسمه • ولكنهما تعملان كبنيات هوى •

والذي تألم كثيراً من اجل تاتشا - لأنه لايريد لها أن تنتهي كما انتهت شقيقتها - وها هو يرى أنها أصبحت فقيرة معدمة بعد أن فقدت بقرتها ، ويرى أنه لم يعد بإمكانها أن تتزوج من رجل طيب يحبها الى

الأبد ٠٠٠ لقد أصبح ذلك صعب التحقيق الآن • أما عندما كانت البقرة موجودة فقد كانت الأمور مختلفة ، إذ أنها لن تعدم من يتحمس للزواج منها ليحصل أيضاً على تلك البقرة العظيمة •

الأمل الوحيد الذي بقي أمامنا هو أن يكون العجل الصغير على قيد الحياة • عسى ألا يكون قد عبر النهر وراء أمه ، لأنه إذا كان قد فعل ذلك فإن أختي تاتشا لن تتأخر كثيراً حتى تصبح بنت هوى • وأمّي لا تريد لها هذا المصير •

أمّي لاتدري لماذا عاقبها الله هكذا بمنحها بناتاً من هذا النوع ، مع أن عائلتها - منذ جدتها حتى الآن - لم تعرف نساء سيئات السمعة • فتربيتهم جميعاً كانت تركز على مخافة الله ، وكن مطيعات ، ولم يسئّن احترام أحد • جميعهن كن هكذا • فمن يدري من أين أنت هاتان الابنتان بتلك الصورة الخبيثة ، هي لاتعرف ، وكلما فكرت بهما تبكي وتقول « ليحميهما الله الاثنتين » •

ولكن والدي يقول بأن أمرهما قد انتهى وليس له ثمة حل • وانما يكمن الخطر في تلك التي بقيت هنا : تاتشا • التي تمضي مثل قضيب البان، تنمو وتنمو، وقد أخذت تبرز في صدرها بدايات نهود تتوعد بأنها ستكون كأنداء شقيقتيها : حادة ، متعالية ، طائشة ، ومثيرة للانتباه •

والدي يقول :

- أجل • انها ستملاً عيني أي رجل يراها في أي مكان ، وستنتهي

نهاية سيئة ٠٠٠ اني أرى أنها ستنتهي نهاية سيئة •

هذا هو العذاب الذي كان والذي يقاسيه •

وتأتشاً تبكي وهي تشعر أن بقرتها لن تعود لأن النهر قد حملها معه • انها الآن معي ، وهي ترتدي فستانها الوردي وتتطلع الى النهر من فوق الرابية دون أن تتوقف عن البكاء ، وعلى وجهها تجري خيوط ماء عكر وكان النهر قد دخل الى أعماقها •

وانا احتضنتها مواسياً ، ولكنها لاتفهم ذلك ، بل تزداد رغبة الى البكاء • ومن فمها يخرج صرير يجعلها ترتجف وتنتفض بكاملها • ويستمر ماء الفيضان بالارتفاع ، وطعم العفونة الذي يأتي من النهر يرش وجه تاتشاً المبلل ، بينما نهذاها الصغيران يرتعشان ويهتزان الى أسفل وإلى أعلى دون توقف ، وكأنهما هكذا فجأة سيأخذان بالتضخم لتبدأ السير في طريق ضياعها •



قصّتان من فرنسا..

• ترجمة: صلاح ذهني

دانييل بولانجيه - جود ستيفان

قصتا « جان في القاعة » و « المبلّغ » من أحدث وأجمل القصص الفرنسي ، وهما قد تختلفان في الموضوع وفي الغرض ، لكنهما تشتركان في حسن فهم روح القصة القصيرة وقوانينها وصفاتها التي تميزها عن غيرها من الأنواع الأدبية . ونحن نحبي فيهما هذا الإيجاز في القول وقوة التركيز وحسن توظيف المواقف وطريقة التعبير عنها .

« جان في القاعة » لأحد أعلام القصة في فرنسا : دانييل بولانجيه . ولد بولانجيه عام ١٩٢٢ ، ونشر أول رواية له « الظل » عام ١٩٥٨ ، وفيها وصف شاعري وماكر لضرب من الحياة في مدن الأقاليم فيها تباه ونفج وخضوع للمواضعات وأخذ بما هو غريب ومخالف للمألوف في آن معا . ثم أعقبها بالطريق الباردة ، الشجاع ، البحر على حصان وغيرها . وحصل على عدة جوائز أدبية مهمة آخرها « الجائزة الأدبية الكبرى لمؤسسة أمير موناكو » في شهر أيار المنصرم عن مجمل أعماله . واعتبرت الصحافة الفرنسية هذه الجائزة تكريساً للكاتب بولانجيه كأحد أكبر

كتاب فرنسا المحدثين في القصة والرواية • كتب أيضا سيناريوهات أفلام وحوار أفلام ومثل وقد بلغ مجموع كتبه حتى الآن نيفاً وأربعين •

أما جود ستيفان مؤلف قصة « المبلغ » فقد ولد عام ١٩٣٦ ، وسبق له أن نشر مجموعة قصصية سرعان ما الفتت اليه الأنظار : « حياة أخي » • ثم أتبعها بمجموعات شعرية : السرو ، غزليات ، تتبعها شواهد قبور • وآخر مجموعة له : « الانشقاب » التي نستخلص منها قصة « المبلغ » •

وقصص جود ستيفان متنوعة أبدا تتميز بمستويات متباينة بنحو غريب في الفكرة ، التحليل ، البحث النفسيولوجي ، الأمر الذي يتيح للمؤلف أن يبسط موهبته بنحو شاذ ، حميمي ، كئيب ، ساخر • ويظل الكاتب دوماً ذلك المعلم في السرد القصصي لئن بنى قصصه على أحداث من واقع الحياة ، أو على أحداث غير معيشة من بنات الخيال وفيض خاطر ، وتظل لمسة شعرية في مستوى من الحنان أو القسوة ، حسب مقتضى الحال ، تستشف في خلفيات الأحداث •

« ص »

جان في القاعة

كان ذاك خريف « المجمع الديني » ، وروما كلها في روما ، وما كان في المستطاع العثور على غرفة يأوي اليها المرء • وجان كوزينو التي هبطت في الصباح من قطار باريس لتلقى عشيقها الذي كان يصور لوحات طبيعة ميتة في حي الترانسفيرى ، كانت قد أخذت تفقد الاحساس

بساقها • فمذ قرعت الباب في بيت اردوينو أغرستي وأجابتها طفلة :
فتية : « بابا مسافر » •

— الى أين ؟

— الى صقلية ، ليصور الجبال •

تيقنت جان أنها لن تراه من بعد قط • دخلت عشرين فندقاً ، وعشر
بنسيونات عائلية ، مشغولة كلها ، وقد جعلت المدينة تترجح وتضطرب
بلون صلسالي حار ينثال غباراً وينقلب بلون الاسمنت في ظلال الدروب
الصغيرة • كانت ابنة اردوينو جميلة حقاً ، ذات فك متين بعض الشيء
على صورة أبيها ، وعينين فاحمتين تغشاهما نقاط حمراء • وضعت
جان آخر الأمر محفظتها أمانة في مقهى وتابعت بحثها عن مأوى • لو
لم يدعها اردوينو ، ولو لم يرغب في مجيئها لرؤيته ، لم أعطاها عنوانه ؟
انه في صقلية لتصوير بعض المناظر الطبيعية ، مثلما جاء باريس
لتصوير الشوارع •

» في منزلي لا أعطي سوى فواكه في اناء ، باقة ، حاجات • لايمكنني
تصوير أشياء أخرى • وحين أصنع منها سلسلة انطلق حيثما كان ،
بحثاً عن الضجيج ، الحياة ، الآلات الضخمة • »

كانت تعود بالذاكرة الى اللوحات التي صورها في غضون الشهر
الذي قضياه معاً : تقاطعات طرق مدومة ، دار الأوبرا ليلا ، سوق موفتار
الشعبي ، ولوحة الباستل التي قدمها اليها وعلقها فوق سريرها : جمهرة
الناس في حدائق فرساي أمام نوافير « المياه الكبرى » •

في سبيل أن تظل جان رابطة الجأش كانت تجرع كل ربع ساعة
فنان قهوة ، غير أن نعلها كافا يحرقانها ، فنزعتها وسارت حافية
القدمين • أخذ اليأس يساورها من ايجاد موضع تنام فيه ، وقد حل
الآن وقت العصر ، والبيت المفروش الخمسون مشغول ، وهي تجتاز
نهر التبر من جديد • وجدت نفسها مجددا ، دونما قصد منها ، في
شارع آردوينو الرطب • قرعت وفي ظنها أنها ستلقى الصغيرة ثانية ،
الا أن سيدة ابتسمت لها ، كانت مثلما وصفها المصور ، فذهب ذهن
جان بجموح الى أن من العجب العجاب أن نرى من يعيشون الجمال يربطون
حياتهم بهذا القدر من الأشكال الكئيبة •

» من أجل ماذا ؟ سألت مدام أغرستي •

— غلط ، قالت جان • أعطوني دون ريب عنواناً خاطئاً • ألا تؤجرون

غرفاً ؟

— كلا ، قالت الاخرى •

— لم يعد في المدينة كلها موضع يصلح لايواء قط • دفعت مئتي

باب •

فألت مدام أغرستي وهي تحدج النعلين في يدي جان :

— انه « المجمع الديني » • حتى بيوت البغاء ممتلئة • وقد أكدت لي

ذلك صديقتي جيوزينا فورني التي تدير بيتاً قرب ساحة اسبانيا •

وجيوزينا كانت معي فيما مضى في بيت لأخوات الهوى • فإذا كان في

مقدورها ان تفعل شيئاً فعلته . أترغبين أن أسألها ؟ »

من عتبة الباب كانت جان ترى الى المهر ذي البلاط الاصفر ، وشجرة
التين في الصدر من حديقة كثيفة وضيقة ومجنونة .

« هل أنت فرنسية ؟ زوجي يحب فرنسا حباً جماً . انه يذهب اليها
كل سنة .

— كل سنة ؟ سألتها جان وقد تملكثها الفيرة .

قالت مدام أغرستي :

— هو فنان . ولو انه كان هنا لفعل المستحيل لمساعدتك . أدخلي ،

سأكلم جيوزبينا . الهاتف في الطابق الأول . »

دأبت جان أعمدة الزينة على السلم . وكان يسمع صوت الموسيقى
عبر الجدار . وثمة رائحة عتيقة لبدورة مشوية تفرش الدرجات الحجرية
حتى اللوحة التي كانت تزين المنبسط العلوي وتمثل قدحين على
مائدة ، فارغين ولكل لمعته على تجويفه ، شأن مجمل الأزواج ، وتخلت
جان مدام أغرستي وأردوينو جنباً الى جنب .

« جيوزبينا ؟ أنا كورنليا ، كيف أنت ؟ »

لم تكن جان كوزينو تصفي ، وقد استغرقها النظر الى داخل
البيت الذي يؤوب اليه الحبيب بانتظام من بعد الهروب . وقد تفكك
شيء ما في ذاتها شأن ما يحدث من بعد الخوف ، حينما يتخلص المرء
من كارثة . في الأسفل ، كانت الصغيرة عائدة تغني ، وهي تقذف وتتلقى

حبة مانجه في يدها • لم تبد اندهاشاً لرؤية الفرنسية مجدداً وفكرت الفرنسية أن الطفلة ستأتي على ذكر لقائهما الأول ، إلا أن العينين السوداوين ذات البقع البرتقالية اللون تحولتا وجلجل صوت الأم معلناً عنوان مدام فورني •

« هانا أكتبه لك ، خذي • اسألي عن جيوزينا • انها معروفة ، وهي في انتظارك • »

احتذت جان نعلها من جديد ، ولاحظت وجود نملة على إحدى الدرجات ، ثم أخرى ، ورتلين يتصالبان في أسفل الجدار الأبيض • وقد كان يسرها عادة أن تسحقها ، غير أنها غمرها احساس بالرضا لمشهد البيت المغموم بالحشرات وهو يثهار فوق عائلة أغرستي •

قالت مدام أغرستي : <http://Archivebeta.Sakhr>

« أنا سعيدة جداً • هنالك أيام تحملك فيها المصادفة على فعل الخير • وأضافت وهي ترى جان تتملى من منظر لوحة القدمين : أحببناها ؟ لدى زوجي أفكار مبسطة جداً • يصور ما يرى ، ويراه على طبيعته • قدحان كسبناهما في يانصيب ، ذات يوم كنا فيه سعيدين • »

هي ليست كذلك طوال الوقت ، فكرت جان التي كانت ماتنفك ترى بتلذذ الى البيت وهو ينهار •

« رغب بعض جامعي اللوحات في الحصول على هذه ، لكن آردوينو يحرص عليها • أتفهمين جيداً ؟ هل أتكلم بسرعة أكثر مما ينبغي ؟ »

كان أردوينو يسألها ذلك أيضا ، منذ بعض الوقت •

« كلا » ، قالت جان وهي تدس العنوان في محفظتها • « الوداع •

شكرا • »

كان بيت جيوزبينا فورني يخبىء نافورة ماء يذكر خيرها في غرف
المرمر بأن الحر ما ينفك شديدا •

قالت صاحبة البيت لجان :

« اذا لم يكن لديك مانع ، سأستخدم غرفتك بعد الظهر حين تخرجين
للنزهة • انني أرفض الزبائن ، لكنني يجب ألا أبالغ • اننا نتبادل
المعونة ، أليس كذلك ؟ اعلمي انني أضع في صوان حمامك - فيما اذا
نسيت ، وهي حالة قلما تحدث - عدة أزواج من المفارش • هل تعرفين
روما ؟

« كلا ، قالت جان •

- انها اقليم ريفي • بؤرة زيت • في داخلها يتألق بعض الأخبار
المبهرين • وحببات فلفل النساء الدسمة مخبوءة في الأعماق • »

كانت جيوزبينا تلقي أول شخص لها ، ولم تلاحظ المرأة الشاب ذلك •

قالت جان :

« لن أتحرك حتى الغداة • فقدماي مدمتان • »

فما كادت تتمدد على السرير حتى قرع الباب وجاءتها خادما بالملح
والجراهم ، من قبل صاحبة البيت • فأسلمت جان قدميها للاستحمام

والرعاية • وكان ثمة امرأة بيضوية الشكل معلقة بجداول من خيوط القنب
شكت فيها نباتات من زهور الخالدة تعكس لها صورتها ومجمل السرير •
وأفريز من تماثيل الحب الصغيرة التي حالت ألوانها تتراكض على حافة
السقف • وكان المصباح المصنوع على شكل الفطر يحتبس ضوءه تحت
غلالة منسوجة بالصنارة • نامت جان واستيقظت في حوالي ظهيرة اليوم
التالي وهي في كامل ملابسها • دعته جيوزيينا لمشاطرتها طعامها في
الباحة الصغيرة الداخلية التي كانت تظللها في شكل عرزال واقى نبتة حلوه
معرشة •

« تعرفين اذن مدام أغرستي ؟

— زوجها ، قالت جان وقد زيلتها الرغبة في الكلام أو في التستر على
أي شيء كان •

— فنان ! نبرت جيوزيينا • سترين لوحة له في الغرفة (١) ، زنجية
تسرح شعر أخرى • ذاك ما ينقصني ، زنجية • كان عندي منهن في
بداياتي • كن يشتغل كثيرا إلى أن جاء يوم قلن لي وداعاً ليمضين وحدهن
ويعشن معاً • لقد منحتهن بركتي لأنني ليس لي سوى مبدأ واحد ، هو
سعادة الجميع • تدخل الواحدة بيتي بلا عقد • فالقلب وحده ما يحسب
حسابه ، وعليه تؤسس أمتن العقود • أنت جئت من أجل أردوينو ،
أليس كذلك ؟

— أجل ، قالت جان •

— هذا حسن ، قالت جيوزيينا • يمكنني اذن أن أكلمك من فوري • «

رفعت جان عينين قلقتين وتقبض حلقها •

قالت مدام جيوزينا :

« عرفت أردوينو وهو بهذا الطول • ثم أكبر • وقد احتفظ بأفضل الذكرى عن التربية التي منحتها اياها • يجب أن يبدأ الصبيان حياتهم بين أيدٍ خبيرة • فهذا سر الاحتفاظ بفؤاد فتى • خلو من الجروح • انه بين الحين والحين • ومن قبيل الاعتراف بالجميل • يبعث الي النسوة الصبايا اللواتي يقابلهن • وانني لأعترف بأنك جئتني بلغة أكثر نعومة من المعتاد اذ يصطحب الي هنا صويحاته • لم يجروُ على استقبالك • ان للرجال احيانا نذالاتهم • لكن لعله أن يكون أحبك أكثر من الأخريات • »

كانت جان في مرحلة أبعد من العناء • وعادت الى طبيعتها الكسول • وميلها العميق الى القبول بحكم القدر

<http://Archive.org>

« أو تحبينه ما زلت ؟ سألت جيوزينا • غالباً ما تكون عواطفنا محاولات مموهة للاقناع • والواقع أننا نتوق جميعاً الى هدوء النفس • تلك هي السعادة • ولاشيء غير ذلك • »

كانت القوادة تحرق في جان بعين نفاذة وتخرقها • لم يك في هذه البنت الغاز الا في ظاهرها • وانها لتقسم بأنها غير جدية بأن تتوجع • واذا كالتها بمكيالها ثمنت كل ما يسعها ان تستخلص منها •

« باريسية ! ذاك جانب أيضا من الاسطورة • وههنا يجب الافادة منه • في مدى شهو قليلة • يا عزيزتي جان • ستكونين لنفسك ثروة •

ستعودين الى موطنك ، وترتاحين ، وتحيين ميسورة دون اعتماد على شخص ، وتعودين لرؤيتي لموسم جديد •

قالت جان :

- ما عدت أريد رؤية هذا الرجل قط • هل يأتي الى هنا ؟

- سأدبر أموري بحيث لاتلتقيان أبدا •

- هل يأتي ؟ غمغمت جان •

كانت موجة تنقض عليها ، واحدة من تلك الأمواج التي تكتسح في الكوارث الجدران والزهور ، الحاجات ، المارة ، الأشياء الحبيبة ، وتصهرها وتحيلها الى خليطة عجينية تغطي الأرض بحماً ينهار • وجان التي كانت جيوزبينا تراها دقيقة القدر في غلالات شفافة ، وهي تستقبل الزائر ببسمة حزينة أخاذة ، لم تعد سوى شكل حائر ، نتوء في صورة ما ضمن الوحل العام •

« أفهم كونك تفكرين ، قالت مدام فورني ، هذه منذ اللحظة اجابة بنعم • يا صغيرتي ، المستقبل لك • حصيلة كبيرة • لاتحدثيني بشيء عن حياتك في باريس • حدثني أردونيو عن كل شيء • أنت وحيدة • بائعة صنف ثان لدى خياط • مناولة دبابيس الى مصلحة الأثواب • الاتيان بقطع الفرو من خزانة الملابس ، قهوة للمدام البائعة ، زوج جرابات للزبونة ، الركض الى المشغل ، هل الطلبات جاهزة ؟ ساعة ، متدربة ، نقالة • لاتنسي العينة ! اذهبي فاطلبي الى العارضة ان تعود

الى ارتداء القطعة الثامنة من المجموعة • عجلي يا جان ! وتبعث بك
العارضة بدورها لتعثري لها على أصبع أحمر شفاء ، والرئيسة لا تريد
لك أن تستلحقك العارضة • دعي مساعدتي ، فأنا في حاجة اليها ! انني
لا أعر علىها قط • انها تقوم دوما على خدمة الآخرين • وبالطبع ، هنالك
اللحظات الطيبة ، حين تجرب الواحدة في القبو معاطف الزبونات ، حين
تنتزع أختام المبيع الى اللواتي يرغبن بتزيين أثوابهن بقرشين • فهذا
يزيد ، ولكن بنحو جد ضئيل وجد نادر ، حصيلة الشهر الضئيلة ! عدا
رسميات الصباح لدى الحضور ! ويليكَ ان انت نسيت أداء تحية الصباح
لمديرة الدار ، وبالتدرج لسلم المراتب كلها ! لكنها آخر الأمر حياة ،
ما دام أن سيدا ما يظهر ذات يوم ويرغب في تقديم وشاح ، ويكلمك هذا
السيد بلطف ، يكلمك أنت ، أنت وحدك ، لأن في وجهه نظرا • انه يدعى
آردوينو • العين سوداء ، نفق يفتح هنالك على السماء ، اللوحات
المصورة ، غرفة الحب ، عن روما ، عني ، يا جان ! وهل لك أن تعلمي
أنهن جميعاً ، جميع اولئك اللواتي ساعدتهن ، بعد الكثير من الزبائن ،
زبائن رائعين وأنت تبدئين المهنة أيام « المجمع الديني » ، كلهن وجدن
زوجاً ؟ انهن يكتبن الي • لسوف أجعلك تقرئين رسائلهن • انهن
صديقات • »

أخذت جان الدورق بحركة بطيئة وقلبتة ، ساكبة الماء على الغطاء ،
ومخلصة الذبابة التي اجتازت الطاولة ، على مدى زمن طويل ، قبل
تمكنها من الطيران • فقدت عينا مدام جيوزينا لونهما ، وانقلبتا قرصين

شفافين ، بلون رمادي قاتل • كيف تراها انخدعت الى هذه الدرجة ؟ مع أن يد أردوينو كانت دوماً يد سعد • فيالسوء الحظ أن تكون جان التي استقبلتها الطفلة على غير توقع في المرة الأولى قد عادت الى بيت عائلة أغرستي من جديد ! كيف يعاكس المرء القدر ؟ نظرت الى الساعة الراقدة بين يديها وكانت على وشك أن تقول : « يا آنسة ، بعد ساعتين لديك قطار الى باريس » ، حين تبسمت لها جان • رأتها مدام جيوزبينا تأخذ الدورق من عنقه فزايها أيما تفكير اذ تملكها الرعب • فلعل الموت حين يحم ، لا يدخل الا الجسد المفرغ • شعرت مدام جيوزبينا انها رحبة وباردة ، قصر خال فيه الواح زجاجية طويلة تنتظر حلول الليل ، غير أن جان التي كانت تداعب الآن بكلا يديها تعرجات الكريستال قالت بصوت واضح سمعته الأخرى كشكاكة صادرة عن أعماق أبعد غرفة من غرف بيتها :

« حسناً ، أبداً غداً • »

المبلغ

مت العديد من المرار ، ثم بعثت ، ثم مت وبعثت - دون أن يتخلف في ذاكرتي ، رغم ذلك ، أثر من تلكم الذاتيات الوقتية ، بل صرت بالمقابل غير أبه كلياً بمصيري - الى أن أمكنني آخر الأمر أن أمارس وظيفة أرضى عنها ، مرهقة بالتأكيد ، لكنها منزهة كلياً عن أي غرض ، هي وظيفة مأمور مكلف تخصيصاً بالوفيات • وأنا منتظم ، دقيق الألفاظ

شُموس حسب الطلب : لذا ما كان لهم الا أن يحمداوا لي خدماتي • وعلى هذا ، أوفدت آنذاك الى مدينة صغيرة حيث باشرت عملي مذ وصلت مساء - فكلما بكر واحدنا في التخلص من تلكم الأمور ، كان ذلك أفضل اذ يتوجب على المرء أن يعجل في دفن حياته •

كان علي أن أقوم بعملتي في شارع الأرامل ، وهو شريان عريض للمواصلات كانت تقطن فيه كما تشير التسمية أكثرية من الأرامل وأرباب المداخل ، بالإضافة الى عدد من الأزواج الشباب وفائض من الأطفال • مضيت ، على ذلك ، لدى هبوط الليل الى البيت الأول المقرر ، في الرقم ١٩ على اليسار صعودا • ضربت ضربات خفيفة على الزجاج ، مستعينة بالدليل المطوي • وكان لباسي يمازج الظلمة الهابطة ، فيما كنت أنتظر • وتسقلت الدرجتين المهترئتين كيما ألقى نظرة من فوق السجف التي يخمن المرء قذارتها وانها لم تستبدل منذ سنوات ، الا انني لم أكن أميز سوى كتلة ما انفكت منورة عن يميني : طاولة ريفية ، وظهر الق على الجدار ، آت من الظل ، فهبطت الدرجتين وانفتح الباب • تملكتني رائحة عفنة فيما كان يغلقه - وكان في الواقع هو الذي هبط - بعد أن وضع المصباح على الطاولة • حنيت رأسي : « لدي ما أحدث به معك حول قضية خاصة • »

كان ينتظر بقية كلامي ، مرفوع الوجه ، متقبضاً بلا ريب بما اكتسب من تنبه دقيق عبر ممارسة مهنته كخياط • لمحت كرسياً وأشرت اليه بالاصبع ، سائلاً اياه بالنظر ، وجلست وظهرني الى الجدار ، ومرفقي

مستند على الطاولة • نده من جهة الظل صوت رفيع : « ليون ! »
 - فمضى يقف عند أسفل السلم و : « ماذا ؟ أت ، شخص جاء لشان • »
 (لم يكن قد خمن بعد أي شيء •) عاد خبياً ، واتخذ مكاناً على كرسي ،
 ملتفتاً بعض الالتفات ليواجهني ، وأخرج قراباً من جيبه وقرص
 أنفه بنظارة • كان الآن يتفحصني ، مطرق الوجه ، كما لو انه يدع لي
 الوقت لمباشرة اللعبة التي ستقودنا لأن نلتقي هنا كلا ليلة • قلت عند
 ذاك ممرراً يدي التي ما انفكت في القفز على شفتي : « يتعلق الأمر
 بقضية دقيقة بعض الشيء • » وأخبرته ، وقد جعلت جلستي أكثر
 راحة ، عن حلول الأجل بالفاظ واضحة ومع ذلك غير متميزة بنحو ما
 لاقتناعه بنعومة بالأمر المحتوم الحزين ، فالقضية ليست بذات بال في الواقع ،
 ويمكن للانسان أن يعيش ثانية في آخر ، فيما بعد ، دون أن يدري حتى
 بذلك ، مستعيداً بين الحين والآخر وبنحو مفاجيء ذكريات مبهمه ومقلقة
 - بدل أن تنطلق كلمة خرقاء ، (وغالباً ما برهنت لي التجربة على ذلك) ،
 لتوقع الانسان في أحابيل الشك ، وتعيده الى الأسوأ ، الأمل : « ألا
 انك تريد أن تخيفني ! » أو : « أو تعتقد أنني سأصدقك ؟ » •

كان واضحاً للعيان أن الشخص انسان بسيط ، ولم أخطيء في
 ملاحظاتي السريعة ، حين ابصرت به ظهراً ، وقد اعتمر بيرييه ، وطالت
 لحيته ، واندست يداه في جيوبه امام باب بيته متبادلاً الكلام مع بعض
 المارة ، ثم ماضياً لشراء زجاجة من البقالية المجاورة • ورغم ذلك كنت
 أخشى أن يظهر ، شأن غيره ، انزعاجاً عديم الجدوى ، أو يحاول المراوغة ،

أو يتضرع ، أو يقاوم ما ليس منه مهرب • أجاب فقط حين فرغت ، وقد
قلقت عيناه ، وغلظ صوته :
« وزوجتي ، ما الذي سيحل بها ؟ »

كنت قد تأملتتها هي أيضا ، قصيرة متكومة على نفسها ، ممسكة
بعنان كليب صغير ، فيما كانت ترافقه في نزهته اليومية ، وهي متدثرة
بوشاح غليظ • ما من ريب في أنهما كانا زوجين سعيدين ، يكتفيان
بالبقيل بسبب عوزهما ، الا أنهما راضيان بما كتب لهما •

وعاد يقول : « هل أنت متأكد ؟ »

– نعم •

– ولكن أما كنت تعرفني حتى الآن ؟ •

– وصلت لتوي ، وتعرفت اليكما ظهرا • نزلت في الفندق ، في أسفل

الشارع •

– لكن ماذا اذا لم يكن هذا كله سوى حلم ••• أو خطيئة ••• ، قال

ذلك وهو يمرر يده ، كالذهول ، على اللحية القصيرة المشعثة والوسخة
التي تبيض خديه •

قلت : كلا •

كنت قد تعودت الآن الرائحة ، فلا بد أنه البلاط الذي لم يغسل منذ
زمن طويل • كان يستجدي تفسيراً ، الا أنه لم يكن في وسعي أن أعاود
من جديد • فوقنا ، كانت المرأة تسير بخطا قصيرة ، وكنت أتساعل أين

هو الكلب ولم لم ينبح لدى قدومي • ولرغبتي بالابتعاد قبل نزولها ، غرزت عيني في عينيه ، فقد كان الأمر يجب أن يتم ، مستأذناً بالانصراف بقسوة ، ومهتماً النفس لاختياري تلك الساعة المناسبة مستفيداً من تواطؤ الظل - فعلى هذا النحو سوف يمكنه أن يتم يومه بهدوء • فلعله أن يكون لهما ابن يأتي لزيارتهما مرة في السنة ، يكتبهما ، كان ذلك مصدر فرحة أخيرة لهما بعد انفراط عقد الآخرين ، وانتظار موزع البريد والقراءة بصوت عال • كان المصباح يدخن ، وبما أنه لم يعد يفكر قط في ضبط فتيله ، فقد فعلت ذلك عنه ، ونزعت يدي من القفاز كيما لا أفسد الجو الهاديء المحيط بنا ، الذي ثبت أنه ما من أمر غريب كان يحدث • ولامس ساقي شيء ما ، لأريب أنه الكلب هبط بلا ضجيج • عند ذاك جعل ينبح بعد أن تشممني •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال العجوز : سأدعو زوجتي •

نهضت ، وبقي هو خافض الرأس ، منحنيا على الطاولة ، حيث كان القراب يلتصق في متناول اليد ، دون أن يعير أي انتباه الى تفجرات الكلب • لم يكن سوى خياط فقير تهرأت حياته وتخربت رثائه حل مساء فتمدد ، لكي لا ينهض من بعد قط • لم يكن في وسعي أن أبادره : « ما من سر مكنون ، يجب أن تقبل الأمر » ، فاكتفيت بوضع يدي بالنحو المعتاد على كتفه :

- ليس الأمر بذئ بال ، لاشيء بالمرّة •

- ولكن زوجتي ، ؟ ٠٠٠ هكذا ، بغياء ٠٠٠ أما كان ثمة حاجة لابلاغي .

- أجل ، قل انه بسبب زوجتك ٠٠٠ »

والتي كانت ما تنفك تمشي في الأعلى ، أوشكت أن تنزل ، وظلالهما أن تتحرك وهلة ما . فما بلغت ، في الواقع ، منتهى الشارع - وقد تصرمت بضع دقائق - حتى قرع ناقوس الموت في الساعة المحتومة . فلا بد انه سقط هاوياً من الانفعال عند قدمي زوجته . نظرت الى ساعتني ، وأخذت دفترني وشطبت اسم : غانديه .

على هذا المنوال ، أتممت مهمتي ، طوال فترة دامت حوالي ثلاثة شهور ، ذاهباً أول الأمر الى بيت مدير أحد المصارف ، في الرقم ٣٩ ، الذي كافح يائساً بالرغم من نصائحي في أن يستسلم للراحة ، مستشيراً أخصائيين باهظي الكلفة ، مستصرخاً أصدقاء له في جماعة سرية ليهبوا ابني مساعدته . ومن ثم نزلت الجادة ، من الجهة المزدوجة هذه المرة ، في الرقم ١٤ ، لدى سيدة عجوز : دخلت بيتها ذات مساء (كما دخلت بيت الخياط الذي باتت نوافذه مغلقة منذئذ) ودفعت بها الى قبوها ، فيما كانت تميل فوق سطل فحم . مكثت على ذاك النحو طوال الليل تحشرج فاقدة الوعي ، الى ان حضر أولادها صباح الأحد ، وكانوا يقطنون الريف ويأتون ليمدوها بما يقيم أودها مرة في الأسبوع . والكهربائي في الرقم ١٧ ، كان يقيم مقابلها : توفي بحادثة عمل حين فتحت العداد

خفية وكان يظنه مغلقاً ، فيما هو يصلح تيار الفندق • سقط هاوياً عن سلمه •

ساد الذعر في الجوار • فذهب بعضهم في اجازات استجمام ، غير أن هؤلاء كانوا من الشباب الذين لم يكن الأمر يمسسهم بشيء • وزوجة الخياط ، في الرقم ١٩ ، لم تعش من بعده سوى شهرين : وكانت قد حطت الرحال في مستشفى ، اذ لم تعد قادرة على القيام وحدها بحاجاتها • على هذا لم يكن لي سوى أن أدع الحزن يفعل فعله - فبكت ، وأبلت نفسها ، وجفت نهائياً • أجهزت كذلك بالسكتة ، في الرقم (٣) ، على مزارع ضخم اعتزل العمل ، السيد مارسيل • فلم يتأس أحد قط على مصيره ، على نقيض السابقين • كانت له ابنة دخلت سلك الدين ، عادت بهذه المناسبة لرؤية الدنيا ، وزوجة مخلصه كان قد اعتاد توبيخها • وأخيراً ، محوت بتصميم من عداد الأحياء ، واحداً بعد الآخر ، كاتباً عجوزاً خرفاً فاق عمره عمر كتبه ، وكاهن خورنية كانت وظيفته الصلاة في موت أبناء رعيته ، وطبيباً اشتهر في الجوار بمقدرته على الإبراء - وتلك حالة أثارت أسف من بقي على قيد الحياة • فلما فرغت من تلك الميمات ، لم تتبق لي سوى واحدة قبل مغادرتي الحي - لان المولدات كانت تترى في أماكن أخرى ، مما يهدد التوازن الحيوي للمدينة •

توجهت هذه المرة الى اسفل الشارع تقريباً ، وكان له امتداد من جهة واحدة ، يميناً ، نجا من أثر حرب سابقة في الرقم ٧ • قرعت جرس بيت ذي مظهر بال ، رغم أن نباتات من زهر البغونية كانت تتناثر

والواجهة المخططة . كانت الضحية قد أُنذرت مؤخرا فيما كانت عائدة من شراء حاجياتها . فقد تملكها دوار فجعلت تترجح في الطريق بحيث انها ، وقد فاتتها فرصة التشبث بالسياج القريب ، أخذت تدور على نفسها مثل خذروف وسقطت بكل ثقلها على جنبها فوق اسفلت الطريق . فرفعها نجار العربات وأحد زبائنه وأعادها الى بيتها . أجابني هي نفسها ، فاتحة الباب على ممر تمتد به باحة صغيرة نحو الخارج ، تظهر بعدها خضرة حديقة - وذلك كله ضمن منظور بهيج . كان ثمة قط يتمسح بساقي ، فيما كنت أدخل مستعملا التوريات المعتادة ، وقد اجتذبي الضياء الذي تستحم به الساحة ذات الجدار المدهون مجددا بالأبيض . أدخلتني غرفة الطعام . من جانبي المفترق كانت نباتات خضراء تلقي أوراقها الممتشقة ، وعلى الطاولة الالامعة تبتسم حزمة زنبق ، وعلى الجدار لوحة لابن قتل في حادث طائرة ، وعلى جدار المدفئة صورة فوتوغرافية لبنت صغيرة لطيفة ، وفي الجانب الآخر من تمثال صغير للربة ديانا الصيادة ، تمثال لموسيقى الماني . لم سجلت تلك التفاصيل في حين كان علي عادة ان اغلق عيني دون أي شيء ؟ على خزانة الصحن كانت ما تزال ترى ، في أطرافها المذهبة ، وجوه مكبرة لبعض الأجداد . وأخيرا ، قرب الباب الذي ينفتح على الساحة المشمسة ، قفص معلق يزقزق فيه عصفوران .

ثمة أمور أخرى حيرتني أيضا . ففيما كانت الامراة العجوز تكلمني - وكانت تبدو وقد هراها الحمض ، فالعينان مخمورتان بسم

الأدوية ، والوجه مصفرٌ أو منفوخ في مواضع بفعل البودرة التي كانت تكافح ضد الأذى - كانت تسمع أصدااء بيانو آتية من غرفة تؤدي الى الساحة ، ضيقة ، لكنها عميقة . خرج منها اذ ذاك كلب شائخ جاء يتشممني ، ثم تمدد على السجادة ، وقد صالب قدماً فوق أخرى ، علامة الانتظار الصابر . والقط الأسود الموشح بالأبيض اتخذ لنفسه بهدوء مكاناً فوق أحد الكراسي الجلدية وانشغل كلياً بتنظيف نفسه - والأمر المعتاد أن يكشف امري بسرعة ، فيهرب أحدهما وقد وقف شعره ، وينبح الآخر . كانت الامراة العجوز قد سبقتني الى الكلام . ودون أن تتوسل الي ، أخذت تروي قصة وجودها بقوة ، متظاهرة انها ظننتني صديقاً قديماً لابنها وأنها لم تعرف للتو من أكون . كانت ابنتها تعكف على الموسيقى منذ وفاة الأخ وذهاب الأب الذي تركهما « لتجديد شبابه » . لفت نظرها الى أنها لم تعد تشاهد في المدينة الا نادرا والواقع أنه لم تعط لي أية اشارة الى حياتها (: كلا ، انها لم تعد تخرج قط . » أتريد رؤيتها ؟ » عرضت علي . نهضت بسرعة ، مؤكداً أن ذلك بوجه خاص يجب ألا يحدث . « انها تحيا وكأنها ميتة » ، تابعت كلامها وهي تحدثني عن قصد .

في لحظة الوداع - وكان علي أن أعاود المجيء وأن ألقى الحقيقة هذه المرة في وجهها دون أن أستسلم للانذهال بكلامها المشوش : فهي لابد تعرف أنني أجوب تلك الامكنة منذ بعض الوقت - أبصرت على الجدار ، فوق صورة الطيار ذي الشاربين الدقيقين ، رأس كلب مصفراً

ومعلقا هناك ، كلب يشبه ذاك الذي كان للمضيقة ، مجد الشعر وبنياً . فلما خرجت وقعت في حيرة من أمري اذ كنت في حاجة الى روح عاشرة . فالفاتة لن تعيش من بعد موتها كما أسمعني أمها ، وانها هي نفسها ما كانت تعيش بعد ما حل بها من مصائب ، الا لتتفادى وقوعها في براثن اليأس المطلق . وعلى ذلك يمكن تركها لتنطفئ وحدها ، كما فكرت ، فمرضها يوشك من جهة ثانية أن يقصفها بقسوة : فالحياة لذوي الصلابة ، لا لذوي الالوجاع . مضيت على ذلك الى بيت المبلغ ، ذاك الذي يذهب من بيت الى بيت ليخبر أهل المدينة بميتة الأمس وبساعة الصلاة الجنائزية . أخبرته بأن الناقوس لن يقرع مساء ، حسبما هو مقرر . - ولئن كان سيقرع ؟ سألني من وراء زجاج نظارته المدخن ، وقد استبد به حب الاطلاع رغم الرفعة التي تمنحه اياها وظيفته . - لقد تأجل الأمر الى فترة لاحقة ، والواقع أن الأسى الخالص لم يدخل بعد البيت ذا الزهور والطيور ، بل حل محله الحزن الذي سببه فقدان كلب مسن وأصم ، لدى حلول الشتاء .

بعد تلك الحماقة الطفيفة ، وخرقي وظيفتي (على أن الحيوانات اليوم في الحقيقة ، تبدو وقد حبيت بـ « النفس » الوهمية ذاتها التي يدعيها البشر وحدهم وقد خدعتهم لغتهم المنطوقة ، فلديهم دفن ، وصلوات ، وأسف كما يكون الأسف تماماً) ، تم نقلي الى مدينة أخرى ، وألحقت بفرع مختلف - لم يعد فرع الشيوخ ، الميسر نسبياً ، بل هو أشد ايلاماً ، فرع « الموت المفاجيء وغير المتوقع » الذي يختص

□ ترجمة : صلاح دهني □

بأشخاص يتمتعون بصحة كاملة وتقبض أرواحهم في حلاوة العمر ، وعلى هذا ، فمنذ صبيحة الغداة يتوجب علي أن أنكب على العمل ، فأروح أقرع بالسر باب واحد ما من مواطني هذه الدنيا الفانية - قد يكون بابك أنت .

* * *



ARCHIVE

يصدر قريباً
<http://Archivebooks.sakrit.com>

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

« بحثاً عن مدينة أخرى »

محي الدين زنكنة

رواية

اختراع لغة جديدة

من أدب المانيا الشرقية

ترجمة : محمد منذر لطيفي

قصة : رولف كانك كوهيل هاس

- ١ -

... تتالت الأرقام من مكبر الصوت بشكل متسلسل حتى وصلت الرقم « عشرة » ، لم يشعر (سترات) بالخوف .. ولا بالأمل ، و نظراً لأن الرقم « عشرة » كان رقمه ، لذلك تقدم بخطوات قليلة خارج الرتل الطويل ، وسار مترنحاً ذات اليمين وذات الشمال ، ماراً بالعديد من الوجوه الجامدة الواجبة حتى وصل نهايته ، ثم التفت يمينه .. وتابع السير بشيء من الألم باتجاه ذلك الرجل الذي استدعاه ، والذي كان يقف على قاعدة منصة .. وأمامه طاولة

✽ ولد عام ١٩٣١ في مدينة برلين ، عمل في إحدى صحف الشباب لفترة من الزمن ، ثم عمل في شركة « ديفا فيلم » خلال الأعوام (١٩٥٠ - ١٩٥٢) ، ومنذ ذلك الوقت وهو يمارس الكتابة التي أولاها عناية كبيرة وتفرغ لها ، وهذا ما اتاح له الشهرة ، وبخاصة في مجاليّ الكتابات القصصية ، وكتابات سيناريو الافلام .

معدنية تئاثر عليها بعض الأوراق .. واتصب في منتصفها « ماكرفون »
رمادي اللون .

— ٢ —

.. الزمان نيسان ١٩٤٤ ، لقد كان « سترات » إذن صاحب الرقم عشرة
في ذلك الصف الطويل الذي تشكل من رجال منهوكي القوى .. ووجوه
مطرقة بوجوم وصمت نحو الجدار المرتفع بكل كآبة .

ومع أن النهار في بدايته ، إلا أن « سترات » كان يشعر بالتعب والإرهاق
حتى الانهيار الكامل .. أو قل حتى الموت .. !

وقد يكون لصغر سنه دور بارز في تلك الحال التي وصل إليها ، أما السماء
— التي كان ينظر سترات إليها بين الفينة والأخرى — فقد كانت رمادية اللون ..
داكنة الغيوم .. تتهياً تدريجياً لتغيير المطر ، وعلى بعد قليل جداً من تلك
الغيوم .. على بعد قليل جداً من هذه الأرض .. بل وتحت امتداد تلك الغيوم
بالذات كانت تقبع « هولاندا » .. نعم بلده « هولاندا » التي أحضر منها
بالقوة مع خمسة رجال آخرين ، لقد حدث ذلك منذ مائة يوم .. لا بل منذ
زمن طويل جداً قياساً الى العذابات المستمرة التي كان يتعرض لها يومياً ،
وأحس بالسؤال الملح القديم يعاوده من جديد : لماذا حدث هذا ؟ .. لماذا ؟ ..

— ٣ —

لقد أحضر هنا ليستحم في العرق صيفاً .. ويتجمد من الصقيع شتاء ..

بل ليحمل الأحجار .. وليضرب ويستلقي على الأثمال .. وينام على أشباه
« البطانيات » .. ثم يأكل بقايا الخضار المتعفنة .. وأخيراً وليس آخراً لكي
ينتهي من الوجود !!

ولكن قبل أن ينتهي .. بل وحتى لحظاته الأخيرة .. عليه أن يعمل ..
ويتنفس .. بل عليه أن ينسى من هو تقريباً .. وقد نسي أو كاد .. !

لم يكن سترات يستطيع أن يتصور أن ذلك المكان ، حيث ولد ، ذلك
المكان الذي لا يبعد كثيراً عن حافة السماء ما يزال هو الآخر موجوداً .. نعم
إنه لا يستطيع أن يتخيل أن تلك المروج وهاتيك الجداول .. ووالديه ..
وأسراب الأمامي .. والرائحة العطرة المتميزة لصف الطالبات في مدرسته ..
كل ذلك ما زال موجوداً .. !

هل هذا ممكن ؟؟ .. أهل ؟؟ ! .. صحيح أنه كان طالباً في قسم الفيزياء
العملية ، ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يصدق أن كل ذلك ما زال باقياً حقاً ..
وكما هو .. لأن مثل هذا التصديق — وهو على هذا الوضع اليائس — كان
فوق طاقته وتصوره وإمكاناته .

وباعتبار أن قانون حفظ القدرة البشرية وبقاء الحياة لم يعد ساري
المفعول .. لم يعد يعمل به ، على الأقل ، بالنسبة لهؤلاء الأسرى الذين
يهرولون صعوداً وهبوطاً على السلالم الحجرية الكبيرة ، وهم يحملون الأحجار ،
هؤلاء الأسرى الذين لا يعرفون من الحياة سوى شيء واحد فقط اسمه « العمل »
يؤدونه دون تردد أو تذمر ، ويعيشون محنة رهيبة لا تأخذ بعين الاعتبار أبسط

ضروريات الحياة .. ، لهذه الأسباب مجتمعة .. فإن الموت وضع حداً لمعاونة خمسة من الطلاب الأسرى أصدقاء سترات ، أما السادس — سترات نفسه — فقد كان متعباً .. منهكاً .. على بعد خطوات قلائل من النهاية المتوقعة المحتومة .. !

— ٤ —

لكنه اليوم لن يذهب الى مقلع الحجارة على ما يبدو ، وهذا من حسن حظه بالطبع ، ذلك أن تتالي الأرقام من خلال مكبر الصوت قد توقف عند الرقم عشرة ، الذي هو رقمه كما هو معلوم ، ولكنه راح يسأل نفسه في حيرة .. لماذا عشرة رجال فقط .. ؟ وأين سيذهبون بهم .. ؟ هل الى مستودع الفحم .. ؟ أم الى المركز الصحي .. ؟ أم .. !

ولكن تلك التساؤلات اضمحلت عندما تقدم نحو سترات رجل برتبة عريف ، يرتدي معطفاً أبيض ، ثم قاده ورفاقه التسعة الى المطبخ المؤلف من مبنى جبلي ذي أرضية من فلين وأجر ، وضع عليها ست قدور لامعة تحتوي حساءً ذا رائحة تننة .

لم يكن سترات قد أحضر ورفاقه لتناول الطعام ، بل لغرض آخر هو « تقشير البطاطا » ، ذلك أن رئيس المركز كان قد أعلن عن عزمه بتحضير حفلة طعام احتفاء بأصدقائه ، وفي مثل هذه المناسبات فإن السادة والإداريين والكتبة والحرس والقائمين على التعذيب ، وحتى طيبب المعسكر .. كل هؤلاء جميعاً يتحلقون حول طاولات طويلة ليتناولوا الأجبان والبيرة ، ثم يأتي دور لحم الخنزير المشوي ومعه سلطة البطاطا . ولتحضير هذا الطعام انتصبت في المطبخ

عشرة مقاعد مع عشر سلال مملوءة البطاطا ، تقابلها مثلها للنفايات ، ثم إناء معدني كبير في الوسط .

— ٥ —

وجلس سترات على أحد المقاعد المستطيلة منتظراً بدء العمل ، لقد كان جو المطبخ دافئاً وهادئاً ، بل لقد بدا مريحاً جداً اذا ما قيس بسquelع الحجارة وجوّه البغيض .. حيث التعب .. والعرق .. والموت أحياناً .

وقرب باب المحرس كان يقبع أحد رجال الصاعقة الألمان (S. S.) داخل محرسه ، بينما راح العريف الذي أحضرهم يتبخر في مشيته كالطاووس ، وهو يزرع المكان جيئةً وذهاباً ، وكان يقف في بعض الأحيان أمام سترات ورفاقه التعماء يراقب عملهم ، ولم يكن يفعل ذلك عن ضعة أو خسة وإنما بدافع اهتمام مهني بحت منه ، ولكن هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لسترات الذي بدأ عملية التقشير يدين مرتجفين ، ولقلة خبرته في هذا المجال ، فإن القشور التي راح يزيلها كانت تحمل جزءاً سميكاً من البطاطا تقسها ، زد على ذلك أن عملية التقشير هذه كانت تتم ببطء شديد .. وتحت نظرات العريف النازي .

ويتعد العريف قليلاً عن سترات ، ولكنه لا يلبث أن يعود إليه من جديد ، وعندها يسرع سترات في عمله ولكن دونما فائدة ، لأن السؤال الحتمي الذي لا بد منه يكون قد تشكل ، والحالة هذه ، على شفتي العريف الألماني :

— ما هو عملك السابق ؟

— طالب .

ويتابع سترات التقشير ثانية بيديه المرتجفتين دون أن ينظر الى الأعلى ، فقد كان يشعر أنه سيتلقى ، بين دقيقة وأخرى ، ركلة من قدم العريف ، وأن جلبة تلك الركلة لا بد وأن تلفت انتباه رجل الصاعقة النازي القابع خلف نافذة محرسه ، مستغرقاً في القراءة ، وعندها تحدث الكارثة .. حيث تبدأ عملية ركل وضرب عنيفة لا محالة ، قد تؤدي - نظراً لوضعه الصحي السيء وعدم قدرته على الاحتمال - الى النهاية المحتومة .

لكن .. ولدهشة سترات العظيمة .. يتابع العريف قوله :

— لقد انتهت دراستك الآن على ما أظن .. بعد أن صرت عندنا ٠٠ آ . ٠ ؟

وعند الظهيرة أٌحضر لكل واحد من الرجال العشرة إناء يحتوي على حساءٍ تطفو على سطحه بعض قطع اللحم ، وراح سترات يفرغ الحساء في هيكله العظمي وقد اتكأ على الجدار ، لكنه شعر فجأة أنه لم يعد لديه رغبة في الطعام رغم أنه بعيد عن الضوضاء .. بعيد عن مقلع الحجارة .

وثلفت حركة الأعشاب الخضراء ، تحت الأسلاك الشائكة المكهربة ، انتباه سترات ، فيتذكر أنه الربيع ونيسان ، ويتقدم العريف نحوه في تلك اللحظة قائلاً :

— ماذا كنت تدرس يا رجل ٠٠ ؟

— العلوم الطبيعية .

— نعم .. إنني أرى ذلك .. يتمم العريف بهذه العبارة كما لو أنه كان يعرف مسبقاً نوع تلك الدراسة .

- ٦ -

لم يشعر سترات بالخوف عندما تقدم منه العريف ثانية أصيل ذلك اليوم ثم وقف بجانبه ، في الوقت الذي كانت فيه أشعة الشمس تزحف من النوافذ الى داخل المطبخ الكبير ، بينما كانت البطاطا تلتقي في القدر ، وبعد ذلك جاءت الفرفة الخاصة في ثيابها البيضاء ، وبدأت عملها في تقطيع الخبز وتحضيره لليوم التالي .

من يتصور الآن ، وفي هذه اللحظة أن إنساناً هنا وهناك يسوت في الرمال أو في مقلع الحجارة تحت سياط التعذيب والإرهاق ، ليس بعيداً جداً عن هذا المكان .. من ؟؟ سؤال طرحه سترات في داخله ، ولكن العريف أبى إلا أن يعكر عليه تصورات تلك ، لأنه أحسن هو الآخر - على ما يبدو - بشعور داخلي مألوف وشديد يطلب منه أن يريح نفسه بعض الشيء من العبء الذي يزرع تحته ، ولكونه كان يقف قرب سترات فقد راح يتمتم لنفسه بصوت مسموع وهو يقول :

— اللعنة على هذا العمل كله ، عندما أخرج من هنا بعد انتهاء الحرب سأذهب « لإيران » لا محالة .

بدا واضحاً أن لذلك العريف أخاً أو قريباً في إيران ، ولهذا أخبر سترات بذلك ، ثم ابتدره قائلًا :

— إنك هولندي .. أليس كذلك ؟؟ هل تظن أن إيران مكان جيد للذهاب إليه ؟؟

قال سترات براحة هذه المرة :

— إني متأكد أنها مكان جيد .

ثم تابع التقشير ، لكن بهدوء ، نظراً لأن العريف بدا لطيفاً معه ، في الوقت الذي هز فيه العريف رأسه وسط ضوء الأصيل اللطيف الغامر ، وشعر بالسعادة .. لأن هناك شخصاً واحداً على الأقل يؤيده في رأيه ويفهمه ، ثم بدأ يتهد بأسى قائلاً :

— كم أنا آسف على هذا الوقت الضائع هنا ، لو استطعتُ على الأقل أن أتعلم اللغة الفارسية فقط ؟ ..

ثم بدا مضطرباً حائراً ، في الوقت الذي أخذ فيه الفلق يزحف على وجهه المتغضن فبدا صادق التعبير .. كأنه وجه صديق مخلص .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— ٧ —

كان العريف رجلاً في الأربعين ، صحيح البنية .. مكتملها ، بالمقارنة مع هؤلاء الأسرى الأشباح الذين برزت هياكلهم العظمية بشكل واضح ، لقد رفعه القدر فجعله الأمر الناهي في هذا المعتقل .. مع أنه بدا واضحاً أن من السهل خداعه .. نعم هكذا تجري الأمور أحياناً ، وفجأة سمع سترات صوتاً في داخله ، ما لبث أن أصبح تمتسات على شفتيه ، وهو يقول كمن يحدث نفسه :

— إني أعرف الفارسية .

رماه العريف بنظرة من عينيه اللامعتين غير مصدق في بداية الأمر الصوت

الخافت الذي تناهى الى سمعه ، ثم .. وبقليل من الشك .. تقدم منه وقال :

— أظنك قلت إنك تعرف الفارسية .. آ ..؟

هز سترات رأسه الى الأسفل بثبات ، فرد العريف بسرعة قائلاً :

— تعال معي .

تبعه سترات بشيء من الاضطراب حتى وصلا المهجع ، وعندئذ التفت العريف إليه وقال :

— والآن .. قل لي كيف حدث وتعلمت الفارسية إذن ..؟

لم يعد هناك مجال أمام سترات للترجع على الإطلاق ، وفي معرفته باللغة الفارسية ، لأن المرء لا يمكن له أن يمزح مع عريف في الجيش الألماني في مثل هذه الأحوال ، ذلك أن أقل رد فعل يمكن أن يتلقاه نتيجة مزاح كهذا هو ضربة واحدة فقط تسقطه أرضاً ، ولا يمكن له أن ينهض بعدها أبداً .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

— ٨ —

لم يكن سترات يريد المزاح عندما أعلن معرفته باللغة الفارسية ، فقد كان الكلام مجرد حوار ومجاملة بالنسبة له ، لكنه كان يعرف في قرارة نفسه أنه لا يريد العودة الى مقلع الحجارة .. حيث الهلاك المحقق بانتظاره لا محالة .

إنه يريد المكوث هنا في المطبخ ، حيث يستطيع أن يجلس في هذا المكان على المقعد كآدمي ، يقشر البطاطا ، ويحصل على قصعة حساء ، ولكن الشيء الوحيد الذي كان يخشاه هو ارتجاف صوته أو اضطرابه اللذان يمكن أن يكشفنا حقيقة أمره .. ومع ذلك فإن صوته لم يضعف ، بل حافظ على طبيعته وهو يشكل الجملة التالية :

— لقد كنتُ في إيران قبل الحرب •

— يا الله •• هل تعلم ما سيحدث لك إن كنتَ تكذب ••؟

عكستُ عينا سترات الرعب الذي كان يُلَمِّحُ به العريف ، لأنه كان يعرف تمام المعرفة ما يخبئه له في جعبته لو عرف حقيقة الأمر ، ولكن اللعبة يجب أن تستمر •• بل لا بد من استمرارها لأن ذلك أهون الشرين •

حاول سترات إظهار المزيد من الثقة بنفسه •• فبدأ متأكداً منها وواثقاً بها نوعاً ما ، عندئذ تابع العريف حديثه بسرعة قائلاً :

— حسناً •• كيف تقول « صباح الخير » بالفارسية ••؟

أجاب سترات : « دالام » ، فصاح العريف :

— و « غائط » ••؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

توقف سترات لوقت بدا طويلاً •• نظراً لضيق الصدر الذي بدا على العريف ، الذي لم يلبث أن اتهره قائلاً :

— بالتأكيد هناك كلمة بالفارسية مرادفة « لغائط » •• ما هي ••؟

قال سترات :

— « توبا » ••

— « توبا » •• كررها العريف بطريقة توحى أنه يريد حفظها •• ثم

تابع قائلاً :

— إنك منذ الآن ستقشر البطاطا فقط ، للمحافظة على حياتك •

— ٩ —

والواقع فإن هذا الحوار حمل في طياته الكثير بالنسبة لسترات ، لأن النتائج التي تمخض عنها وأعقبته كانت عظيمة جداً ، فلقد كان من عادة العريف « باتنباخ » أن يستقبل « رويدر » عندما كان يظهر هذا الأخير بعد الولايم الكبيرة بشكل خاص ، نظراً لأنه المسؤول الأول عن تنظيم العمل في هذا المعسكر ، ولكونه كذلك فقد راح « باتنباخ » يشرح له حاجته منذ زمن طويل لرجل آخر ليساعده في الفرقة ، ولكنه لم يتمكن سابقاً من إيجاد الرجل المناسب ، أما الآن .. فإنه لاحظ رجلاً ذا هيئة معينة .. قد يكون ملائماً .

كان « رويدر » يحرك رأسه طيلة الوقت الذي كان فيه « باتنباخ » يتحدث معه ، ولم ير في نهاية الحديث مائماً من الإلقاء نظرة على ذلك الرجل ذا الهيئة الخاصة ، فسار متثاقلاً بصحبة العريف حتى وصلوا المطبخ .

تقدم « رويدر » من « سترات » وحده بنظرات فاحصة ، غير مبال بكونه طالباً سابقاً في كلية العلوم ، وإنما كان همه أن يرى كيفية عمل هذا الرجل الذي بدا واضحاً أنه لا يجيد تقشير البطاطا رغم الجهد الواضح الذي يبذله من أجل ذلك ، ومع هذا ، فقد هز « رويدر » رأسه إشارة الموافقة ما دام العريف « باتنباخ » سيزيد له كمية النقاق واللحم والسمن ، ثم قفل عائداً الى المجمع ليدوّن اسماً ورقماً على ورقة معينة .

وفي اليوم التالي وصلت تلك الورقة الى مركز إحصاء العمال ، ومن ثم الى القائد المسؤول عن العمل في المعسكر برمته ، وهكذا فقد عاد « سترات » وحده فقط من بين رفاقه العشرة الى المطبخ ليعمل به ، ولم ينس العريف

« باتنباخ » أن يضربه على قفاه ضربة خفيفة أثناء عودته تأكيداً للصدقة التي تمت بينهما .

— ١٠ —

الآن أصبح سترات إذن رجل العريف الألماني باتنباخ ، وهو لن يعود ثانية إلى المقلع وإنما سيمكث في المطبخ ويحصل على الخبز والحساء ليستطيع الوقوف على قدميه مرة أخرى ، ويقوي ذاكرته أيضاً .

وفي الوقت الذي كان فيه سترات غارقاً في حديث ذاتي مع نفسه ، كان العريف باتنباخ غارقاً هو الآخر في حديث ذاتي مع نفسه أيضاً ، وقد بدأ يفكر في الأمر ، ويفكر يديه رغم استغراقه بالتفكير بشؤونه الخاصة تلك ، فرغم أن المسؤولين كانوا قد احتجزوه في هذا المعسكر لتدبير أمور الأسرى ، إلا أنهم لن يستطيعوا منعه من تعلم اللغة الفارسية الآن ، وحتى « رويدر » الذي بدأ يحوم حول « سترات » هذه الأيام في محاولة منه لمعرفة ما يجري بينه وبين باتنباخ ، لن يعرف .. ولا يمكنه أن يعرف أن تلك الرابطة القوية التي انعقدت أواسرها فجأة بين ذلك العريف الألماني وهذا الهولاندي الجائع هي من أجل تعلم « لغة جديدة » .. أتى له أن يعرف .. أتى !

— ١١ —

ولكن حتى « باتنباخ » نفسه لا يدرك أو يعرف أن تلك اللغة التي سيتعلمها من ذلك الهولاندي ليس لها وجود في هذا العالم على الإطلاق ، وإنما هي مجرد كلمات وقواعد يؤلفها « سترات » نفسه ، نعم إن سترات وحده الذي يعرف ..

وهو وحده الذي يقرر أحكام ومفردات هذه اللغة ، وكم من الكلمات سيحتاج في الأيام المقبلة .

— ١٢ —

عند الظهيرة ، وحالما ذهب « رويدر » لتناول الطعام ، استدعى « باتنباخ » « سترات » الى مكتب الوحدة ، حيث كان يجلس هادئاً منتبهاً وأمامه بعض الأوراق وقلم رصاص قصير جداً لا يكاد يظهر من بين أصابعه ، وقد بدا أنه على أتم الاستعداد لاكتساب المعرفة وتعلم اللغة التي طالما أحب تعلمها .

وفي ذلك اليوم الدراسي الأول ، أحب العريف باتنباخ أن يسمع شيئاً ما عن إيران ولو بشكل عام ، وكان سترات مستعداً أيضاً لتشجيع فضوله ، فأخبره أن الجو حار جداً هناك ، وأن النساء جميلات للغاية ، وأن الفقراء فقراء .. والأغنياء أغنياء ، ويبدو أن باتنباخ كان سعيداً لسماع هذه الأخبار بدلالة الرضى الذي ارتسم على وجهه ، نظراً لأن هذا الوصف ينطبق تماماً على ماتخيله هو مسبقاً عن بلاد فارس ، ونظراً لأنه اعتاد أن يحضر سهرات عمل ممتعة ومسلية ، فقد ابتدر سترات بالقول ، سائلاً إياه فيما اذا كانت مثل تلك السهرات ممكنة هناك أيضاً في بلاد فارس أم لا ، ثم توقف فجأة وسأل سترات ، وعلائم الجهد باقية على وجهه :

— هل لديهم ملام أيضاً .. ؟

ولكن سترات لم يفهم بسرعة كافية قصد باتنباخ ، فبدأ هذا الأخير بالشرح وزاد في سرد التفاصيل ، وعندئذ أسرع سترات قائلاً :

— نعم .. نعم .. هناك الكثير من الملامى .. لا شك في ذلك .

هز باتنباخ رأسه موافقاً ، ثم طلب من سترات أن يبدأ الدرس الأول ، ويتعرف على معاني بعض المفردات مثل : (شرطة - شكرأ - من فضلك - مطعم - الخ ..) .

وكان من الطبيعي أن يشعر سترات بصعوبة وإحراج بالغين .. وهو يتدبر الأمر بترجمة كل كلمة تسعفه بها ذاكرته ، ثم وهو يبدأ بتأليف الجمل الفارسية المزعومة التي لا يفهم هو نفسه معناها ، وراح يتأني قليلاً وهو يلفظ الكلمات التالية : (آلان - موقاتو - لايس - توكي - سول .. الخ) ثم توقف فجأة وأعلن لباتنباخ أن هذه الكلمة الأخيرة غير أصلية ، وأنها مأخوذة من لغة أخرى ، ثم انتقل ليخبره أن الكلمة الفلانية متداولة جداً في المنطقة الواقعة شمالي إيران .. ثم تابع شرحه حول كلمة أخرى بقوله : إن هذه الكلمة تعتبر عالمية لأن لها وجود في أكثر من لغة .. وهكذا .. في الوقت الذي كان فيه باتنباخ يدون كل كلمة يسمعها بتأن وصعوبة بالغتين .

— ١٣ —

وفي المساء .. وتحت البطانيات البالية التي كان يستعملها أثناء النوم ، راح كتفه بلامس كتف جاره الذي يشاركه السرير في المهجع ، وشعر سترات بالتعب والقلق وهو يبحث عما يمكن أن يؤلف من كلمات فارسية ليقدمها الى باتنباخ في الدرس القادم ، وأكثر ما كان يثقله هو كيفية إيجاد نظام أو طريقة يستطيع بواسطتها أن يتذكر تلك الكلمات فيما اذا سأله باتنباخ يوماً عن إحداها . وهكذا .. وبينما كان الرجل النائم الى جواره يئن .. كانت شفتا سترات منهمكتين في تشكيل تلك الكلمات التي لم يسمع بها إنسان قط ، وكان

يعيد كل كلمة مرة أو مرتين ليتأكد من حفظه لها ، وراحت شفتاه ترددان :
(تال - ميب - ميل) التي تعني بلغته الضمائر الفارسية (أنا - أنت -
هو - هي .. الخ) .

ورغم حذر سترات وانتباهه الشديدين ، إلا أنه نال ضربة قوية بين عينيه
سددها له باتنباخ بقبضة يده الفولاذية ، ثم ألحقها برفسة ، تلتها مجموعة
ضربات أخرى على الجدار ، كل ذلك لأن كلمة (رونيدام) الفارسية المرادفة
لكلمة (مطعم) الألمانية ، والتي كان سترات قد اخترعها سابقاً وعكسها لباتنباخ
في اليوم الأول ، قد نسيها هو اليوم ، أو لنقل غابت عن ذهنه عندما سأله
العريف الألماني عنها من جديد ، وأخبره أنها « على طرف لسانه » لكنه لا يستطيع
تذكرها الآن ، ولكن باتنباخ لم يرض بذلك التسويف ، ولم يسمح له أن يلقي
ظرة على قائمة الكلمات التي كان قد دوّنها ، ولم يوه حظ سترات فقد كان
باتنباخ واثقاً من كل كلمة تعللها وكتبها في تلك الأوراق ، لذلك أمسك سترات
بكلتا يديه وهدده بالتخلي عنه حتى قبل أن تنتهي فرصة الظهيرة .

ورد سترات قائلاً : « يأس : إنه مضى على إقامته في إيران أكثر من عشر
سنوات ، وكان وقتها صبياً ، وأن كلمة (رونيدام) تلك .. كلمة نادرة حقاً ،
وأنه كان قد تذكرها بالصدفة عندما سأله باتنباخ عن معنى (مطعم) ، ثم أردف
قائلاً : إن الكلمة الصحيحة (لمطعم) هي (ماردام) ، ومع ذلك فقد قاطعه
باتنباخ قائلاً :

— سأدعك تتعفن في الجحيم أيها الهولاندي .

ساد المكان صمت ثقيل ، وأدرك سترات بما لا مجال للشك فيه أنه إن

لم يحصل على ورقة وقلم رصاص فلن يقوى على تزويد ذاكرته بالكلمات اللازمة .. وبالتالي فإن العاقبة وخيمة لا محالة ، ثم اتكأ على الجدار وهو ينظر الى العريف الألماني بعينين أطل الخوف منهما والرعب ، ورماء باتنباخ بنظرة من جانبه الى جبهته حيث بدت البشرة مشدودة بفعل الضربة التي كان قد سددها إليه ، وبدا معها أحد العروق الزرقاء وهو ينبض على صدغ سترات، فتمتم باتنباخ لنفسه قائلاً :

— يا للعة .. لو استطعت فقط أن أعرف ما بداخل هذه الجمجمة .. !
ما بداخل هذا الرأس .. !

وببطء بدأ الشك يمتزج بالارتياح .. ولكنه شيئاً فشيئاً راح يتذكر كمية المفردات التي بات يملكها من تلك اللغة منذ الأيام الأولى وحتى اليوم .. وكيف كان يمضي تلك الأمسيات وهو منهك في التعلم لدرجة نسيان هذا العالم .. ونسيان الحقد الساكن في أعماقه تجاهه ، وارتسمت في ذاكرته صور بعض النساء اللاتي يمكن أن يصل إليهن في المستقبل بواسطة تلك الكلمات الفارسية القليلة التي كان قد بذل جهداً عظيماً في تعلمها ، ثم تذكر فجأة أن عليه أن يكون ذلك الرجل المميز الذي يجب أن يستفيد من كل ساعة ، وأن يفكر في المستقبل الأفضل ، وأن تكون له أسرارها الخاصة به ، وكذلك خطته البعيدة المدى ، لذلك فقد التفت الى سترات مهدداً بصوت متهدج :

— إذا كنت تخدعني وتغشني أيها الشاب .. أو إذا كنت تجهل الفارسية .. فسوف ... فيسرع سترات لمقاطعته بسرعة قائلاً :
— إنني أعرف بالتأكيد يا سيدي .. نعم .. نعم إنني أعرف الفارسية ..

ولكن طول الوقت الذي انقضى على عودتي من إيران جعلني لا أتذكر بعض الكلمات !!

وشد ما كانت فرحة سترات عظيمة عندما بدأت تظهر علائم الرضى على وجه باتنباخ الذي بدا وكأنه يميل الى منحه فرصة أخيرة .

— ١٤ —

وبذل سترات بعد ذلك جهداً كبيراً للحصول على ورقة وقلم ليُدوّن لغته ، وبعد كثير من المشقة والعناء نجح في ذلك ، ولم يخش اكتشاف أمره من قبل باتنباخ لأنه كان قد خبأ الورقة في قبعته بينما خبأ القلم في حذائه ، وهكذا فإن اللغة الجديدة التي اخترعها موجودة الآن ومحفوظة بين قبعته ورأسه ، وكل ما عليه هو الحذر عند رفعه لقبعته بعد سماعه النداء من مكبر الصوت الذي يطلبون بسوجه من الأسرى رفع قبعاتهم ، عندئذ فقط يمكن أن تسقط (اللغة) الى الأرض ، ويمكن أن تكتشف وتؤخذ منه ، وعندها يعرف تماماً ما سيحدث له بعد اكتشاف أمره ، إنه سيضرب من قبل الحرس ، ومن تليذه بالذات بشكل لا رحمة فيه ولا شفقة .. نعم سيضرب باستمرار .. وحتى الموت !!

— ١٥ —

اعتاد سترات أن يخبئ أيضاً ولكن تحت ملابسه قطعة من الخبز أو قليلاً من البطاطا ليعطيها لرفيقه الذي يقاسمه سريره كل مساء ، لقد كان ذلك الشخص من أبناء مدينته « جروتجن » ، وهو يعمل في المقلع مع أن جسده لا يملك سوى جزء يسير من اللحم .

وعندما أقبل المساء راح سترات يبذل جهداً ملحوظاً في تأليف لغته وحفظها من قبله ، قبل أن يقدمها لذلك العريف ، لهذا فقد انكب على كتابة الأحرف بطريقة معينة ذات انحناءات خاصة ، ثم راح يخترع كلمات جديدة للدروس القادمة ، ويحاول بعد ذلك أن يَدْخُل على مفردات لغته تلك بعض أصوات اللغات التي كانت تُدرّس في المعاهد الألمانية المحيطة بالمعسكر ، والخاصة باللغات ، لا •• بل إنه أخذ يُعطي لغته أصواتاً تنقلك بعيداً جداً •• ليس الى بلاد فارس فحسب •• بل الى عالم غريب هادئ •• لأنه كان يهرب في مثل تلك اللحظات من المعاني المخيفة التي كان يلصقها بشئ تلك الأصوات مثل (ريوم - ريم - ماتوري - ناريتورا •• الخ) • كان يرسم الكلمات في جداول ، ويحاول أحياناً أن يغير من لفظ بعض الكلمات بشكل معكوس ليسهل عليه حفظها ، فكانت كلمة (دخان) بالألمانية تصبح (ناخد) بالفارسية على سبيل المثال •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهكذا تابع باتينباخ تعلم تلك اللغة الفارسية الجميلة ، والتي كان لا يخفي صعوبة إتقانها رغم أنه كان يستمتع بها على حد قوله •

وأصبح من عادة سترات أن يكتب ليلاً كلمات تلك اللغة على ورقة صغيرة جداً ويخفيها في قبعته ، ثم يضع القبعة داخل قش الوسادة ، ولم يكن ليخترع أكثر من خمس كلمات في الليلة الواحدة ، وهذا يعني (٣٠) كلمة في الأسبوع على اعتبار أن يوم الأحد عطلة ، وقد كان ذلك كاف بالنسبة لباتينباخ •

— ١٦ —

بدأ جسم سترات يتحسن ويصبح أفضل وأقوى من ذي قبل ، نظراً لأنه

أصبح يتناول صحنين من الحساء يومياً ، ومن خلال تلك الرائحة التي كان يعبق بها الجو لاحظ سترات أن الصيف قد عاد ، وفي أحد الأيام اتبه الى وجود رجل هولاندي يعمل في مكتب الإحصاء التابع للمعسكر ، كان ينتظره قرب المراض ، وعندما مر بجانبه ابتدره ذلك الرجل بالقول :

— ما الذي يجري بينك وبين العريف الألماني في غرفته كل يوم ؟..

ورد عليه سترات قائلًا :

— وماذا يعنيك أنت من هذا الأمر ؟..

أجابه الهولاندي بقليل من التسامح :

— أنت لم تلتحق بمعسكر الحالي صدفة .. أليس كذلك ؟.. لقد وضعنا نحن اسمك على القائمة العاملة بتقليل البطالة لأنك كنت آخر الطلاب في هذا المعسكر ، ولأننا أردنا أن تتعافى قليلاً ، ولكن الذي اتضح لنا فيما بعد أن باتنباخ يسأل عنك دائماً .. لماذا ؟..

ساد الصمت المتوتر بين الرجلين ، غير أن طنين حشرة خضراء كانت تطير بجانبها عكّره بعض الشيء ، ولم يكن سترات يرى الشك في عيني الرجل الآخر فقط ، وإنما كان يرى معه أيضاً الشفقة والخوف والامتناع مع شيء من القسوة ، كما كان يشعر في تلك اللحظات أكثر من أي وقت مضى أن تلك اللغة التي كان يخترعها ، — والوحيد في العالم الذي كان يعرفها — يمكن أن تحميه .. ولكنها في الوقت نفسه يمكن أن تدمره أيضاً ، لأنها كانت تضعه فوق مستوى زملائه المساجين ، وكان يخشى في الوقت نفسه أن يُقشّي سره لأي شخص .. حتى ولو كان صديقاً .. ولكن هل هناك صديق حقيقي في هذا

المعسكر ؟ قد يكون هناك واحد فقط ، إنه الشخص الذي يقاسمه السرير في المهجع ، والذي يحمل إليه الخبز والبطاطا كل يوم .. ولكن حتى هذا الشخص فإن سترات لم يكن ليظمن إليه .

— ١٧ —

الزمان صيف عام ١٩٤٤ ... حيث أخذت القاذفات النفضية تشق سماء ألمانيا .. وظهر سترات الى السماء .. ثم اخترع كلمة فارسية مرادفة لـ (الحياة) دعاها (سافال) ، ثم كلمة أخرى (لشجرة التفاح) دعاها (بولي بولي) ، لقد فعل ذلك من أجل إدخال المرح والضحك والسرور على قلبه هو وليس على قلب باتباخ ، ولكن .. وبناء على طلب من هذا الأخير بدأ يعلمه الأرقام الفارسية والتعابير والاصطلاحات التي يمكن أن تستعمل في سهرات العمل ، وكان سترات يراعي شعور باتباخ .. فعندما يراه معكراً المزاج كان يخترع له كلمات مثل (انتقام) ، وإحدى هذه الكلمات كانت (سوليدو لادور ناتالم) وحاول باتباخ أن يرفض مثل هذه الكلمات محتجاً لدى سترات خلال إحدى ثورات غضبه أنه يريد كلمات فارسية عملية دارجة وذات استعمال يومي ، لكن سترات أخذ يشرح له أن هذه الكلمات الطويلة هي التحية المعتادة المتعارف عليها في تلك البلاد ، وأنه يستحيل عليه عبور شبر واحد من الحدود الفارسية دون (سوليدو لادور ناتالم) ، وعندها يستسلم باتباخ وهو يردد (توبا) محاولاً لفظها بطريقة فارسية قديمة .

وبما أن ذاكرة سترات ، المدربة علمياً ، لم تعد مشلولة بسبب الجوع .. ولم تعد ضعيفة بسبب الخوف ، فقد راح يجهد الآن بالتفكير لاستنباط إطار

موحد لهذه اللغة الجديدة ليتجنب احتمالات الوقوع في خطأ لا يمكن تلافيه ،
 علماً بأن خمسين رجلاً من حوله هلكوا يوماً بعد يوم .. وأسبوعاً بعد أسبوع ،
 لقد أحرقت جثثهم وصعدت أرواحهم الى السماء ، ومن المحتمل أن تكون
 أفواههم قد رست كلمة أخيرة ما قبل أن يغادروا هذا العالم .. غير أن لغة
 سترات لن تصل الى أحد ، ولن ترسم على أية شفاة في هذا الكون سوى
 شفاة العريف الألماني باتباخ ، سوف لن تحمل أية رسالة أو مدلول ، إنها
 تمثل نفسها فقط ، ومع ذلك فهي قادرة على إنقاذ حياة مخترعها على الأقل ،
 وجعل باتباخ - الذي يثار على تعلمها بكل ما أوتي من قوة - كلباً وسخاً
 غير متعطش للدماء ، إنها تجعله أكثر لطافة .. وهي - إن لم تحدث ذلك -
 فلن تكون ذات فائدة تذكر .

لكن سترات يحتاج الى خيال خصب ذي أفق واسع جداً ليستطيع أن
 يكتشف الأصوات التي يمكن صياغها في قوالب الكلمات الجديدة .. ويحتاج
 الى الشجاعة لمواجهة الصعوبات المحتملة في المستقبل .. ويحتاج أيضاً الى
 جهود المجريين والمختصين ليقوم بعبء تلك اللغة خير قيام وعلى الوجه
 الأكمل .. وأخيراً وليس آخراً فإنه يحتاج الى العريف باتباخ نفسه .. لذلك
 القواد الآتي من هامبورغ .. إنه يحتاج الى حماقته وبلاذته لتجعله يستمر
 في تلقي دروس اللغة الفارسية تلك .

في يوم من أيام آب حُمل سترات الى العيادة الطبية بعد أن سقط على
 الأرض مغشياً عليه ، وقد بدا وجهه ملطخاً ، أما لسانه فقد برز من فمه ،

واستمر طريق فراش خشبي لمدة ثلاثة أيام كان يهذي خلالها بشكل شبه مستمر ، لقد سمعه المرضى يتكلم بهولاً ندية غامضة مضطربة ، بالإضافة الى مجموعة كلمات غير واضحة لا معنى لها ، ومرء وقت" بدا فيه أنه قاب قوسين أو أدنى من النهاية ، لكنه كان أقوى من الذين سبقوه الى الموت ، لأنه بقي يمتلك ذاكرته ، وكان من عادة أحد المرضى المرور بين صفوف المرضى كل يوم ، وهو يحل بيده حقنة تشفي الآلام كافة وبسرعة عجيبة .. إنها حقنة النهاية.. حقنة الخلاص من الحياة والبرء من الآلام والثبات والراحة الأبدية ، وعندما سمع ذلك المرض صوت سترات وهو يصيح ويهذي اندفع نحوه ، ثم أعلن بعد قليل أن لوثه أصابته ، ولهذا سجل اسمه في دفتر صغير خاص كان يحمله ، ثم اقترب من يده ليرفع له القميص .. ويبحث عن أحد الأوردة ليحقنه .. ثم يأمر بسحبه الى العرفة المجاورة حيث عشرات الموتى يغطون في ثبات أبدي عميق ، وعندها لن يسمعه أحد هنا ثانية .. ولن يسأل أو يفتش عنه أحد ..!

ونظر سترات ، من خلال ضوء الشمس الدافئ المنبعث من أحد النوافذ ، الى رفاقه الرجال المستلقين بجواره بلا حراك .. وقد تصلبت وجوههم واحتفظت بسلامح ساخرة رستها يد الموت في الثواني الأخيرة .. أما أصدقائه الطلاب الخمسة فقد كانوا يرقدون أيضاً .. وأفواههم مفتوحة كما لو أنهم كانوا يحاولون الصراخ ..!

وهو .. ! أين هو الآن ؟ هل هو حي .. ؟ .. إنه يحس أن له صوتاً يمكن أن يعوي به كالذئب .. ! نعم إن له صوتاً يمكن أن يصيح بواسطته

كلمة تجعل كل إنسان يفهم ويتساءل باستثناء أصدقائه الراقيدين هنا بصمت
كثيف من حوله !!.

وعندما جاء بعض الرجال الحاملين عدداً من النعوش لنقل بعض الموتى ،
راح سترات يناضل بجنون في غمرة حُماه ، فاتهبوا إليه .. ونقلوه على
الفور الى سرير آخر في غرفة مجاورة .

وفي اليوم التالي بدا سترات أكثر هدوءاً من ذي قبل .. وتقدم منه
المرض الألماني ، ثم نظر إليه ، وهز رأسه قائلاً :

— قل لي أيها الشاب ما هي الكلمات المبهمة التي كنت تصرخ بها
البارحة ؟ .. لقد اعتقدنا أنك تعاني من آلام النزاع .. ولهذا هممتُ بإعطائك
إبرة الخلاص .. إلا أنني عدلتُ عنها في اللحظة الأخيرة .. مفضلاً التريث ..
في الوقت الذي ظن فيه بعض الأذَّان على ما يبدو أنني أعطيتك إياها .. ولهذا
حملوك الى غرفة الموتى مباشرة بعد مغادرتي .. ثم لمس بيده جبهة سترات
للاطمئنان !!

وبدا سترات ضعيفاً جداً .. قليل الحذر .. ثم أجاب :

— إنها فارسية .. لكنها ليست فارسية حقيقية .. إنني اخترعها !!

وعند ذلك سأله المرض الألماني بدهشة :

— ماذا تخترع ؟ ..

— لغة يا سيدي .. نعم لغة جديدة .

واعتبر المرض أن ذلك من آثار الحمى .. وهكذا أمّقت سترات ثانية ..

وبدأ يتحسن تدريجياً ، لقد ظل المرض الألماني يردد على مسامعه بأنه مخطوطة جداً .. لأنه هرب من الموت في غفلة منه .. وأن حظه ما زال قوياً لأن عريف المطبخ باتباخ ما يزال يستخدم معارفه وصدقاته لإرسال بعض كسرات الخبز له .

وبدأ سترات يقف على قدميه بشكل تدريجي ، وعندما سأله المرض الألماني ثانية عن تلك اللغة تظاهر بأنه لا يتذكر شيئاً من هذا القليل على الإطلاق ، إلا أنه بذل جهداً كبيراً أيضاً في إخفاء ذلك القلق الذي زحف إلى قلبه عندما اكتشف ضياع قبعته .

— ١٩ —

سار سترات بعد ذلك بغطى وثيقة متجهاً نحو مهجعه الأصلي بعد أن غادر العيادة الطبية والفرش الخشبي ، وبدأ في سيره كشبح عائداً من الموت ، كانت الوجوه التي يراها الآن تبدو وكأنها جديدة عليه ، وحين وصوله إلى باب المهجع تقدم من المسؤول وصافحه .. فرد عليه المسؤول قائلاً :
— تعال معي إني أملك شيئاً لك .

وفي غرفة ذلك المسؤول استلم سترات قطعة قماش وسخة .. التي لم تكن سوى قبعته .. ثم أخذ يتحسس قطعة الورق .. وهو يقلبها بين يديه .. في الوقت الذي قطع فيه المسؤول الصمت وهو يقول :
— لقد أحضرها إليّ الشاب الذي يشاركك السرير .

فسأله سترات :

— وأين هو الآن .. صحيح إني لم أراه في المهجع .

أجاب المسؤول :

— لقد سقط مريضاً بعدك .. وهو لن يعود أبداً •

كان ذلك المسؤول يتنفس من أفضه بصعوبة .. وكان أفضه قد كسر ..
وبصوت مسموع قال لسترات :

— تستطيع أن تحضر أي شيء تريد من المطبخ !!

— ٢٠ —

وهكذا عاد كل شيء الى سابق عهده ثانية .. عاد سترات الى العمل في المطبخ وعادت عينا العريف الألماني باتنباخ تلعبان ببريق الرضى ، ولأنه لا يسمح لسترات بالتوقف عن الدروس .. لذلك فإنه كان يجلس كل ظهيرة — وبعد ذهاب « رويدر » — الى الطاولة ، وقد ابتلعت كفه قلم الرصاص الصغير ، وعكس وجهه صبر وحلم الطالب النجيب الذي لا يريد أن يفوت عليه شيئاً •

(يتعلم) تعني بفارسية سترات (ليفو) ، وقد تعلم سترات بالفعل أن يهرّب خلال فرصة الظهيرة قلم رصاص وورقة كلما كان بحاجة الى ذلك ، بالإضافة الى قليل من الخبز والبطاطا يقدمهما الى جاره الجديد الذي يناصفه السرير في المجمع ، وفي الوقت الذي يأخذ فيه كنفه سترات بملامسة كنفه جاره الذي يرقد الى جانبه في المساء ، يكون عقله مستمراً في تأليف الجمل والعبارات وتصريف الأفعال .. يرددها بينه وبين نفسه كي يحفظها ، ليس فقط من أجل إلقاءها على مسامع باتنباخ المسرور بها .. وإنما لأنه بدأ يشعر بدوره أن هذه اللغة التي اخترعها .. والتي جهد الليالي بتأليفها .. قد امتلكتها هو الآخر !

ولكن .. ودون سابق إنذار .. شعر سترات أنه مهدد فجأة وبشكل كبير
بخطر داهم قد يكشف سره ويعرضه الى ما لا تحمد عقباه ، ذلك أن باتنباخ
سمع أن رجلاً إيرانياً قد أرسل الى المعسكر .. نعم رجل فارسي حقيقي
من لحم ودم !!

يا الله .. لقد قضى باتنباخ يومين كاملين ، مستعملاً كل ما أوتي
من حيل والأعيب وصداقات ومعارف كي يظفر بذلك الشخص الإيراني ..
حتى عثر عليه أخيراً .. ولكنه - ولحسن حظ سترات - لم يكن إيرانياً وإنما
كان من شبه القارة الهندية .. ولذلك بقي باتنباخ يشتم ويلعن طوال ذلك
اليوم .. ويتمتم لنفسه :

- تبا لهذا المعسكر المتفغن .. إنه معسكر دغاغ وأوباش .. لا يوجد
فيه حتى رجل فارسي ..

وعندما شاهده سترات بهذه الحالة الاشعالية الحزينة التي كانت تلفه
من قمة رأسه الى أسفل قدميه قال له :

- هوّن عليك يا سيدي العريف باتنباخ .. إنك لن تجد رجلاً فارسياً
واحداً هنا .. لسبب بسيط واحد هو أن « الفوهرر » لم يصل بعد الى هناك ..
الى إيران .. وهذا من سوء حظ أولئك الرجال البعيدين الذين يسكنون
الهند وما جاورها من بلدان ..

وارتاح باتنباخ قليلاً لهذا التبرير الذي أَرْضَى غروره .. سيما وأنه
يعرف تمام المعرفة أن الأمر قد أسقط من يده .. وفوق إرادته ..

- ٢١ -

وأتى الخريف .. ثم ذهب .. وأخيراً هو ذا الشتاء قد حلَّ برباحه
 المتجمدة التي أخذت تعصف بالمعسكر وتحمل معها كتل الثلج الأبيض .. التي
 راحت تغطي الأرض وتغمرها ، ومشى صف طويل من الرجال في أسنابل بالية
 بغطى وئيدة .. ثم مروا خطوة خطوة من خلال باب المعسكر الذي أرسلوا
 إليه من معسكرات أخرى ، بعد أن استطاعوا التغلب على عناء المسير الشاق
 الطويل .. وها هم الآن قد بدؤوا التحرك للإقامة في خيام هزيلة بدلاً من
 مهاجع قديمة .. حيث سيضطلعون وتلاشون رويداً رويداً تحت السماء
 المرصعة بالنجوم ليلاً .. والغيوم الهاربة بسرعة نهاراً .. نعم إنهم سينتهون
 لا محالة وسيوتون برءاً بسبب استحالة تأمين الدفء .. وندرة شروق
 الشمس .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخلف إحدى نوافذ المطبخ الكبير حيث يلف المكان قليل من الدفء ..
 وبغياب العريف الألماني باتنباخ .. راح سترات يلعب دوراً مسرحياً فارسياً
 خيالياً على النحو التالي ، ويحضر من خلاله « بروفة » مستعة ترضي ذلك
 العريف :

— إنني رجل أعمال آتٍ من الخارج ، أيمكنني مشاركة السيدة هذه
 الرقصة .. !

(تامولي ليم باسار ميلكوا ، نيلي تارماد امداد دونكا ؟) .

وأخيراً جاء ذلك اليوم الكبير من أيار .. الذي انفتحت فيه كل الأبواب .. وتفتحت فيه براعم الأشجار .. وأصبح كل الأحياء أحراراً في الذهاب حيث يشاؤون .

وعاد سترات الى هولاندا مع من عاد .. وأنهى دراسته في الفيزياء .. وأصبح مدرساً ناجحاً .. واستهلك حياته كلها .. لكنه يعترف الآن بأنه لم يعمل خلالها عملاً أكثر عظمة من عمله الذي أنجزه هنا .. لقد اخترع لغة جديدة .. لغة .. هو نفسه الآن أخذ ينساها يوماً بعد يوم .

أما العريف الألماني باتنباخ فقد رحل أخيراً الى بلاد فارس .. رحل الى إمبراطورية إيران .. لكنه استغرب وتعجب لتلك اللغة التي كان الفارسيون يتحدثون بها .. !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نعم .. لقد بدا له ، للوهلة الأولى ، أن أهل فارس لا يحسنون التحدث باللغة الفارسية .. !



بِمَ تَفَكَّرْ هَذِهِ الْجِبَالُ

تقديم وترجمة: عبد اللطيف الأرنؤوط

لشاعرنا اللبناني المعاصر: اسماعيل كاداره

تمتاز قصائد الشاعر اللبناني المعاصر (اسماعيل كاداره Ismail Kadare) بخصوبة مشاعر العمال والفلاحين وتتضمن أشعاره نفحات من ارث مجد آبائه وعظمة أجداده .. فيكشف عن حقيقة الايجابية في جميع أحاسيسه ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويعد الشاعر /كاداره/ المولود في عام ١٩٣٦ من شعراء الجيل الذين نزعوا - بعد التحرير - الى التجديد والابتكار بعيدين عن التقاليد والقديم . فتمتلي قصائدهم بمعاني الغبطة لاكتشاف المستقبل المجهول .. ولمعرفة الذات الانسانية .. ولتحقيق عناصر الارادة الشاعرية .. فالعالم الشعري عندهم مجموعة من المنجزات الوطنية والمكتسبات الاشتراكية . وتعد تجربة /كاداره/ اكتشافا للحركة التعبيرية التي ينحصر فيها دور الشعر في لحظات التعبير عن نشاط الانسان في معترك الحياة . ويمكن قياس عمله الفني وتقييمه بالطاقات الابداعية الخلاقة والشحنات العاطفية الانفعالية ..

وقد استطاع / اسماعيل كاداره / من صياغة روح أمته في ملاحمه
الشعرية المنبعثة من أعماق الأرض والقوة والحب • فهو دائم الحركة
الايقاعية ويتجلى في حركته الشعرية الذوق الانساني فالشعر عنده لغة
الوجود وانفعال الوجدان وتعبير صادق تعقدها الروابط الانسانية ••
وتحفل قصائده بالايقاع والموسيقا •• ذلك الايقاع المتناسق والمتصافر
بمقومات التجربة العاطفية والملامح الشعرية ••

وتحمل القصيدة التالية أنسام الطبيعة الألبانية •• وخيال الشاعر
الألباني •• وحي الانسان الألباني المتمرد على الضعف والاستكانة ••
والطامح الى العلا •• والكرامة ••



بم تفكر هذه الجبال •• ؟؟

بم تفكر هذه الجبال الشامخة ؟؟

عندما تغيب الشمس وراء السفح

يتسلق مغامر عند الغسق

حيث تلقي بندقيته ظلاً مديداً

على أرض الوطن ••

* * *

يتحرك ذلك الظل بسرعة

قاطعاً مسافات من الجبال والسهول والقرى

وأنا أيضاً •• أسير على منحدر

مستغرقاً في تفكير عميق
من الذي يعرف مكاني ؟؟
ظلال بندقيتي وفكري
تلتقي معاً
تتقاطع .. تتلاشى ..
عند غروب الشمس
* * *

وهكذا انطلقت دائماً
يا « البانيا » بخطى ثابتة
مضيت دون أن تعرفي ..
الى أين المسير ..!!
قد يكون الصباح غائماً .. ضبابياً ..
قاتماً مغبراً حاملاً بقايا الليل
* * *

عندما تجرف السيول الطمي
تبقى جذور الاشجار عارية
وهكذا فان السنين الطويلة
نخرت عظامك ..
وتركت عروقتك واضلاعك عارية
* * *

أضلاع .. وعروق

صخور ٠٠ وأحجار
سهل ضيق ممتد
مرت عليك القرون
عضك العدو
ونثر منك قطعا هنا وهناك
هاجمك ذلك المشرد
وعندما تقدمت اليه
صفعت وجهه الكريه ٠٠
لم تتوقفي ولم تتراجعيني يا البانيا
* * *
لم تلق بندقيتك
http://Archivebeta.org تنكبتها بشغف
حملتها على كتفك النحيلتين ٠٠
البارزتين ٠ التي غطتهما الندوب ٠
* * *
غمست رغيف الخبز
في حساء الشعير والذرة
وفرت الدهن
لتشحيم البندقية التي حملتها ٠٠
* * *
انجبت زوجتك اولادا ٠٠

وأحدث مدفعك رعوداً
والألبانيون يفخرون بك ..
الولد والرعد
سيحرث الولد الأرض فيما بعد
وسيطارد رعد البندقية فلول العدو
* * *

هناك كان الشعراء
يجلسون على مقاعد منحوتة
من جذوع الأشجار
أشجار انتصبت في غاباتك ..
كتبوا عنك القصائد العديدة
استلهموا المقاعد الالامعة المستديرة
وكانت الطيور تغني ..
فوق الأشجار التي
اجتثت من أعماقها
وتم صنع الاثاث منها ..
* * *

يبدو أنهم نسوا
الغابات الممتلئة بالشجر .. العملاق
حيث سرحت الذئاب
الابوة الفتاكة

القت بك على الأرض ٠٠
والدجالون ٠٠ جعلوك صماء
مثل عطار
أثناء الحروب ٠٠
التي أكلت أبناءك ٠

* * *

شراسة العدو هز الأرض
وبدد عظام البلاد العارية ٠٠
وفجأة ٠٠ زارت البلاد الجائعة
سددت ضربة قوية
وشارت غير عابئة ٠٠
تنشر الجوع والعطش

ARCHIVE
<http://Archive>

وانطلقت تقيس الأرض ٠٠
بمقياس صغير ٠٠
لا بل بالمتري ٠٠
بل بطول البندقية

* * *

كم من البنادق سددها العدو
نحو صدرك ٠٠
كم خاف هجومه الغادر
قبوراً مبعثرة ٠٠

وجئنا لسكان الجبال
وعواصف هوجاء
وأسماء مشطورة
ومنذ زمن قريب
نبتت أكوام من الأحجار
بدلا من الأزهار
وتعالت أغنية رتيبة الايقاع
أنشدتها قبائل الوطن ..
أغنية مجد وفخر ..
حتى اندثرت البندقية تحت التراب
وضاع الاسم ..
وتبددت المقاطع مع العاصفة ..
مثل ثمرة البلوط ..
وقد أصابها البرد والصقيع ..
لقد تلاشت الأغنية
التي أنشدتها القبيلة ..
* * *
رحفت « البانيا » كلها
بأكواخها ..
لتقضي ليالي حزينه أسطورية
لتستعد للمعركة ..

وكشفت عن مشاعرها
التي تجري في دمائها ٠٠
ونفخت في أعماق الأرض
روح البطولة والفداء
* * *

حاولت أن تقول شيئاً
لكن ٠٠ هل باستطاعة
ثلاثة أوتار قصيرة ٠٠
وأصابع مرتعشة
من البرد والجوع ٠٠
أن تقول شيئاً
* * *
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

انطلق ألباني نحيل من جديد
وكأنه نبت من الأرض
وعلى كتفه النحيلة العارية
نمت بندقية طويلة ٠٠
رأيت في الذروة على طرف جبل
رأيت في الأسفل على السهل ٠٠
وقد جعلته بندقيته طويلاً
مع أنها كثيراً ٠٠
ما جعلت حياته ٠٠

قصيرة جدا ٠٠ وبسيطة

* * *

مضغت الأساطير في الليالي الباردة

وبعدها ابتلعت أغانيك ثانية

في أرض الآباء الجائعة

سقطت على محرائك

وفوقك سماء داكنة

أخذت جرعة ٠٠

ولكنك لم تحلمي مع الأسف ٠٠

بالسعادة أو الحب

كالآخرين في العالم

حلمت واشتبهت <http://Archivebeta.S>

كسرة خبز أخرى

ملعقة من مصل اللبن

حلمت بالخبز والمصل

وبقليل من الدهن ٠٠

لتشحيم بندقيتك ٠٠

* * *

حفلة عرسك مع الغناء

جلبت كومبض البرق في الليل

ضربة طبل وقلق

ولكن • مع قليل من السعادة
السعادة التي حلمت بها طويلا
خلف محرائك •• وفي أزمالك
* * *

الليالي تتمخض عن الأصباح الباكرة ••
قاتمة كالرماد وداكنة
والأيام •• لعنت الليالي
والليالي لعنت الصباح ••
* * *

البانبا البسيطة الحانية

أنجبت أطفالا وسيمين •
وتحت كل طفل
تطلعات وأحلام وآمال
والكل •• امتص صدرها الجاف
لكن أبناء البانبا حاربوا
في فيافي الصحراء ••
وعندما لاقوا منيتهم ••
كانوا يبحثون عن خلاصهم في الاستشهاد
* * *

أرسلت أبناءك خارج حدودك
ليتعلموا الأشياء الحسنة

وعند عودتهم اليك ..
لم يجدوا الا الحزن .. والآنم .. في الوطن ..
وغيوما صفراء محملة بالمطر
بينما كان الملك ..
يحطم ببساطة كل أحلامهم ..
أتوا .. جاؤوا ..
بأوهامهم في جعبتهم
ومشوا بأمانهم الفاسدة
تحت ظلال الخيالات القائمة ..
بجانب الاديرة والمساجد ..
الى أن تاداهم المطر والقبر *

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

*

* وستنشر المجلة القسم الثاني من هذه القصيدة ومختارات أخرى من شعر اسماعيل كاداره

في عدد قادم .